

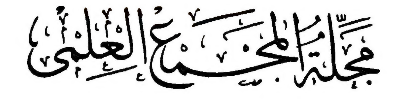


مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الاول - المجلد السابع والاربعون

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م







الجزء الاول ـ المجلد السابع والاربعون

بغـداد

١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلميـة ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى.

٤ ـ تعرض البحـوث المقدمـة للنشر في المجلـة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيـان مـدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية : ـ

ا ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليـد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسـم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانـات توضيحية اخرى ، على ان يوضـح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطى صاحب البحث ـ عند نشـره ـ ثـلاث نسخ من المجلـة مع عشرة مستلات من بحثـه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن راي المجمع العلمي

مجلــة المجمــع العلمــي

مجلــة فصليــة انشئـت سنــة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

هيئــة التحريــر

ـ توجـه البحـوث والمراسـلات الـى : رئيس تحرير مجلـة المجمـع العلمي
المجمـع العلمـي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغـداد ـ جمهوريــة العــراق
هـــاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فـــاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ـ ٩٦٤
E-mail : aos@nisciraq.net
ـ الاشتراكات : داخـل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .
خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة

دار الارقـــم بن ابي الارقـــم
مركزاً للدعوة الاسلامية في مكـــة

الدكتور هاشم يحيى الملاح
جامعة الموصل
استاذ التاريخ الاسلامي ـ كلية الآداب
عضو المجمع العلمي

الملخـــص

يسعى البحث الى بيان الظروف والاسباب التي حملت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اتخاذ دار الارقم مركزاً للدعوة الاسلامية في مرحلـــة سرية الدعوة في مكة وكان ذلك في حوالي سنة ٥ـ٦ للبعثة ، وبيان عـــــدد المسلمين الذين أسلموا في هذه الدار والظروف التي احاطت بإسلامهم •

تمهيــد :ــ

عدت بعض المصادر التاريخية وعلى رأسها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم بن أبي الارقم حدثاً فاصلا بين مرحلتين من مراحل الدعوة الاسلامية في مكة ، فتحدثت عن صحابة اسلموا قبل دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه الدار ، وصحابة اسلموا بعد دخولهم فيها . وهذا يؤكد أهمية الفترة التي اتخذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيها دار الارقم بن أبي الارقم مركزاً لنشاطه في الدعوة الى الاسلام[1] . إن فهم طبيعة الدعوة الاسلامية في هذه الفترة والظروف التي احاطت بها ، تتطلب أن يتجه البحث الى توضيح الامور الاتية :

- ما هي دار الارقم ، ولماذا اختارها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتكون مركزاً لنشاطه في هذه الفترة الصعبة من تاريخ الدعوة الاسلامية ؟
- من هو الارقم بن أبي الارقم ، وماذا كان دوره في خدمة الدعوة الاسلامية ؟
- متى دخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم ، وفي أية ظروف ، وكم كان عدد المسلمين في ذلك الوقت ؟ ومتى خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذه الدار ، وكم كان عدد المسلمين في ذلك الحين ايضا ؟ وما هي دلالة خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذه الدار بالنسبة لمسار الدعوة الاسلامية في مكة ؟

---

(١) يراجع على سبيل المثال : ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٧ ، ج٣ ص ٢٤٢ -٢٤٣ ، ٢٦٩ ، ٣٨٨ ج٤ ص ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، الازرقي ، محمد بن عبدالله ، اخبار مكة ، بيروت ١٩٧٩ ، ج٢ ، ص٢٦٠.

إن البحث وهو يحاول توضيح هذه المسائل من خلال الرجوع الى المصادر التاريخية الاصيلة ، سيواجه بعض المصاعب التي تتطلب الاجتهاد في حلها ، وأبرزها عدم اتفاق الرواة على تاريخ دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم وخروجه منها . كما ان اغلبية المصادر تختلف في تحديد تاريخ اسلام الصحابة واسبقية بعضهم بعضا في هذا المجال ، فضلا عن وجود اضطراب في المصادر حول تحديد مرحلة سرية الدعوة من حيث مدتها وطبيعتها وبدايتها ونهايتها .

في ضوء ما تقدم ، فإن البحث سيحاول التصدي لهذه الاشكاليات وإزالة ما احاط بها من تناقض وغموض من خلال استقصاء جميع الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية وتحليلها في ضوء سياق عملية التطور التي مرت بها الدعوة الاسلامية في تلك المرحلة . ولا شك في أن البحث سيسعى الى الاستفادة مما توصلت اليه الدراسات والبحوث الحديثة في هذا المجال على أمل توضيح النتائج التي يتوصل اليها البحث وتعزيزها .

دار الارقم بن ابي الارقم :

من المعروف ان أغلبية سكان مكة كانوا ينتمون الى قبيلة قريش ، وأن هذه القبيلة كانت منقسمة الى عشائر وأسر ، وكانت العصبية للاسر والعشائر تتحكم في علاقات الناس بعضهم ببعض وتحدد طريقهم في العيش والسكن في مدينة مكة .

في ضوء ما تقدم ، فقد كانت مكة مقسمة الى محلات او احياء سكنية تدعى « رباع » . وكان كل ربع من هذه الرباع مخصصاً بصورة رئيسة لعشيرة من عشائر قريش ، او لعائلة ، او مجموعة عوائل منها ، بحسب حجم وقوة تلك العشائر والاسر .

وقد أشارت المصادر الى ان هذه الرباع كانت تحمل اسماء العشائر

والاسر القرشية مثل : رباع بني هاشم ، ورباع بني عبد شمس ، ورباع بني مخزوم ، وغيرها[٢] .

فإذا اتجهنا الى البحث عن دار الارقم بن أبي الارقم في رباع مكة ، وجدنا انه يقع في رباع بني عايد من بني مخزوم ، وذلك لان الارقم نفسه كان ينتمي الى هذا الفرع من عشيرة مخزوم ، وكان موقع هذه الدار عند الصفا قرب المسجد الحرام[٣] .

وقد أضفى هذا الموقع أهمية كبيرة على هذه الدار وذلك لان وجودها قرب المسجد الحرام قد منحها اهمية خاصة بالنظر لمكانة المسجد الحرام . كما أن وجودها في ربع بني مخزوم ، وهم من أقوى العشائر المكية وأغناها في عصر الرسالة قد جعلها تتمتع بحماية هذه العشيرة ورعايتها .

ويبدو أن هذه الاعتبارات كانت قائمة في ذهن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما قرر اتخاذ هذه الدار مقراً للدعوة الاسلامية في مرحلة السرية والتخفي كما سنوضح ذلك .

وقد اكتسبت دار الارقم منذ اتخذها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مقراً له مكانة خاصة في نظر المسلمين . لذا فقد ذكر ابن سعد ان دار الارقم قد دعيت « دار الاسلام » وتصدق بها الارقم على ولده فقرئت نسخة صدقة الارقم بداره : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما قضى الارقم في ربعه ما حاز الصفا انها محرمة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث .... فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة ، فيها ولده ، يسكنون ويؤاجرون ويأخذون عليها حتى كان زمن أبي جعفر»[٤] .

---

(٢) الازرقي ، اخبار مكة ، ج٢ ص ٢٣٣-٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ص ٢٥٥ - ٢٦٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٣ .

لقد لفتت المكانة التاريخية لدار الارقم بن أبي الارقم نظر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فحمل ورثة الارقم على بيعها له بمبالغ عالية « ففتنتهم كثرة المال فباعوه ، فصارت لابي جعفر ولمن أقطعها ، ثم صيرها المهدي للخيزران أم موسى ، وهارون ، فبنتها وعرفت بها ، ثم صارت لجعفر ابن موسى .... »(٥) . ثم تلاشيت أخبار هذه الدار مع مرور الزمن .. ولا شك في أن أرضها هي الان جزء من الارض التي يقوم عليها المسجد الحرام بعد التوسعات الكبيرة التي أدخلت عليه في مراحل متعاقبة .

فإذا كانت هذه هي اهمية دار الارقم وأخبارها ، فلا شك في أن للباحث أن يقرر إذا ما كان لهذه الدار ان يكون لها شأن في التاريخ لولا إسلام صاحبها واستعداده لتقديم داره وكل ما يملك من أجل خدمة الاسلام . فمن هو الارقم وكيف دخل في الاسلام ؟ ومتى دخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في داره ؟ وكم عدد المسلمين الذين اسلموا في داره ؟ واخيراً متى خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذه الدار وكيف كانت حال المسلمين في ذلك الحين ؟

الارقم بن ابي الارقم :

الارقم هو ابو عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكان يكنى بأبي عبدالله(٦) . وقد اشارت المصادر الى أنه كان من اوائل الرجال الذين اعتنقوا الاسلام . فقد اورد ابن سعد رواية عن عثمان بن الارقم يقول فيها : « أنا ابن سبعة في الاسلام ، أسلم أبي سابع سبعة »(٧) . أما ابن اسحاق فانه يذكر أن الارقم قد دخل في الاسلام بعد عشرة أنفس عدا خديجة

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢٤٣-٢٤٤ .
(٦) ابن هشام ، عبدالملك ، السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٥٥ ، ق١ ص ٢٥٣ ، ابن الكلبي ، هشام بن محمد ، جمهرة النسب ، تحقيق عبدالستار فراج ، بلا مكان ، بلا تاريخ ، ج١ ص ٢٠١ .
(٧) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٢ .

بنت خويلد التي كانت اول من دخل في الاسلام • وكان هؤلاء العشرة هم كل من علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيدالله ، وأبي عبيدة ابن الجراح ، وأبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد المخزومي [٨] •

ويلاحظ أن اسلام الارقم قد جاء على وفق هذه الرواية بعد اسلام ابي سلمة مباشرة ، وكلا الرجلين ينتميان الى عشيرة مخزوم • فهل جاء إسلام الارقم على يد قريبه أبي سلمة المخزومي ؟•• إن هذا احتمال وارد وإن كانت المصادر لم تشر اليه •

ويقدم لنا أبن اسحاق رواية في كتابه(المغازي والسير) جاء فيها:«انطلق أبو عبيدة بن الحارث ، وأبو سلمة بن عبدالاسد ــ المخزومي ــ وعبدالله بن أرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله فعرض عليهم الاسلام، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور »[٩] •

يلاحظ على هذه الرواية أنها قد اطلقت على الارقم كنيته (ابو عبدالله)، وكأنها اسمٌ له فقالت عبدالله أبن الارقم والصحيح هو ابو عبدالله بن الارقم• كما أنها ذكرت أنه قد اسلم ضمن مجموعة مؤلفة من أربعة اشخاص ، مما يدل على وجود نوع من الوعي الديني المشترك بينهم • وان هذا الوعي قد حملهم على قبول رسالة الاسلام •

وقد قدم ابن سعد معلومات عن احدهم وهو عثمان بن مظعون تشيرالى انه كان قد حرم على نفسه شرب الخمر قبل الاسلام وانه اراد ان ينقطع للعبادة بعد اسلامه فمنعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك بقوله :

---

(٨) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٢٤٠ــ٢٥٣ .
(٩) ابن اسحاق ، محمد ، المغازي والسير ، تحقيق محمد حميد الله ، الرباط ١٩٧٦ ، ص ١٢٤ .

« يا عثمان ان الله لم يبعثني بالرهبانية ، مرتين او ثلاثاً وان خير الدين عند الله الحنيفية السمحة »[١٠] فهل كان الارقم بن أبي الارقم من المتأثرين بتوجهات عثمان بن مظعون قبل الاسلام وانه قد دخل في الاسلام معه في ساعة واحدة تحت هذه التأثيرات ؟• ان هذا الاحتمال وارد وان كان لا يستند الى ادلة قوية بسبب وجود رواية اخرى عن اسلام عثمان بن مظعون لا تذكر الارقم ضمن الرجال الذين اسلموا معه[١١]•

ومهما يكن من أمر ، فإن المسألة الجديرة بالذكر ان المصادر التاريخية لا تتفق فيما بينها على تفاصيل إسلام المؤمنين الاوائل من حيث اسبقية دخولهم في الاسلام وكيفيته • وربما كان سبب هذا الاختلاف انه قد ترتب على الاسبقية في الاسلام في فترة لاحقة امتيازات اجتماعية ، معنوية ومادية ، حملت بعض الاسر على ادعاء الاسلام المبكر للرجال الذين ينتمون اليها[١٢] •

ولا تقدم لنا المصادر معلومات مباشرة عن عمر الارقم بن أبي الارقم عند اسلامه • إلا أن بعضها اشار الى ان الارقم قد توفى في سنة ٥٥هـ/٦٧٤م « وهو ابن بضع وثمانين سنة »[١٣] كما اورد ابن حجر رواية عن عثمان بن الارقم قال فيها : « توفي أبي سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وثمانين سنة »[١٤] • يستنتج من هاتين الروايتين أن عمر الارقم حينما دخل في الاسلام كان نحو عشرين سنة • أي أنه كان في سن الرجولة المبكرة بكل ما تحمله من صفات القوة والحماسة والمثالية في التصور والعمل •

---

(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٣٩٣–٣٩٥ •
(١١) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٣٩٣ •
(١٢) الحديثي ، د. نزار ، مجتمع الصحابة نشأته وتطوره حتى معركة بدر ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ١٩٨٧ ، عدد ٣٤ ص ١٦١ •
(١٣) ابن عبد البر ، يوسف بن عبدالله ، كتاب الاستيعاب في اسماء الاصحاب ، مطبوع في هامش كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، مصر ١٣٢٨ هـ / ج١ ص ١٠٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٤ •
(١٤) ابن حجر ، كتاب الاصابة ، ج١ ص ٢٨ •

وقد لوحظ أن غالبية المسلمين الاوائل كانوا من الشباب فقد اشير الى ان الاحد عشر رجلا الذين اعتنقوا الاسلام بعد خديجة كان خمسة منهم دون العشرين ، واثنان منهم فوق العشرين ، وثلاثة تجاوزوا الثلاثين ، وواحد فقط تجاوز الاربعين(١٥) .

وقد نسبت بعض المصادر دوراً للارقم بن أبي الارقم في حلف الفضول ، فذكر ابن عبد البر ان الارقم بن أبي الارقم « هو صاحب حلف الفضول »(١٦) والحقيقة ان هذا الخبر يتعارض مع ما تذكره غالبية المصادر من ان حلف الفضول قد انعقد في دار عبدالله بن جدعان ، وكان ذلك قبل البعثة النبوية بعشرين سنة ، أي في سنة ولادة الارقم في الارجح . ومن المعروف ان هذا الحلف كان موجهاً ضد بعض العشائر المكية القوية وبضمنها عشيرة مخزوم التي ينتمي اليها الارقم(١٧) .

ولا تقدم لنا المصادر معلومات عن نشاط الارقم بن أبي الارقم في نشر الدعوة الاسلامية في مكة ، ولا تتحدث عن أي نوع من الاذى تعرض له بسبب عقيدته ، كما انه لم يهاجر الى الحبشة كما هاجر غيره ، وبضمنهم اشخاص من عشيرته نفسها « مخزوم » ومن حلفائها ، مما يدل على ان مركزه في مكة وفي عشيرته كان قوياً . وربما كان الارقم ــ بالرغم من صغر سنه ــ على رأس عائلته لانه استطاع ان يجعل من منزله مقراً للمسلمين»(١٨) . غير ان ما تقدم لا يقلل من اهمية جهاد الارقم في خدمة الاسلام في المرحلتين المكية

---

(١٥) الحديثي ، صحابة النبي ، دراسة في النشأة والتطور حتى معركة احد ، غير منشور ، ص ١٤ .

(١٦) ابن عبد البر ، كتاب الاستيعاب ، ج١ ص ١٠٨ .

(١٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ١٣٣-١٣٤ ، السهيلي ، الروض الانف ، مصر ١٩١٤ ، ج١ ص ٩١ .

(١٨) وات ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب شعبان ، بركات ، بيروت ، بلا . ت ، ص ١٥٦ .

والمدنية فقد ذكر ابن سعد ان الارقم كان قد هاجر الى المدينة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فآخى بينه وبين أبي طلحة ؛ زيد بن سهل « وشهد الارقم بن أبي الارقم بدراً ، وأحداً ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله »[١٩] .

غير أن ابرز مساهمات الارقم للدعوة الاسلامية في المرحلة المكية تمثلت في تقديم داره الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليتخذها داراً للاسلام . فمتى تم ذلك وفي أية ظروف .

تاريخ دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم)دار الارقم :

لا تقدم لنا المصادر معلومات واضحة عن تاريخ دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم . فلم يذكر لنا ابن اسحق في سيرته شيئاً عن ذلك . أما ابن سعد فقد اشار الى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد دخل دار الارقم « في اول الاسلام ، وفيها دعا الناس الى الاسلام ، وفيها اسلم قوم كثير »[٢٠] . أما ابن حزم فقد ذكر ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يجتمع في دار الارقم « مع المسلمين سراً قبل اذ يفشو الاسلام بمكة »[٢١] . كما ذكر ابن عبد البر ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان مستخفياً من قريش في دار الارقم « يدعو الناس فيها الى الاسلام في اول الاسلام حتى خرج عنها»[٢٢] .

إن النصوص الانفة الذكر وغيرها لا تقدم لنا معلومات واضحة ومحددة عن تاريخ دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم اذ انها تكتفي

---

(١٩) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٤ .
(٢٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ، راجع ايضا ص ٢٦٩ .
(٢١) ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد ، جمهرة انساب العرب ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٤٣ .
(٢٢) ابن عبد البر ، كتاب الاستيعاب ، ج١ ص ١٠٨ .

بالاشارة الى أنه قد دخلها « في اول الاسلام »: أو انه قد دخلها قبل ان « يفشو الاسلام في مكة » . لذا كان من الضروري الاستعانة ببعض الاخبار غير المباشرة التي تحدثت عن اسلام بعض الصحابة قبل دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم للتعرف على تاريخ دخول الرسول هذه الدار وظروفه .

ومن أجل تقديم صورة واضحة عن هذه المسألة سنعرض الاخبار والادلة التي بين ايدينا على النحو الاتي :

١ ــ أوضح البحث أن الارقم بن أبي الارقم كان قد اسلم بعد احد عشر شخصاً على أبعد تقدير ، ومن ثم فلابد ان يكون تفكير الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد اتجه لاتخاذ دار الارقم مقراً له بعد اسلام الارقم وبعد ان اصبح عدد المسلمين أحد عشر شخصاً[٢٣] .

٢ ــ اشار ابن سعد عند ترجمته لحياة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى ان بعضهم قد اسلم قبل ان يدخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم . وقد احصى احد الباحثين هؤلاء الصحابة فبلغ عددهم سبعة عشر صحابياً عدا الصحابة الذين اسلموا في المرحلة الاولى. وعلى الرغم من ان هذا الرقم قد لا يكون دقيقاً لانه يعتمد على ما وصل الينا من روايات بصورة رئيسة ، إلا انه يعطينا مؤشراً مهماً حول عدد المسلمين قبل دخول دار الارقم والذي يقدر طبقاً لهذه الروايات بنحو ثمانية وعشرين مسلماً[٢٤] .

٣ ــ قدم لنا ابن سعد رواية عن الزهري تصف طبيعة الدعوة الى الاسلام في هذه المرحلة المبكرة ، جاء فيها : « دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى الاسلام سراً وجهراً ، فاستجاب له من شاء من احداث الرجال

(٢٣) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٢٤٠-٢٥٣ .
(٢٤) الحديثي ، مجتمع الصحابة ، ص ١٦١ .

وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول ، فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه أن غلام بني عبدالمطلب ليكلم من السماء ، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشنفوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، عند ذلك وعادوه »[٢٥] .

يفهم من هذا النص ان الدعوة لم تتخذ طابع التخفي والسرية في هذه المرحلة ، كما ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه لم يجابهوا بالمقاومة من قبل المشركين لعدم شعور المشركين بمخاطر الدعوة الاسلامية على معتقداتهم ومصالحهم ... وقد استمر المشركون على هذا الموقف اللامبالي من الدعوة الاسلامية حتى بدأ القرآن الكريم ينتقد عبادتهم للاصنام ويصفهم بالكفر والضلال .

لقد اشارت المصادر الى ان ، هذه المرحلة قد استغرقت ثلاث سنوات ، بدءاً من نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحتى اعلانه الدعوة العامة على الناس[٢٦] .

٤ ــ لم يقم المشركون بمقاومة الدعوة الاسلامية والتصدي لاصحابها بعد الدعوة اليها علانية في اواخر السنة الثالثة للبعثة ، يقول ابن اسحاق : « فلما بادى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ــ فيما بلغني ــ حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته »[٢٧] .

يستنتج مما تقدم أن المعارضة الحقيقية للدعوة الاسلامية لم تبدأ إلا

---

(٢٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ص ١٩٩ .
(٢٦) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٢٦٢ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ص ١٩٩ .
(٢٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٢٦٤ .

بعد فترة من إعلان الدعوة العامة ، وربما كان ذلك في السنة الرابعة للبعثة .

٥ ـ حاول زعماء المشركين في البداية صرف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عن الدعوة الاسلامية بالضغط عليهم باستخدام الوسائل الادبية والاجتماعية والاقتصادية . فلما عجزوا عن تحقيق غايتهم لجأوا الى استخدام القوة والاكراه ضد المستضعفين من ابناء العشائر المكية . وقد وصف ابن اسحاق هذه الحالة بقوله : « ثم ان قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين اسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم . ومنع الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) منهم بعمه أبي طالب .. »(٢٨).

٦ ـ وهكذا فقد وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه لم يعد امامه من وسيلة لمواصلة الدعوة سوى التستر والتخفي عن انظار المشركين . وهنا نشأت فكرة استخدام دار الارقم بن أبي الارقم لتكون مركزاً يلتقي فيه مع اصحابه بعيداً عن انظار المشركين .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد استخفى في دار الارقم في اواخر السنة الثالثة ، او في السنة الرابعة من البعثة(٢٩) . إلا ان المعطيات والاحداث التي تم عرضها آنفاً ، توصلنا الى ان من المرجح ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد استخفى في دار الارقم في نحو السنة الرابعة او الخامسة ، وذلك لان الرسول (صلى الله عليه وسلم)

---

(٢٨) المصدر نفسه ، ق١ ص ٢٦٩ .

(٢٩) د. جواد علي ، تاريخ العرب في الاسلام ، ص ١٦٦ ، د. عماد الدين خليل دراسة في السيرة ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٦٤ . ارنولد ، توماس ،الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د. حسن ابراهيم و د. عبدمجيد عابدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٧ .

قد بدأ الدعوة العامة بعد ثلاث سنوات من البعثة ،ثم واصل الدعوة والمشركون غير مبالين بما يدعو له ، حتى « ذكر آلهتهم وعابها » • ثم انهم لم يلجأوا الى استخدام القوة ضد المسلمين ولاسيما المستضعفين منهم إلا بعد ان استنفدوا كافة الوسائل الاخرى ضدهم • ولابد ان ذلك قد استغرق بعض الوقت (سنة او اكثر) •

٧ ـ فاذا علمنا ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد غادر دار الارقم بن أبي الارقم بعد اسلام عمر بن الخطاب في شهر ذي الحجة من السنة السادسة للبعثة كما سنوضح ذلك لاحقاً[٣٠] • فإن مدة استخفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذه الدار هي نحو السنتين في اكثر تقدير •

إن هذا الاستنتاج لا يتعارض مع الرواية التي اوردها البلاذري عن سعيد بن زيد التي جاء فيها : « استخفينا بالاسلام سنة ، ما نصلي إلا في بيت مغلق او في شِعْبٍ خال ينظر بعضنا لبعض »[٣١] • والحقيقة ان هذا النص لا يتحدث عن استخفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دار الارقم وإنما يتحدث عن حالة المسلمين العامة في مرحلة سرية الدعوة التي يحتمل انها سبقت دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم بن أبي الارقم أو تزامنت مع دخوله فيها •

وقد ذكر الديار بكري (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م) إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استتر من المشركين مع اصحابه في دار الارقم بن أبي الارقم « وأقاموا في تلك الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلا »[٣٢] • إن هذه

(٣٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٦٩ •
(٣١) البلاذري ، احمد بن يحيى بن صابر ، انساب الاشراف ، ج١ ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١١٦ •
(٣٢) الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن ، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، بيروت ، بلا . ت ، ج١ ص ٢٩٣ •

المعلومات التي يقدمها لنا الديار بكري ، وهو مؤرخ متأخر (القرن العاشر الهجري) ، تبدو متعارضة مع سياق البحث وهي تتحدث عن آخر ايام استخفاء المسلمين في دار الارقم ، أي قبل اسلام عمر بن الخطاب مباشرة حينما بلغ عدد المسلمين تسعة وثلاثين رجلا ، وكان ذلك في السنة السادسة للبعثة . ثم ان الديار بكري لا يلبث ان يناقض نفسه حينما يقول ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) استتر في دار الارقم « في بدء الاسلام ، وكان بها اجتماع من اسم من الصحابة ، وبها اسلم عمر وحمزة »[٣٣].

٨ ـ ويبدو ان العوامل التي دفعت الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى اختيار دار الارقم لتكون مقراً له يستخفي فيه عن انظار المشركين ويمارس فيه الدعوة الى الله تتلخص في النقاط الاتية :

أ ـ إن وقوع دار الارقم على الصفا قرب المسجد الحرام يجعل الوصول اليها امراً سهلا وغير ملفت للانظار بخلاف ما لو كانت في موقع منعزل او متطرف . ثم هي « في مركز متوسط يؤمها الحجيج والغرباء »[٣٤] . غير ان هذا العامل لا يمكن ان يوفر السرية المطلقة لنشاطات الرسول (صلى الله عليه وسلم) لان طبيعة مجتمع مكة العشائرية ، وتقارب مساكن الناس من بعضها ، لابد ان تلفت الانظار الى هذه الدار التي اخذ يقصدها اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصورة مستمرة .

ب ـ في ضوء ما تقدم ، فقد اراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ان يستند الى عصبية بني مخزوم الذين ينتمي اليهم الارقم في حماية داره ، وما يدور فيها من نشاطات .

---

(٣٣) المصدر نفسه ، ج١ ص ٢٩٣ .

(٣٤) آرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٧ .

ويلاحظ أن زعماء بني مخزوم وعلى رأسهم الحكم بن هشام الذي أسماه المسلمون « أبا جهل »[٣٥] . كانوا يقودون المقاومة ضد الدعوة الاسلامية بقوة ، فاراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من اختياره لدار الارقم ان يضعهم في موقف محرج ، وذلك لانه لا سبيل امامهم في حالة اكتشاف نشاطاته في هذه الدار سوى ان يتجاهلوا ذلك ، ويغضوا الطرف عنها او ان يدخلوا في صراع عائلي مع الارقم بن ابي الارقم ومن يتعاطف معه من افراد عشيرة مخزوم ، فيؤدي ذلك الى تفكك العشيرة والمساس بمكانتها وهيبتها .

ج ـ لم يكن بوسع ابناء العشائر المكية الاخرى المساس بحرمة دار الارقم في حالة اكتشافهم لنشاطات المسلمين فيها لان ذلك قد يؤدي الى التصادم مع عشيرة مخزوم المعروفين بالثروة والغنى . « وهكذا بفضل مكانة الارقم في بيته ، وبحكم العنعنات الاجتماعية وعصبية الدم تمكن المسلمين من التحصن في هذه الدار بأمان وسلام »[٣٦] .

يبدو مما تقدم ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد نجح في توظيف العصبية العشائرية لبني هاشم في حماية شخصه من اعتداء خصوم الدعوة . ونجح في توظيف العصبية العشائرية لبني مخزوم في حماية نشاطاته في دار الارقم بن أبي الارقم .

نشاطات الرسول (صلى الله وسلم) في دار الارقم :

تمثلت نشاطات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دار الارقم وهو مستخف فيه في عدة امور منها : الاجتماع بأصحابه في هذه الدار ، وتعليمهم ، واقراؤهم القرآن ، ودعوة الاشخاص الذين يودون الدخول في الاسلام الى اعتناق الدين الجديد[٣٧] .

---

(٣٥) ابن دريد ، محمد بن الحسن ، كتاب الاشتقاق ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ١٤٨.
(٣٦) د. جواد علي ، تاريخ العرب في الاسلام ، ص ١٦٦ .
(٣٧) الازرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ص ٢٦٠ .

وقد ذكر ابن سعد انه قد اسلم في هذه الدار « قوم كثير » كان آخرهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٣٨] . وقدم لنا في كتاب الطبقات الكبرى معلومات عن الصحابة الذين اسلموا في دار الارقم . إن استقراء هذه المعلومات يساعدنا على التعرف على طبيعة نشاطات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذه الدار ، كما يفيدنا في معرفة عدد من اسلم فيها . ومن اجل توضيح طبيعة نشاطات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذه الدار سنعرض بعض الصور عن الطريقة التي اسلم فيها بعض الصحابة :

١ ـ اورد ابن سعد خبراً عن عمار بن ياسر يتحدث فيه عن كيفية دخوله في الاسلام في دار الارقم قال فيه : « لقيت صهيب بن سنان على باب دار الارقم ورسول الله فيها ، فقلت له : ما تريد ؟ قال لي : ما تريد انت ؟ فقلت : اردت أن ادخل على محمد فأسمع كلامه ، قال : وانا اريد ذلك . فدخلنا فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا ، ثم خرجنا ونحن مستخفون »[٣٩] .

٢ ـ كان اول من أسلم في دار الارقم وبايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيها حسبما يذكر ابن سعد اربعة اخوة وهم عاقل وعامر وأياس وخالد أبناء أبي البكير بن عبد ياليل ، وكان أبو البكير قد حالف نفيل بن عبدالعزيز ، جد عمر بن الخطاب . ومن ثم فإن ابا البكير وبنيه يعدون من حلفاء بني عدي[٤٠] .

٣ ـ كان من الشباب الذين أسلموا في هذه الفترة مصعب بن عمير وهو من بني عبد الدار . فقد سمع مصعب ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو الى الاسلام في دار الارقم « فدخل عليه فاسلم وصدق به ، وخرج

---

(٣٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٤٢–٢٤٣ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢٤٧ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٣٨٨ .

فكتم اسلامه خوفاً من امـه وقومه ، فكـان يختلف الى رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) سراً ، فبصر بن عثمان بن طلحة يصلي فأخبـر امه وقومه فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوسـاً حتى خـرج الى ارض الحبشة في الهجرة الاولى »[٤١] .

٤ ـ أسلم في دار الارقم طليب بن عمير من بني عبد بن قصي وامه اروى بنـت عبدالمطلب . وكان موقف امه من اسلامه موقف التشجيع والمساندة على العكس من موقف أم مصعب بن عمير ، فقد ذكر ابن سعد ان طليـب أسلم « في دار الارقم ثم خرج فدخل على امه وهي اروى بنت عبدالمطلب فقال : تبعت محمداً وأسلمت لله ، فقالت امـه : إن احـق من وازرت وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على مايقدر عليه الرجال لمنعنـاه وذبينا عنه ، فقلـت : ياأمـّـة فما يمنعك ان تسلمي وتتبعيه ؟ فقد اسلم اخوك حمزة ، فقالت : انظر ما يصنع اخواتي ثم اكون احداهن ، قال ، فقلت : فاني أسألك : فاني اسألك بالله الا اتيته فسلمت عليه وصدقتـه وشهدت ان لا إلا الله ، فقالـت : فاني اشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . ثم كانت بعد تعضـد النبي (صلى الله عليه وسلم) بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره »[٤٢].

ان هذا النص يوضح الموقف المتعاطف والمؤيد لبني عبدالمطلب للرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعوته . ولا ريب ان للعصبية العشائريـة التي كانت سائدة في المجتمع المكي دورا في اتخاذهم هذا الموقف .

٥ ـ كان ابرز من اسلم من الرجال في دار الارقم بن أبي الارقم ، حمزة بـن عبدالمطلب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) « وكان أعـز فتـى في قريش وأشد شكيمة » كما قال إبن اسحاق[٤٣] .

(٤١) المصدر نفسه ، ج٣ ص ١١٦ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ج٣ ص ١٢٣ .
(٤٣) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٢٩٢ .

وقد أشير الى ان اسلامه جاء حمية للرسول (صلى الله عليه وسلم) ودفاعاً عنه ضد من ظلمه ، إذ روى ابن إسحاق « أن أبا جهل مر برسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لامره ، فلم يكلمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان هناك مولاة لعبدالله بن جدعان في مسكن لها تسمع ما جرى . فاما جاء حمزة ، وكان قادماً من رحلة صيد ، وهو متوشح بقوسه ، اخبرته بما لحق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من اذى من قبل ابي جهل فغضب حمزة من ذلك غضباً شديداً . فلما دخل المسجد وجد ابا جهل جالساً فأقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة . ثم قال أتشتمه وانا على دينه ؟ فرُدَّ ذلك علي ان استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم لينصروا ابا جهل ، فقال ابو جهل : دعوا ابا عمارة فاني والله قد سببت ابن اخيه سباً قبيحاً . وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد عز وامتنع ، وان حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه »[٤٤] .

وقد ذكر ابن سعد ان حمزة قد اسلم في السنة السادسة للبعثة بعد دخول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دار الارقم ، فعز به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون[٤٥] .

٦ ــ شعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ان مركز المسلمين في مكة قد اصبح قوياً بعد تزايد عدد المؤمنين ، ولاسيما بعد اسلام عمه حمزة بن عبدالمطلب . ومن ثم فقد اخذ يتطلع الى كسب احد ابرز رجالات قريش ممن لهم قوة في انفسهم وفي عشيرتهم كي يتنقل من مرحلة التخفي

---

(٤٤) المصدر نفسه ، ق١ ص ٢٩٢ .
(٤٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٩ .

والسرية في العمل الى مرحلة العلنية . وتشير المصادر الى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو الله ان يؤيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام (ابو جهل) او بعمر بن الخطاب[٤٦] . ويبدو ان سبب ذلك ان الحكم بن هشام كان من ابرز رجال عشيرة مخزوم القوية . اما عمر بن الخطاب فكان أبرز رجال عشيرة بني عدي بن كعب ، وهو ابن اخت الحكم بن هشام .

وقد اشارت المصادر الى ان الله قد استجاب لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأسلم عمر بن الخطاب . وكان اسلامه يمثل انتقالة كبرى من النقيض الى النقيض . فبعد ان حمل عمر سلاحه واتجه يريد مقاتلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه المجتمعين معه في دار الارقم ، وهم حسبما يروي ابن اسحاق « قريب من اربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمه حمزة بن عبدالمطلب ، وابو بكر بن ابي قحافة الصديق ، وعلي بن ابي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكة ، ولم يخرج فمن خرج الى ارض الحبشة . فلقيه نعيم بن عبدالله [وهو رجل من بني عدي كان قد اسلم وأخفى اسلامه] فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : اريد محمداً ، هذا الصابىء ، الذي فرق امر قريش ، وسفه احلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمداً ؟ » . ثم نبهه الى ان الاولى به ان يحاسب اخته وزوجها ــ وقد دخلا في الاسلام ــ قبل ان يتجه الى محاسبة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فأثر هذا القول في نفسه فعاد الى اخته وزوجها ، وبعد شجار حاد بينه وبين اخته ، هدأت نفس عمر وطلب من اخته أن تطلعه على شيء مما كانت تقرأ من القرآن ، فأطلعته عليه ،

---

(٤٦) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢٦٩ ، ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٣٤٥ .

فلما قرأه تأثر به ، وقرر الذهاب الى محمد (صلى الله عليه وسلم) لاعلان اسلامه امامه[٤٧] . وقد تم اسلام عمر بن الخطاب في دار الارقم بن أبي الارقم امام جمع من الصحابة بضمنهم حمزة . وكان ذلك في شهر ذي الحجة من السنة السادسة للبعثة كما يذكر ابن سعد[٤٨] .

عدد المسلمين عند اسلام عمر :

لا تتفق الروايات التي بين ايدينا حول عدد المسلمين عند اسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . فقد اورد ابن سعد ثلاث روايات في هذا المجال وهي :

١ ــ عن معمر عن الزهري قالا : اسلم عمر بن الخطاب بعد ان دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم وبعد اربعين او نيف واربعين بين رجال ونساء قد اسلموا قبله .

٢ ــ عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : اسلم عمر بعد اربعين رجلا وعشرة نسوة .

٣ ــ عن عبدالله بن ثعلبة بن صغير قال : أسلم عمر بعد خمسة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة[٤٩] .

٤ ــ أما ابن عبد البر فانه قدم لنا رواية عن عثمان بن الارقم عن جده الارقم جاء فيها : « كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في داره عند الصفا حتى تكاملوا اربعين رجلا مسلما ، وكان آخرهم اسلاماً عمر بن الخطاب. فلما كانوا اربعين رجلا خرجوا »[٥٠] . وتابعه في الاخذ بهذه الرواية

(٤٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٣٤٣ــ٣٤٦ .
(٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٦٩ــ٢٧٠ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢٦٩ .
(٥٠) ابن عبد البر ، كتاب الاستيعاب ، ج١ ص ١٠٨ .

ابن حجر العسقلاني[٥١] ، واورد هـذه الروايـة من قبل الطبراني في المعجم الكبير[٥٢] .

ويبدو انه من الصعب التوصل الى العدد الحقيقي للمسلمين عند اسلام عمر بن الخطاب استنادا الى الروايات الاتفة الذكر وحدها . وقد حـاول أحد الباحثين احصاء عدد من أسلم في دار الارقـم استنادا الى مـا اورده ابن سعد في الطبقات الكبرى ، وتوصل الى ان عددهم كان ستة عشر صحابياً[٥٣] . فاذا اضفنا هذا العدد الى عدد الصحابة الذين اسلموا قبل دخول الرسـول (صلى الله عليه وسلم) دار الارقم وهـو نحـو ثمانية وعشرين صحابياً كما اوضحنا سابقا ، فان مجموع عدد الصحابة يصل عند اسلام عمر بن الخطاب الى اربعة واربعين صحابياً . ومن الواضح ان هذا العدد لا يبعد كثيرا عـن ما اوردته الروايات الاتفة الذكر .

ان الاختلافات في عدد الصحابة عند اسلام عمر بن الخطاب ، وهـي اختلافات طفيفة ، يمكن ارجاعها الى اختلاف مناهج المؤرخين . « فقد كـان بعضهم يميز بين الرجال والنساء من الصحابة لذلك فالرقم الذي يذكره قـد لا يشمل النساء ، وقد يجعل الخلاف بسبب طريقة الحساب ، فربما يسـقط احدهم من الحساب الاربعـة الاول الذين اسـلموا ومعهم السـتة الذيـن يتبعونهم وهكذا .. »[٥٤] .

الخروج من دار الارقـم :

إن نشاط الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة الى الاسلام في دار الارقم ، وتزايد عدد المسلمين حتى وصل الى نحو اربعة وخمسين مسـلماً

---

(٥١) ابن حجر العسقلاني ، كتاب الاصابة ، ج١ ص ٢٨ .
(٥٢) الطبراني ، سليمان بن احمد ، المعجم الكبير ، الموصل ١٩٨٤ ، ط٢ ، ج١ ص ٣٠٦ .
(٥٣) الحديثي ، مجتمع الصحابة ، ص ١٦٢ .
(٥٤) المرجع نفسه ، ص ١٦١-١٦٢ .

ومسلمة جعل امر اخفاء هذا النشاط والاستتار به عن انظار المشركين امــــراً متعذراً . ومن ثم فقد ازداد الحديث عن وجود الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه في الــدار التي عند الصفا كمــا هو واضــح من الروايــات التــي استشهدنا بها آنفاً .

كما ان تزايد قوة المسلمين ولاسيما بعد دخول بعض الرجال الاقويــاء في الاسلام من امثال حمزة بن عبدالمطلب ، وعمر بن الخطاب ، قد جعل اخفاء امر الدعوة مسألة غير مبررة ولا مفيدة . لذا فان المسلمين قد خرجوا مــن دار الارقم بعد اسلام عمر « وقد عزوا في انفسهم حين أسلم عمر مع اســلام حمزة : وعرفوا انهما سيمنعان رســول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وينتصفون بهما من عدوهم »(٥٥) .

وقد قدم لنا ابن سعد رواية عن صهيب بن سنان تصف حالة المســلمين بعد اسلام عمر بن الخطاب والخروج من دار الارقم جاء فيها : « لما اســلم عمر ظهر الاسلام ، ودعي اليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنــا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به »(٥٦) .

ويبدو ان هذه الحالة التي وصفها صهيب كانت تمثل حالة النشـــوة النفسية التي اصابت المسلمين بعد الخروج من دار الارقم . وكانت تقابلهــا حالة احباط نفسي وشعور بالانكسار عند زعماء المشركين . إلا ان هذه الحالة لم تستمر طويلا .. إذ لم يلبث زعماء مكة ان استعادوا توازنهم النفســي واخذوا يخططون لاحكام الحصار على الدعوة الاسلامية وقد تمثل ذلــك في اعلانهم قرار المقاطعة ضد بني هاشم(٥٧) .

ويلاحظ ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما كان مستخفياً في دار الارقم بن أبي الارقم يوجــه المسلمين ويعلمهــم ويكسب المزيد من الانصــار

---

(٥٥) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٣٤٦ .
(٥٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ص ٢٦٩ .
(٥٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ص ٣٥٠ .

لدعوته كان يحاول ارتياد آفاق جديدة من اجل حماية اتباعه ، ونشر الدعوة والتأثير في موقف قريش . لذا فقد روي انه نصح بعض المسلمين في نحو السنة الخامسة للبعثة ، للهجرة الى الحبشة ، لان « بها ملكاً لا يظلم عنده أحد » وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى ارض الحبشة ، مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة كانت في الاسلام » .

وقد اوضح ابن اسحاق ان اول مجموعة هاجرت من مكة الى الحبشة كانت مؤلفة من عشرة اشخاص . ثم تتابعت الهجرة بعد ذلك(٥٨) .

وهكذا نلاحظ ان هذه المرحلة الحساسة والصعبة من تاريخ الدعوة الاسلامية في مكة التي استمرت نحو السنتين قد ارتبطت بحدثين مهمين من احداث الدعوة وهما الهجرة الى الحبشة ومقاطعة المشركين لبني هاشم مقاطعة اجتماعية واقتصادية حتى يتخلى بنو هاشم عن حماية الرسول (صلى الله عليه وسلم)(٥٩) .

في ختام البحث ، ربما كان من المناسب ان نجيب عن السؤال الذي اثاره الدكتور جواد علي وابقاه معلقاً بدون جواب حينما قال إن الروايات متضاربة في المصادر التاريخية حول « كيفية الاستخفاء ــ في دار الارقم ــ ، هل كان استخفاءً تاماً عن الناس في تلك الدار ، فلا يخرج منها احد من المسلمين ولا يظهرون لاحد ، او كان استخفاءً في اوقات قصيرة من النهار وذلك في اوقات اجتماعهم مع النبي لاجل الصلاة وتوضيح الاسلام ، والتبشير بدين الله وقبول احد فيه ؟ »(٦٠) .

---

(٥٨) المصدر نفسه ، ق١ ص ٣٢١–٣٢٣ ، ٣٤٢–٣٤٣ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ص ٢٠٤ .

(٥٩) للاطلاع على التفاصيل يراجع كتابنا : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، الموصل ١٩٩١ ، ص ١٥٠–١٦١

(٦٠) د. جواد علي ، تاريخ العرب في الاسلام ، ص ١٦٦ .

والحقيقة ان استخفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) واصحابه في دار الارقم لايمكن ان يكون استخفاءً تاماً عن الناس لأن ذلك يتعارض مع اهداف الدعوة الاسلامية نفسها ... ثم هو يتعارض مع ما وصل الينا من اخبار عن استخفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دار الارقم .

لقد اوضحت الاخبار التي تم عرضها في هذا البحث ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يجتمع باصحابه في دار الارقم ليرشدهم ويقرئهم القرآن . كما كان يستقبل في هذه الدار الاشخاص الذين يتطلعون الى الهداية والدخول في الدين الجديد . ولم يكن هؤلاء المسلمون ليمكثوا في الدار سوى بعض الوقت ثم يخرجون مستخفين عن انظار الناس كما دخلوا . ويبدو أن وجود الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسه في هذه الدار كان هو الاخر وجودا في اوقات معينة بدليل وصول اخبار عن ذهابه للمسجد الحرام وحواره مع المشركين ، فضلا عن قيامه بواجباته تجاه اهله وبيته .

وقد ظهر من سياق البحث ان المسلمين لم يستطيعوا ان يحيطوا وجودهم في دار الارقم في السرية المطلقة ، بدليل معرفة المشركين ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) وصحبه يلتقون في الدار التي عند الصفا ، الا انهم كانوا يتغاضون عن ذلك احتراماً لصاحب الدار ، وتجنباً لاثارة المزيد من الانقسامات العشائرية والعائلية فيما لو حاولوا مهاجمة هذه الدار ، او التصدي لمن يوجد فيها . وهكذا فاننا نجد ان الاستخفاء في دار الارقم لم يكن استخفاءً عاماً مطلقاً وانما هو استخفاء محدود ونسبي ، حكمته الظروف السائدة في المجتمع المكي في تلك الاوقات الصعبة ، ونظمت آفاقه متطلبات نشر الدعوة الاسلامية بين الناس .

الخليج العربي
« دراسة في جغرافية السَّوق »

أ. د. علي محمد المياح
عضو شرف / المجمع العلمي

الملخص

يكون الخليج العربي منطقة اقتصادية وسياسية وسوقية لها أهميتها الاقليمية والدولية . وقد تناول الباحثون شؤون الخليج العربي من جوانب مختلفة ولكن جغرافية اعتباراته السوقية بقيت بعيدة المنال لا يشار أليها الا اشارات عابرة لا تفي بالغرض . لذا يحاول هذا البحث أن يتناول ما أغفله الباحثون في هذا المجال ويعرض بصورة أولية أبعاد الجغرافية السوقية التي تتمتع به منطقة الخليج العربي . وتعنى جغرافية السوق بدراسة خطط الحرب والحملات العسكرية وخطط الحركات العسكرية . وتحقيقا لاغراض البحث جاءت دراسة الموضوع على وفق صفحات ثلاث هي :

١ ــ الخليج العربي وموقعه السوقي .

٢ ــ موارد الثروة ، النفط والغاز .

٣ ــ الاعتبارات السوقية الجديدة وتشمل : ــ

أ ــ أنابيب نقل نفط الخليج والنقاط السوقية الساخنة .

ب ــ الجسر البري الأوراسي .

وفي ضوء هذه المتغيرات يحاول هذا البحث التنبؤ بزخم مقومات الخليج العربي وكشف أبعاد جغرافيتها السوقية التي تفرزها على الصعيدين الاقليمي والدولـي .

المقدمــة :

يكون الخليج العربي منطقة اقتصادية وسياسية وسوقية تتميز بأهميـة إقليمية ودولية . فلا يزال جمر الحرب الباردة بين روسيا الاتحادية وحلـف الاطلسي متوهجاً نسبياً . ولاتنال مشاكل القوى العالمية اليوم الا جزءاً مـن اهتمام دول أوربا ، دع عنك الدول البعيدة مثل اليابان والصين على الرغم من الامكانات التي يمكن ان ترفعهمـا الى مصاف الدول العظمى مستقبلا . وليس في افريقيا سوى مشاكل خلفها الاستعمار ويصعب حلها ، ولم تعـد مواردها المعدنية تحظـى باهتمام كبـير في دوائر دول الاستعمار السابقة ، وتضاءلت أهمية جنوب شرق أسيا وأصبح هذا الجزء من العالم ، مـن منظور عالمي ، منطقة سياسية خلفية منذ هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام. ولا تحظى أمريكا الوسطى الا باهتمـام الولايات المتحدة لانها تكون منطقة سوقية ملاصقة لها . وهي أهمية محلية جدا لايعنى بها أحد . ومثل هذا القول يسري على دول حوض المحيط الهادي ولاسيما بعد تدهـور اقتصادها ، ولم تعد تشكل سوى مشاكل سوقية ثانوية صغيرة . ولايتمتع أي اقليم مـن هذه الاقاليم بمورد اقتصادي له أهمية مطلقة لبقية مناطق العالم مثل الخليج العربي بنفطه وغازه الطبيعي وموقعه السوقي .

ولكن منطقة الخليج لها أهمية بارزة اخرى تتصل بموقع يكون جسرا بريا بين أوربا واسيا . كما هي حاجز بري بين روسيا والمحيط الهندي .وبناء على موارد الطاقة واهمية الموقع السوقي تتجه عناية الدول العظمى نحـو الخليج العربي وتتنافس فيما بينها للانتفاع بموارده ومسالكه ، وهـو تنافس لم ينقطع يوما منذ عهود تاريخية سحيقة.

لقد تناول الباحثون شؤون الخليج العربي من جوانب مختلفة ولكـن جغرافية اعتباراته السوقية بقيت بعيدة المنال لايشار اليها الا اشارات عابـرة لاتفي بالغرض لذا فان هذا البحث يحاول ان يتناول ما اغفله الباحثون الجغرافيون في هذا المجال ويعرض بصورة أولية ابعاد الجغرافيـة السوقية التي تتمتع بها منطقة الخليج العربي على وفق صفحات ثلاث .

جغرافية السوق

تحتم الضرورة العلمية ايضاح مضمون هذا الفرع من فروع المعرفة الجغرافية . وهو في جوهره جزء من حقل الجغرافيا العسكرية . ويعنى الباحث في هذا المجال تحليل جغرافية منطقة الصدام والافادة عن ظروف مناخها وطبيعة سطحها وتكويناتها الصخرية وتصريف مياهها وطبيعة نباتها وظواهرها البشرية من قلاع وحصون . وهذه حقائق لابد من معرفتها لكشف جوانب المنطقة من الناحية العسكرية وتقدير الموقف العسكري . ويكشف مثل هذا التحليل آثار هذه الظروف في العوامل التعبوية كالاستطلاع ومناطق الحماية.. وبعبارة اخرى انها دراسة تتقصى تفاعل الظروف الجغرافية والشؤون العسكرية.[1] اما جغرافية السوق فلفظة تدل ، من الناحية العسكرية ، على الاستخدام العلمي لجميع مقومات القوة المتيسرةلدى القيادة لتحقيق الاهداف العسكرية او الاهداف السياسيةبطرق واساليب عسكرية[2].لذلك فانها تعنى بخطط الحرب والحملات العسكرية وخطط الحركات العسكرية . وفي ضوء ذلك ينصب غرض هذه الدراسة على التكهن والتنبؤ بزخم تتعرض له فعاليات وهمية تجري في ظروف مفترضة . أي محاولة كشف أبعاد جغرافية السوق التي تفرزها مقومات الخليج العربي على الصعيدين الاقليميوالدولي . ولعل معرفة جغرافية الخليج العربي يعد أمرا ضروريا في البداية .

جغرافية الخليج العربي :

يشغل الخليج العربي موقعا مركزيا ، من الناحية الاقليمية في منطقة جنوب غرب اسيا . وهي منطقة تبدو للناظر الى الخريطة أول وهلة عبارة عن شبه جزيرة تبرز من كتلة قارة اسيا . وتحيط بهذه المنطقة مساحات مائية في أكثر من جانب ، بحر قزوين والبحر الاسود من الشمال ، والبحر المتوسط

---

(۱) Joseph A. Russel, Military Geography, in American Geography, Inventory and Prospect ' P. E. James and C. F. Jones editors, Syarcuse University Press, Syracuse, 1954, P. 485

(۲) L.C. Peltier and G.E. Pearcy, Military Geography, D. Van Norstand Co., Inc., New York, 1966 P. 32

من الغرب ، ومياه المحيط الهندي من الجنوب الشرقي .• وتتصل المنطقة اتصالا برًا بروسيا الاوربية من ناحية الشمال وبافريقيا من ناحية الجنوب الغربي • ولا تظهر صلة هذه المنطقة بقارة اسيا الا من جهة الشرق • في قلب هذا الجزء من قارة اسيا يظهر الخليج العربي بحيرة عربية تمثل في نشأتها امتدادا طبيعيا لوادي الرافدين • ويقع الخليج من الناحية الفلكية بين دائرتي عرض ١٨° و ٣٠° شمالا • ويضعه هذا الموقع عند الحافة الجنوبية للمنطقة المعتدلة الشمالية،حيث تسود درجات حرارة عالية صيفا يزيد معدلها على٣٢°م•

ويمتد الخليج العربي من الشمال ، ابتداء من مصب شط العرب الى رأس (مسندم) في الجنوب مسافة (٩٦٠ كم) ، اما إتساعه فيتفاوت من (٢٨٨ كم) الى (٤٧كم) عند مضيق هرمز (جيرون) حيث يخرج من هناك الى خليج عمان والمحيط الهندي • وهو بسبب نشأته خليج ضحل المياه يبلغ معدل عمقه (٣٢٨) قدما • وتنتشر في أرجائه كثير من الجزر تبلغ عدداً نحو ١٢٠ جزيرة تكونت بفعل عوامل مختلفة • بعضها نشأ بفعل نشاط بركاني مثل جزيرة (ابو موسى) ، او بفعل عوامل التعرية ، او من رواسب شط العرب مثل جزيرتي (وربة) و (بوبيان) • وكثير من هذه الجزر شطوط رملية او شعاب مرجانية لانبت فيها ولاماء عملت المياه الدافئة او الرياح والامواج على تكوينها•

وتنتظم سواحل الخليج العربي كثير من الخلجان والاخوار منها خور (دُبَيْ) الذي تكون بفعل عملية هبوط تعرض لها الساحل أدت الى اتساعه وعمقه نسبيا حتى أصبح صالحا للملاحة المحيطية • ومنها خور عبدالله في الطرف الجنوبي من العراق الذي أصبح بفعل خطط التنمية القومية ميناءً مهما لرسو السفن المحيطية • ويبدو أن الطرف الجنوبي من الخليج العربي قد تعرض لحركة هبوط اصابت القشرة الأرضية أدت الى تكوّن كثير من الخلجان والاخوار • وتتميز هذه بعمق مياهها بعيدة عن تأثير الرياح العاتية والامواج الصاخبة مثل خور (فكّان) على ساحل بحر عمان ومنطقة (مُسَنْدمْ) • وخلجان هذه المنطقة من الكثرة حتى قيل عنها إنها (نرويج الخليج) •

وعاش العرب على جانبي الخليج العربي منذ أزمنة بعيدة جدا وجعلوا منه بحرا عربيا بلا منازع • فقد استقرت قبائل (الأزد) بعد هجرتها من جنوب الجزيرة العربية ، في عمان والساحل الشرقي ، وكانت البحرين (تشمل المنطقة الممتدة من جنوب البصرة الى عمان) منزلا لقبائل (بكر بن وائل) (عبد القيس) و (تميم) •واستخلص العرب من البيئة الصحراوية والبحرية ميراثا حضاريا جمعوا فيه خبرة واسعة بين ماحوته البيئة المزدوجة ، فليس في الصحراء خير يخفى عليهم ، وليس في البحر شيء الا عرفوه من فنون الملاحة ومسالك البحر وعلم الفلك • وكان للعرب الخليج هدف مشترك واحد هو طرد الفرس وصد عدوانهم ودفعهم بعيدا عن أرضهم .• وكان لهم ماأرادوا فقد دحروا الفرس في معركة (قلهات) في عمان ، وفي يوم (الصفقة) في البحرين وذي قار في العراق • وتعد ايام النصر هذه من أيام التحولات التاريخية الكبرى في تاريخ الخليج العربي •[٣]

وترك العرب في منطقة الخليج أبعادا جغرافية سوقية على شواطىء البحر المتوسط وسواحل المحيط الهندي • فعلى سواحل الخليج العربي طور العرب أول مدرسة ملاحية عرفها التاريخ • ونقل الفينيقيون ؛وهم بالاصل من عرب الخليج، مهارتهم في ركوب البحر الى البحر المتوسط وأقاموا على شواطئه الشرقية دولة تجارية بحرية لها مكانتها في التاريخ ابتداء من سنة (١٦٠٠ ق • م) وتحول البحر المتوسط ، من الناحية السوقية ، من مساحة مائية حاجزة الى طريق عام يربط بين قارات آسيا واوربا وافريقيا[٤] •

وكان لهم نشاط تجاري بارز رسم أبعاد جغرافية سوقية في المحيط الهندي • فقد أرسوا دعائم علاقات تجارية واسعة في أرجائه قبل ظهور الاسلام • ووصلوا الى جزائر الهند الشرقية ، لاسيما جزيرة سومطرة في وقت مبكر من القرن الاول الهجري • ويذكر النويري انهم وصلوا الى جزائر

(٣) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى ، الدار العربية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٧٦ •

John R. Spears, Master Mariners, William And Norgat , London, Year -- , P. 10

السيلي (سيليبس حاليا) شرق اندونيسيا أيام الأمويين وان سفنهم كانت تصل ميناء (لوقين)(هانوي حالياً) اول مرافىء الصين و(خانقو)(كانتون حاليا) فرضة الصين العظمى.[٥] وأصبح المحيط الهندي من الناحية السوقية التجارية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ميداناً لنشاط عربي تجاري . وفي خضم ذلك نقل العرب الى هذه المناطق دينهم ولغتهم وحضارتهم ومبادئهم الانسانية النبيلة التي لاتزال تحتفظ بها .

ولم يقتصر انتشارهم على شرق المحيط الهندي ، بل امتد في وقت مبكر الى غربه على طول ساحل افريقيا الشرقي منذ القرن الاول الميلادي . فقد استقر العمانيون في زنجبار (اي بر الزنج) وامتد نفوذهم السياسي من (مومباسا) و (ماليندي) جنوبا الى (مقديشو) و (اسمرة) شمالا . وبذلك أمتد أمن العمق السّوقي العربي من جنوب ساحل افريقيا الشرقي الى خليج السويس . واصبح هذا الامتداد خطاً دفاعياً مانعاً حال دون اية محاولة عدوانية أجنبية . كما اصبح ، في الوقت نفسه ، قاعدة لانتشار حضاري سلمي حمله العرب الى الجهات التي استقروا فيها . وبقيت تجارة العرب مزدهرة في أرجاء المحيط الهندي على مدى ٧٠٠ سنة . وخلال ذلك اوجد العرب في هذا المحيط ، من الناحية السّوقية العسكرية ، نوعاً من توازن القوى لم يكن معروفاً آنذاك مما اتاح لمختلف مناطق هذا المحيط إستقراراً وأمناً ظلت تنعم بهما قروناً طويلة .

ولم يكن انتشار العرب في ارجاء المحيط الهندي توسعاً بمعناه العسكري وانما كان وسيلة لاقامة صلات تجارية وعلاقات حضارية سلمية . بل ان وجود العرب وقوتهم العسكرية والتجارية حالت دون تغلغل اوربي استعماري الى قارتي افريقيا وآسيا .

---

(٥) شهاب الدين ، احمد بن عبدالوهاب النويري (ت / ٧٣٢هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، السفر الاول، ط ٢ ، ١٩٢٩ ، ص ٢٢٠ — ٢٣٠ .

وكانت للعراق في عصوره التاريخية القديمة علاقات حضارية وتجارية وثيقة بمناطق الخليج العربي بعد أن انتشرت في (دلمون) البحرين و (مگان Magan) عمان معالم حضارة العراق القديم • فمن دلمون كانت السفن تنقل الخشب ومن (مگان) كان يأتي النحاس ، كما كانت سفن الخليج العربي تنقل الى العراق الذهب والفضة ومواد كثيرة اخرى[٦] • واصبحت مكانة الخليج العربية من الناحية السوقية حضارياً وتجارياً وعسكرياً تأخذ عمقاً جديداً كلما تقدم الزمن • كما أمست له صفحات متميزة ، وان تداخلت بحيث يمكن الحديث عن كل صفحة على إنفراد •

الصفحة الاولى ــ الموقع السوقي

ان موقع أي مكان ثابت على الكرة الارضية الا ان وظيفته السياسية والسّوقية في تغير مستمر • وقد ألِف الناس ان ينظروا الى المواقع الجغرافية وعلاقاتها المكانية دون الاخذ بنظر الاعتبار تغير الزمن • ان إغفال هذه الحقيقة لا يقتصر على المواطن فقط وانما على كثير من ذوي المعرفة والاختصاص • وعلى العموم يمكن التعبير عن موقع المكان بطرق مختلفة كالموقع الفلكي او الموقع بالنسبة للمساحات المائية وكتل اليابس ، اي الموقع البحري والموقع الداخلي ، وموقعه بالنسبه لما يجاوره ، او ما يسمى بالموقع المجاور • على كل حال ، لا تخرج المواقع البحرية او الداخلية عن كونها مواقع سوقية اذا خدمت أغراض الهجوم أو الدفاع • ويستمد الخليج العربي أهمية موقعه السوقي من موقع مجاور تلتقي عنده قارات آسيا وافريقيا حيث يكثر السكان وتتنوع موارد الثروة وترسخ جذور الحضارة • والمشكلة السوقية الرئيسة هي صعوبة الدفاع عن خطوط الوصول الى الخليج نفسه من مدخله البحري او البري • وحتى تتضح جوانب هذه الحقيقة لابد من مناقشة مدخليةعلىانفراده•

---

(٦) رضا جواد الهاشمي ، المدخل لاثار الخليج العربي ، مطبعة الارشاد ،بغداد، ١٩٨٠ ، ص ٢٦ ــ ٢٧ •

١ ـ المدخل البحري

يعد البحر كما اسلفنا ، اسهل طريق الى الخليج العربي • فقد ركبه العرب ونقلوا حضارتهم الى المحيط الهندي قبل الاسلام وبعده • ومنه ولج البرتغاليون في مطلع القرن السادس عشر الى سواحله يحملون نذر الشر • فقد غزوا الخليج عام ١٥٠٨م وبسطوا نفوذهم عام ١٥٦٥ على اكثر مدنه حتى البحرين • ولكنهم خسروا معركتهم البحرية مع الانجليز في سنة ١٦١٢م وسنة ١٦١٥م وخرجوا مدحورين بعد معارك (سورات) • ثم اقبل الهولنديون وانشأوا شركة الهند الشرقية الهولندية • ولكن وجودهم زال بخسرانهم معركتهم البحرية مع الانجليز عام ١٧٩٧م • فقد دمر الانجليز الاسطول الهولندي في معركة (كامبردن Camperdon) • ومثل هذا المصير لحق الاسطول الاسباني في معركة (سان ڤنسنت) • ولم يكن حظ الفرنسيين باحسن من ذلك • فقد اسسوا في البداية الشركة الفرنسية لجزر الهند الشرقية الا ان دورهم انتهى في اواخر القرن التاسع عشر • فقد استطاع الانجليز من دحرهم على ارض النيل ، وأغرقوا اسطولهم في خليج (ابو قير) عام ١٧٩٨ ، واغلقوا ابواب سورية في وجه (نابليون) بعد سيطرتهم على (مدينة عكّا) في السنة نفسها • ثم استطال شر الانجليز وعدوانهم على سواحل الخليج بعد أن احرقوا بمدافع اسطولهم مدينة (رأس الخيمة) ودفعوا بأهلها من (القواسم) عام ١٨١٩م بعيداً عن الساحل الى ارض لا نبت فيها ولا ماء •

وفي عام ١٩٠٥ بدء عمل بعض الشركات الالمانية مثل الشركة التجارية الالمانية الفارسية وشركة (هامبورج) للملاحة • وكان غرضها ، على حد زعمهم ، نقل البضائع من اوربا الى الخليج العربي ونقل الحجاج • وكانت المانيا تحرض الاتراك والايرانيين على زيادة اهتمامهم بالخليج • واخذت انجلترا تراقب التحرك الالماني في الخليج العربي بعد ان كانت تعتقد بان روسيا هي المنافس الوحيد لها فيه • فارسلت اسطولا يحر فيه وارسلت

بعثة تجارية الى ايران صاحبتها زيارة قام بها حاكم الهند اللورد (كيرزن) الى ايران والخليج ٠

هكذا تعقدت أبعاد جغرافية السّوق في الخليج العربي ٠ واصبحت مصالح دول غربية تتشابك وتتنازع بعيداً عن مياهه لتحقيق غلبتها فيه ٠ وكانت المساومة الدبلوماسية اساساً لتقاسم المصالح وطريقاً للوصول الى بغيتها على اساس من مظاهر القوة ٠ وتعالت الاصوات في انجلترا لاحتلال مصر ضماناً لاتصالها مع الشرق ٠ وأعلن وزير خارجية بريطانيا اللورد (لانزدن Lansdown) عام ١٩٠٣ : نحن نعد انشاء قاعدة بحرية او إقامة موقع محصن على الخليج العربي من اي قوة اخرى تهديداً خطيراً جداً لمصالحنا ونحن بكل تأكيد سنقاومه بكل الوسائل المتاحة لدينا ٠

ولكن جغرافية السوق في تغير مستمر تبعاً لتغير ظروف مختلفة ٠ ففي عام ١٨٧٥ م دمر الالمان جيش فرنسا وأسروا ملكها وجنده في معركة سيدان ٠ وظهرت المانيا قوة برية لها شأنها في قارة اوربا لا تعادلها الا قوة روسيا القيصرية في شرق القارة ٠ قوتان بريتان ليس لهما سواحل بحرية مهمة ٠ فالمانيا تطل بجبهة بحرية ضيقة على بحر الشمال ، وليس لروسيا سوى سواحل بعيدة متجمدة حددت ابعادها السوقية نحو البحار الدافئة ٠ وهكذا

بدء صراع بين قوة انجلترا البحرية وقوة المانيا وروسيا البرية ٠ وجعلت المانيا مع تركيا قبيل الحرب العالمية الاولى ومدت خطوطها الحديدية السّوقية سوقية جديدة عمادها سكك الحديد ٠ وتحقيقاً لاغراضها السّوقية تحالفت المانيا مع تركيا قبيل الحرب العالمية الاولى ومدت خطوطها الحديدية السّوقية في تركيا والبلاد العربية حتى يسهل عليها نقل جنودها الى مقربة من قناة السويس ٠ وايضاحاً لهذا الغرض كتب (رورباخ) في كتابه المعنون (سكة حديد بغداد) الذي نشر سنة ١٩٠٢ م مانصّه : (يمكن مهاجمة بريطانيا في اوربا عن طريق البر فقط في نقطة حيوية واحدة اسمها مصر ٠٠ فبخسران

بريطانيا لمصر ستخسر جميع مواقعها في الشرقين الادنى والاوسط وفي وسط افريقيا وشرقها)[٧] .

ان هذا التهديد المزدوج لمصر والهند هو الذي اضطر انجلترا الى استخدام قوات برية في العراق وفلسطين على نطاق واسع وبكلفة باهضة . ولم تكن أهمية العراق بأقل شأناً في مخططات دعاة التوسع الالماني ، إذ جعل (فوردريك نومان) و (بول روورباخ) قواعد الامبراطورية الالمانية ترتكز على دنكرك (فرنسا) وريغا (لاتفيا) و هامبورج (المانيا) وبغداد[٨] .

هذه الاراضي الزراعية التي تحف بها بادية الشام من الجنوب والبحر المتوسط من الغرب تكون حلقة وصل منذ العصور الغابرة بين البحر المتوسط والخليج العربي وأصبحت ممراً سارت عبره شعوب كثيرة واتخذه التجار والمسافرون طريقاً في حلهم وترحالهم ، واندفعت في اراضيها جيوش غازية سار على رأسها قادة من امثال الاسكندر الكبير وغيره . وكان وادي الفرات محوراً للحركة ومساراً سوقياً تجارياً وعسكرياً . قال ابو جعفر المنصور وهو يبني مدينة بغداد (... وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك)[٩] .

وبدأ الالمان تنفيذ مخططهم السوقي لضرب المصالح البريطانية بسرعة وشرعوا بمد سكة حديد بغداد . وكشف هذا المشروع عن تعارض المصالح السوقية العليا في كثير من الدول الاوربية . وكانت بريطانيا على رأس الدول المعارضة لانها عدت هذه السكة تمس بصورة مباشرة مصالحها في الهند ووجودها في الخليج العربي والشرق الاوسط[١٠] . وعارضت روسيا مشروع سكة

(٧) Robert Strausz - Hupe, Geopolities, The Struggle For Peace and Power, New York, Put nam's Sons, 1942, P. 39

(٨) Ibid., P. 45

(٩) محمد جرير الطبري (ت/٣١٠هـ) تاريخ الملوك والأمم ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، ج٩ ، ص ٢٣٨ .

(١٠) لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص١٣٦ .

الحديد لاسباب سوقية لان ذلك يضعها على مقربة من حدودها • ولذلك عمدت بدورها الى إنشاء سكة حديد سوقية تمتد بمحاذاة حدودها الجنوبية حتى مدينة (أشقباد) • وكانت روسيا ترى في مد هذه السكة خطراً يهدد مصالحها الاقتصادية والعسكرية واطماعها التاريخية في المنطقة[11] •

اما فرنسا فقد غلبت مصالحها السوقية العليا على موقفها وتحولت من حالة التردد الى موقف ايجابي يتفق ومصلحة رجال المال في بلادها • ولكن الفئات المعارضة وجدت فيها ضرراً يهدد مصالح فرنسا ويقلل من شأن حركة التجارة الدولية عبر قناة السويس[12] •

وهكذا امتدت جغرافية الخليج العربي ، من ناحيتها السوقية العسكرية، الى خارج مساحته المائية • ومن الدروس المستنبطة التي خرجت بها الدول الاوربية وغيرها التي خاضت غمار الحرب العالمية الاولى هي ان هذا الشريط من اليابس الذي يربط بين البحر المتوسط والخليج العربي يكوّن (قناة سويس برية) ولا يمكن استبعاده عن مخططاتهم السوقية • فلا غرو ان اعطى الانجليز لانفسهم حق الانتداب على فلسطين والاردن والعراق عندما اقتسم الحلفاء اسلاب الدولة العثمانية بعد انتصارهم على دول المحور • ولكن العراق اطاح بما ذهبوا اليه وخرج منتصراً عليهم •

الخليج العربي وخطط السوق الكبرى

لا تنحصر أهمية الخليج العربي من الناحية السوقية العسكرية على جانبها المحلي او الاقليمي به تعدت ذلك الى مجال عالمي واسع • ففي عام ١٩٠٤م طرح الجغرافي الانجليزي (هالفورد ماكندر) فكرة منطقة السويداء (heartland) محذراً انجلترا من مغبة سيطرة دولة برية ، وهي دولة

---

(١١) المصدر نفسه ، ص ١١٧ •

(١٢) المصدر نفسه ، ص٥٨ ، ١٠٠ •

بحرية ، على منطقة اوراسيا الشاسعة التي تتميز بتصريف نهري داخلي أو شبه قطبي ، أي منطقة لا تصل انهارها الى البحر • ومثل هذه المنطقة لا يمكن أن تصل اليها قوة بحرية بحكم موقعها الداخلي ، ولا عن طريق أنهار تتوغل فيها من الساحل الى الداخل ، او طريق شبه قطبي يعيق جليده أي حركة • وحسب رأيه ان مَنْ يسيطر على منطقة السويداء يسيطر على جزيرة العالم (قارات العالم القديم) وهذه بدورها تمكنه من السيطرة على العالم(١٣) •

واقترح (فوست Fawcett) وهو جغرافي آخر ، تعديل حدود منطقة السويداء بحيث تشمل البحر المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي ، اي أنه جعل الوطن العربي برمته تقريبا يقع ضمن حلقة التوسع الاستعماري هذه(١٤) •

ان فكرة السويداء تنطوي على نيّة تدعو الى إشعال نار الحرب • فهذه الافكار السّوقية تفصح بوضوح عن منافسة طويلة الامد بين مركز الساحة الاوراسية الشاسعة واطرافها • واصبح الخليج العربي يحتل موقعاً مهماً في الخطط السّوقية التي ترسمها الدول الكبرى بعد أن عمدت القوى البحرية الى الهاء الدولة البرّية في سويداء القارة والحيلولة دون حصولها على قوة بحرية تمكنها من الهيمنة على المحيطات العالمية زمن الحرب • فقد أعرب الوزير البريطاني (ونستون تشرشل) بوضوح عن سياسة بلاده سنة ١٩٣٠م قائلا : ان السياسة الخارجية البريطانية عملت على مدى اربعمائة سنة على معارضة وجود قوة معادية مسيطرة على القارة سواء أكانت هذه الدولة اسبانيا ام الملكية الفرنسية ام الامبراطورية الالمانية ام نظام هتلر(١٥)•

(١٣) Halford J. Mackinder, Democratic Ideal and Reality, Henry Holt, New York, 1919, Reissued 1942.

(١٤) Charles B. Fawcett, Political Geography of The British Empire, Boston, Ginn and Col . 1934

(١٥) Colin S. Gray and Roger W. Barnett, Geopolitics and Strategy : Global Affairs, Vol‘ IV‘ 1989 .

على هذا النحو تسير سياسة الولايات المتحدة إذ انها تعد السيطرة على المواقع الاساسية في اوراسيا تهديداً لها . ويذهب الى مثل هذا القول سبايكمان) استاذ العلوم السياسية الامريكي ، ويؤكد ان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تحول دون قيام مثل هذه القوة في سويداء اوراسيا[١٦] .
تطبيقاً لهذه الحقيقة اشار (رونالد ريجان) الرئيس الامريكي الاسبق عام ١٩٨٧ الى التهديد الذي تتعرض له المصالح الامريكية اذا سيطرت دولة معادية او مجموعة دول (حلف وارشو) على الساحة الاوراسية الشاسعة[١٧] .

وعمد السوفييت في حينه الى الافلات من هذا الاحتواء بطريقة تقليدية هي إيجاد حلفاء لهم عند مؤخرة العدو وعلى مقربة من الخليج العربي حيث استطاعوا الحصول على تسهيلات ملاحية في مجموعة جزر دهلك الواقعة عند مدخل باب المندب ، كما أقاموا علاقات اقتصادية مع بعض دول الخليج . وحاول السوفييت الهيمنة على افغانستان سنة ١٩٧٩م حتى يصبحوا على مقربة من الخليج العربي . فافغانستان لا تبعد عن مدخل الخليج العربي سوى ٦٠٠ كم . كما حصلوا على تسهيلات ملاحية واسعة لاسطولهم في الموانىء الهندية . وهكذا اتخذ السوفييت من الدول المجاورة للارض العربية مدخلا يقودهم الى المواقع السوقية المهمة قرب الخليج العربي والبحر الاحمر .

ان الصورة السّوقية المعقدة التي أحاقت بالخليج العربي على الصعيدين الاقليمي والدولي لا تكتمل من دون مناقشة موارد ثروته مما سيأتي ذكرها .

النفط والغاز الطبيعي

إذا استثنينا تعدين كميات محدودة من النحاس والذهب في عمان ، ووجود مقادير من الحديد والفضة والذهب والرصاص والزنك والخارصين

---

(١٦) Nicholas J. Spykman, America's StrategYon World Politics, Harcourt Brace and Co., 1942.

(١٧) Bruce D. Slawter, Geopolitics, AFramework For Analyzing Soviet Behavior, Global Affairs, Vol. TV , No. 1, 1989.

والكرُوم بمنطقة (الدرع العربي) في المملكة العربية السعودية فـان اهم انتاج معدني في منطقة الخليج العربي يقتصر على النفط والغاز الطبيعـي • ويقدر احتياطي النفط في اقطار الخليج العربي (جدول ٢) بحوالـي (٦٢٪) من مجموع الاحتياطي العالمي • اما احتياطي العالم من الغاز الطبيعي فقد بلـغ سنة ١٩٨٨ (١١٣ر٢) الف مليار متر مكعب كانت حصة اقطار الخليج العـربي تساوي (٢٤ر٢) الف مليار متر مكعب ، او ما يعادل ٢١ر٥٪ من الاحتياطـي العالمي ارتفع الى ٢٥٦١٠ مليار متر مكعب عام ١٩٩٥ (جدول ٤) • وهـذه نسبة متزايدة يمكن ملاحظتها بوضوح ضمن تفاصيل الجدول المذكور •

وستزداد أهمية نفط اقطار الخليج العربي في السنوات المقبلة نتيجـة للمتغيرات الاتية :ـ

أ ـ زيادة سكان العالم الى نحو الضعف (١٢ بليون نسمة) في النصف الاول من القرن القادم ، وما يصاحب ذلك من تفاقم حاجتهم الى مصدر للطاقة لا يمكن توفيره بصورة رئيسة الا عن طريق النفط •

ب ـ تزايد استخدام النفط ومشتقاته في كثير من الصناعات التي توفـر للانسان حاجته من المواد والسلع بكلفة رخيصة نسبياً •

جـ ـ تناقص احتياطي العالم من النفط وصغر المساحات التي لمّا ينقّب فيها عن النفط بعد •

وتحاول الدول المستوردة اختزال استيراداتها النفطية من منطقة الخليج العربي عن طريق :

أ ـ ايجاد مناطق نفطية جديدة كما هي الحالة في نفط بحـر قزويـن وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية مما سيأتي الحديث عنه •

ب ـ تطوير مصادر جديدة للطاقة مثل الطاقة النووية والطاقة الشمسية وطاقة الرياح والامواج ومساقط الماء •

جـ ـ تحسين أداء الالات والمكائن والعربات بما يكفل تقليـص الحاجة

الى النفط ، فضلا عن اشاعة استخدام وسائط النقل العامة في المدينة وفرض ضرائب تعمل على خفض استهلاكه .

ولكن تطوير المصادر الجديدة وتنفيذ المشاريع الاخرى لا يتمان بسهولة ، وهذا يعني ان نفط الخليج العربي ستبقى له اهمية كبيرة على مستويين رئيسين هما :

- مصدر للطاقة المحركة والزيوت اللازمة لحركة الالات والمكائن . وهو أمر له أهمية بالغة اقتصادياً وعسكرياً . فلم يعد النفط يتمتع بمرونة السلع الاقتصادية بعد ان اصبح ضرورة سوقية منذ ان دخلت آلة الاحتراق الداخلي ميدان الحرب في الحرب العالمية الاولى ، وبرزت اهميتها السوقية والتعبوية . فلا عجب ان تحدث (كليمانصو) رئيس وزراء فرنسا أبان الحرب العالمية الاولى قائلا : (لقد ربح الحلفاء الحرب وهم يطفون على بحر من النفط) . ومنذ ذلك اليوم وانتاج النفط واستهلاكه في تزايد مستمر . بل ان البحث عن مكامن نفطية جديدة لم يتوقف حتى في أثناء الازمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم من سنة ١٩٢٩-١٩٣٢ .

- مصدر أساسي للمال والثروة وركيزة مهمة من ركائز الميزان التجاري سلباً او ايجاباً بالنسبة لدول العالم[١٨] .

ويؤيد هذا القول الباحث الفرنسي (جان جاك بيربي) قائلا : (ان الشرق الذي كثر الحديث عنه على ألسنة الخبراء ينحصر أغلبه في الخليج العربي بشكل خاص لكونه قلب الشرق الاوسط جغرافياً وبابه السحري وصندوقه الذهبي الرائع الذي يسيل له اللعاب)[١٩] .

---

١٨) Elizabeth Monroe edt., The Changing Bulance of Power in The Arab Gulf, An International Seminar, AUFS, New York , 1972. PP. 5-42.

١٩) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر ، مطابع الاهرام ، القاهرة بلا سنة ص ١٥٧ .

ويشير السير (لانيل هورت) عام ١٩٥٢ الى اهمية منطقة الخليج العربي للدفاع والهجوم بالنسبة للمصالح البريطانية بعد ان فقدت قواعدها في الهند وباكستان . وان سلامة طرق مواصلاتهم ومستقبل بلدهم من الناحية الصناعية يتوقفان على مقدرة الدبلوماسية البريطانية على بقائهم بالخليج[٢٠] .

جدول - ١ -
تاريخ اكتشاف النفط والانتاج التجاري
في اقطار الخليج العربي

القطر	تاريخ الاكتشاف	تاريخ الانتاج
العراق	١٩٠٩	١٩٣٤
البحرين	١٩٣٢	١٩٣٢
الكويت	١٩٣٨	١٩٤٦
السعودية	١٩٣٨	١٩٣٨
قطر	١٩٤٠	١٩٤٠
الامارات العربية المتحدة	١٩٥٣	١٩٦٥
عمان	١٩٦٢	١٩٦٩

المصدر

محمد مختار اللبابيدي ، النفط والتعاون العربي ، مج ٢٣ ، العدد ٨١ ، ١٩٩٧ ، ص ٩٢ .

(٢٠) المصدر نفسه .

جدول ـ ٢ ـ

تطور الاحتياطي المؤكد من النفط في اقطار الخليج العربي (مليار برميل في نهاية السنة)

القطر	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٥
العراق	٣٢	٣٠	١٠٠	١١٢
البحرين	٠ر٣٥	٠ر٢٣	٠ر١٤	٠ر٢١
الكويت	٨٠	٦٨	٩٧	٩٦ر٥
السعودية	١٤١ر٤	١٦٨	٢٦٠ر٣	٢٦١ر٤
قطر	٤ر٧	٣ر٦	٣	٤ر٥
الامارات العربية المتحدة	١٢٠٨	٣٠ر٤	٩٨ر١	٩٨ر١
عمان	٤ر٧	٢ر٣	٤ر٣	٥ر١

المصدر

المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

جدول ـ ٣ ـ

تقديرات مصادر النفط غير المكتشفة في اقطار الخليج العربي المنتجة للنفط (مليار برميل)

القطر	١٩٨٤	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٩٤	١٩٩٦
العراق	٧٨	٣٥	٣٥	٤٤ر٧	٢٦ر٢
البحرين	غير مقدر	—	—	—	—
الكويت	٤	٣	٤٥ر٧	٤ر٤	٢٤ر٤
السعودية	٥٧	٣٦	٨٦	٦٢ر٥	٦٦ر٤
قطر	غير مقدر	—	١	—	١ر٣
الامارات العربية المتحدة	٧	٥	١٦ر٥	٥ر٧	٣٢ر١
عمان	٢	١	٢ر٧	١ر٨	٢

ملاحظة

اختلاف التقدير يرجع الى اختلاف المؤسسات النفطية التي نهضت بهذه المهمة .

المصدر

المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

جدول – ٤ –

تطور احتياطي الغاز الطبيعي في اقطار الخليج العربي (مليار متر مكعب في نهاية السنة)

القطر	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٥
العراق	٥٢٤	٧٧٧	٣١٠٧	٣١١٥
البحرين	١٤٢	٢٥٥	١٧٣	١٥٣
الكويت	١١٨٩	٩٤٠	١٥١٨	١٤٩٣
السعودية	١٥١٥	٣١٨٣	٥٢٢٣	٥٣٨٧
قطر	٢٢٧	٢٨٠٠	٤٦١٥	٨٩٨٥
الامارات العربية المتحدة	٢٩٠	٢٣٧٠	٥٦٢٣	٥٧٧٧
عمان	٢٥٣	٥٥٨	٢٠٤	٧٥٠

المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

ان نفط الخليج يكوّن عماد حركة الصناعة في غرب اوربا وامريكا واليابان وان مدخله الضيّق ، مضيق هرمز ، يكوّن نقطة مرور تجارية حيوية . اذ تمر فيه يومياً (١٠٠) ناقلة نفط من الجهتين بمعدل ناقلة كل (١٥)

دقيقة[٢١] • ولكن الحال تغير الان مما سيرد ذكره • ولكن المهم ان الخليج العربي مازال يسير في مسالك بحرية لم تتغير هي :

أ ـ خط يسير محاذياً جنوب جزيرة العرب وينفذ الى البحر الاحمر وقناة السويس ومنها الى اوربا والمحيط الاطلسي • وبفضل هذا الطريق اصبحت لميناء عدن وجزيرة سقطرى والقرن الافريقي أهمية سوقية خاصة •

ب ـ خط يسير محاذياً ساحل افريقيا الشرقي الى رأس الرجاء الصالح قبل ان يدخل المحيط الاطلسي • وعلى امتداد هذا الخط تظهر اهمية سوقية لجزر (القمر) وجزر (موريشيس) وجنوب افريقيا•

جـ ـ خط يتجه شرقا مارا بجنوب الهند وبمضايق (ملقا) الى شرق اسيا •

وتبرز الاهمية السوقية لنفط الخليج وابعاده الجغرافية في ضوء حقيقة مهمة هي قيمة مشتريات النفط إذ تستورد الولايات المتحدة وحدها يومياً ما يزيد على (١٠ ملايين) برميل من النفط يأتي معظمه من منطقة الخليج العربي • وهذا يعني ان هذا البلد سيدفع ما يقرب من ١٠٠ مليار دولار ثمناً لمشترياته النفطية اذا استمرت الاسعار على ما كانت عليه في حين ان ما يعود اليها خاصة ، وعلى الغرب عامة ، من مبالغ مشترياتها يبلغ ٣٠٪[٢٢] لذلك اقترحت الدول المستوردة ما يأتي :

أ ـ تشجيع الاقطار الخليجية المصدرة للنفط على تقديم مساعدات مالية الى الاقطار العربية التي تفتقر اليها مثل مصر والسودان وتونس •

---

(٢١) مركز الخليج للدراسات العربية ، تقرير شهري باشراف عمر ابراهيم ، الشارقة ، العدد ٣ ، تشرين الاول ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ •

(٢٢) **Elizabeth Monroe edt., The Changing Balance of Power in The Arab Gulf, Op. Cit. P. 74 .**

ب ـ العمل على إثارة سباق للسلح[٢٣] .

وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن القول ان نفط الخليج العربي عمل على وضع جغرافية سوقية جعل بموجبها الدول الصناعية الاستعمارية تتصارع للحصول على قواعد سوقية تقع بعيداً عن منطقة الخليج . ويمكن ان تتعرف على طبيعة هذا الصراع من ذكر تفاصيل ما استحوذت عليه هذه الدول .

١ ـ الولايات المتحدة

- قاعدة دييجو جارسيا : وتستخدم باتفاق خاص مع المملكة المتحدة ، مدته خمسون سنة وجرى توقيعه سنة ١٩٦٥ خلافاً لقواعد القانون الدولي . وهي قاعدة جوية بحرية جددت تسهيلاتها ما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٨ بمبلغ قدرة ٥٤٢ مليون دولار .
- جزيرة سيشل : وتقع في المحيط الهندي من شرق افريقيا قريبا من جزيرة (ملاجاسي) . ويوجد بها مركز اتصال تابع لهيئة الفضاء الامريكية (ناسا) كما توجد ايضا قوة جوية .
- كينيا : ولها حق استخدام قواعد (مومباسا) ومطار (نان يوكي) وقاعدة كينيا البحرية الرئيسة .
- جنوب افريقيا : ولها حق استخدام ميناء (دربان) و (بورت اليزابث) و (سمنز تاون) . وهذه كلها موانىء تابعة لجنوب افريقيا .
- الصومال : ولها حق استخدام قاعدة (مقديشو) الجوية ، وقاعدة(بربرة): وهما تقدمان للقوات الجوية الامريكية خدمات نقل بري وبحري وصيانة . ويلاحظ ان الصومال تبعد مسافة (١٤٠٠) ميل عن الخليج العربي ، وبالتالي فان لكل ما فيهما يمكن ان يستعمل لاغراض الرقابة البحرية وفي النقل الوسيط . ولكن احداث الصومال الاخيرة وإخفاق العدوان الامريكي عليها وضع حداً لما كانت تمتع به .

---

(٢٣) Ibid .

ــ عُمان : تشمل التسهيلات التي تحصل عليها الولايات المتحدة من هــذا القطر العربي الخليجي ما يأتي :

أ ــ قاعدة الخصب : قاعــدة جويــة صــغيرة في شــبه جزيــرة (مَسَنْدَمْ) قريبة من جزيرة (المعيز) ومضيق هرمز • ونظرا لصغر مساحتها وفقر ظهيرها فان امكاناتها محدودة وهي تلائــم في الاكثر اعمال الدورية البحرية والجوية •

ب ــ قاعدة المصيرة : وهي جزيرة تقع في المحيط جنوب شرق عمــان وتتحكم في الطريق المار الى باب المندب او ساحل افريقيا الشرقي• وقد تم توسيع هذه القاعدة بحيث اصبحت تصلح لتقديم خدمات جوية وتسهيلات بحرية •

ج ــ قاعدتا (ثورمايت) و (سيب) : وهما قاعدتا للطوارىء الجوية ، وتستفيد من تسهيلاتها مجموعة دوريات بحرية وجوية•

ــ المملكة العربية السعودية : تستخدم الولايات المتحدة في المملكة العربية اسراباً من طائرات (ف ــ ١٥) و (ك س ــ ١٠) وحاملات من طــراز (ك س ــ ١٣٥) و (١ ــ ١٣) من قاعدة الرياض • والواقع ان القواعد الجوية الرئيسة في السعودية تتمتع بامكانات حماية وتسهيلات لازمــة لاي تعزيزات امريكية جوية• وتوجد قواعد رئيسة ضخمة في (الظهران) و (حفر الباطن) جاهزة للاستخدام •

ــ البحرين : تستخدم مجموعة قوة الشرق الاوسط الامريكية قواعــد في البحرين • كما توجد في البحرين مجموعة قيادة تابعة لقوة التدخــــل الســريع •

ــ الكويت : سمحت الكويت في نهاية عام ١٩٨٧ للولايات المتحدة استئجار رصيف عام يقف في مياهها الاقليمية • وهذا تسهيل ليس له ما يسبقه •

ومن القواعد السعودية والكويتية تقوم طائرات العدوان الامريكـــي والانجليزي بالاغارة على المدنيين في العراق خلافا لكل الاعراف والقواعـــد الدولية •

٢ ـ انجلترا

اشترت انجلترا بعض جزر مجموعة (سيشل) و (موريشيس) واعلنت انها أرض انجليزية • وتقع هذه الجزر في المحيط الهندي الى الشرق مـــن جزيرة (ملاجاسي) مدغشقر سابقا • وتتعاون مع الولايات المتحدة في قاعدة دييجو جارسيا •

٣ ـ فرنسا

تحتفظ فرنسا بمجموعة قواعد في المحيط الهندي تتيح لها نشاطاً بحريـاً واسعاً لا تتعارض أبعاده السوقية واغراض أنجلترا والولايات المتحدة الا في مجال ضيّق •

وتمتلك فرنسا قاعدة عسكرية في (جيبوتي) التي تقع الى الجنـــوب قليلا من باب المندب • كما تحتفظ بجزيرة (ري يونين) الى الشرق مـــن جزيرة (ملاجاسي) وجزيرة (مايوت) من مجموعة جزر (القمر) الى الغرب منها • وتشرف قواعدها في هاتين الجزيرتين على الخط الملاحي الرئيسي الذي يمر عبر قنال (موزمبيق) متجهاً نحو رأس الرجاء الصالح •

من هذه التفاصيل يمكن ان نتبين ما يأتي :

أ ــ ان معظم هذه القواعد توجد على الارض العربية •

ب ــ ان ذراع حلف الاطلسي ، ممثلا بقواعد امريكا وانجلترا وفرنسا ، يحيط بنفط الخليج العربي ويتحكم بمساراته •

جـ ــ ان هذه القواعد ، وان خضعت لادارة احدى هذه الدول ، فـان استخدامها يتم على وفق تنسيق بين الجميع •

د ــ ان كنز النفط العربي يخضع لاشراف قواعد اجنبية الى درجـــة خطـيرة •

٤ ـ روسيا

تغيرت الابعاد السوقية الروسية في المحيط الهندي والارض العربية بعد ان انقصمت عرى الاتحاد السوفيتي ، فلم تعد روسيا تجد لها تسهيلات في جزيرة سقطرى جنوب اليمن ولا في مجموعة جزر (دهلك) الحبشية ولم يعد لها حق استخدام قواعد (كام ران) و (دنانغ) في فيتنام •[٢٤] بل لم تعد لها قابلية وجود قوة ضاربة بحرية في المحيط الهندي اعتماداً على تسهيلات في الموانىء الهندية • لقد ادى انهيار حلف وارشو سنة ١٩٨٩ واستقلال الجمهوريات السوفيتية الى انكماش مساحتها نسبياً ، وتناقص عدد سكانها ومواردها وفقدان كثير من مواقعها البرية والبحرية وضعف قدراتها العسكرية الى تحول واضح في مكانتها الدولية • ولكن هذا لا يعني ان روسيا اهملت الجانب السوقي للخليج وانه يعد خاصرة روسيا ومنطقة وهنها • ولا تزال احلامها تداعب الكثيرين من الروس امبراطورية تمتد من القطب الشمالي الى المحيط الهندي •

٥ ـ الهند

للهند مصالح متعددة في الخليج العربي ، فمنه تستورد حاجتها من النفط ، كما تحصل على قروض وتسهيلات مالية من اقطاره لدعم استيراداتها ، فضلا عن وجود جالية هندية يزيد عددها على (١٫٢٥) مليون تعمل في مختلف اقطار الخليج • ويمكن ان نتلمس جغرافية السوّق الهند من ناحيتين :

أ ـ الناحية العسكرية : طورت الهند صناعتها العسكرية وامتلكت ناحية التقنية النووية وفجرت سلاحها النووي في يومي ١١ و ١٣ أيار ١٩٩٨ مختبرة (٣) قنابل نووية حرارية من عيار ٤٥/كيلو طن

---

(٢٤) جاندرا كومار ، المحيط الهندي ، مثار ازمة ام منطقة سلام ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٦ •

واخرى من عيار (١٠ كيلو طن) ، وثالثة من عيار (٢ / كيلو طن)[٢٥] .

واطلقت صاروخاً يصل مداه الى (٢٥٠٠ كم) . ومعنى هذا ان الهند أصبح بامكانها نشر مظلتها النووية من اقصى شمال الخليج العربي الى مضايق ملقا والى وسط المحيط الهندي . اي من منابع النفط في الخليج العربي الى منافذه نحو شرق آسيا ومساره الى باب المندب وشرقي افريقيا . كما يمكنها تحديد قاعدة (دييجو جارسيا) الامريكية الانجليزية .

ب ـ الناحية السياسية ، المشاركة مع بقية دول المحيط الهندي بوصفه منطقة سلام خالية من السلاح النووي . وهذا مسعى ساهمت فيه تطبيقاً للقرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم في ٩ كانون الاول سنة ١٩٧٤ . فقد كان العراق من اعضاء اللجنة التي تشكلت لدراسة هذا الامر . ولكن الهند اليوم على غير ما كانت عليه بالامس حتى انها الان ترفض التوقيع على معاهدة الحظر النووي وانتشار الاسلحة النووية .

٦ ـ الصين

لا يخلو الخليج العربي من تنافس أو صراع بين الدول الكبرى لا يظهران للعيان أحيانا مثال ذلك الصراع الصيني الروسي ، فالروس في حاجة متزايدة الى نفط الخليج بعد ان تناقص خزينهم النفطي . وتنصب عنايتهم على ايجاد استقرار سوقي ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة ان يكون مصحوباً باستقرار سياسي . وللصين ابعاد سوقية خاصة بالمنطقة ، واختلاف رأي هاتين الدولتين لا يسهم في استقرار المنطقة . ويزيد الامر تعقيداً تعارض ابعاد السوق

---

(٢٥) ممدوح عطية ، القدرات النووية الهندية وتطوراتها ، السياسة الدولية ، القاهرة ، ١٣٣ ، ١٩٩٨ ، ص٢٤٦ .

الصيني والامريكي • ومثل هذا التنافس قائم بين الدول الغربية نفسها إذ كل يحاول ان يجد له منفذاً لدخول المنطقة والبقاء فيها على مستويات مختلفة ولكن حدة التنافس لا تبلغ حد الخصام بينها •

لقد عبرت الصين عن اهتمام متزايد من تدخل القوى العظمى بشؤون الخليج العربي والشرق الاوسط • فقد اكد وزير المواصلات الصيني (تشانج بو ـ تشن) ضرورة تزايد تجارة بلاده مع الغرب ، واصرّ على مدخل صيني حر لا ينقطع الى الشرق الاوسط • وتحاول الصين ان تحصل على موطأ قدم سياسي راسخ في الاقليم • وتنشط تجارة الصين حالياً في منطقة الخليج ، كما انها تجد سوقاً متزايدة فيه لمبيعات سلاحها •

هكذا أصبح الخليج العربي بأهميته المزدوجة التي تجمع بين موقعه السوّقي المهم وغزارة اتاجه النفطي منطقة صراع تتقاطع فيه جغرافية سوْق ترسم ابعادها دول عظمى ، وتظلله سحابة سلاح نووي بدأت تعمل على إيجاد وضع سوقي جديد ليس بمقدور الدول العظمى الحد من أهميته او العمل على تحاشي مخاطره • ولكن الامر لا يقف عند هذا الحد اذ ان هناك اعتبارات اخرى تلقي بثقلها على جغرافية سوق الخليج •

الصفحة الثالثة : الاعتبارات السوقية الجديدة

ذكرنا آنفاً ان جغرافية المكان ووظيفتها السوقية في تغير دائم تارة يحدث ما يرفع من شأنه وتارة يضعه في موضع النسيان • ولعل طرق نقل نفط الخليج تحتل مكانة خاصة في هذا المجال •

ا ـ انابيب نقل النفط الخليجي

يُعَدُّ مضيق هرمز ، كما سبق ذكره ، مدخلا بحرياً للخليج العربي • وكان يمر عبره عام ١٩٨٠م نحو (١٦٫٥) مليون برميل من نفط الخليج يومياً • ولكن هذ المقدار اخذ بالتناقص حتى انخفض الى (٦٫٥) مليون برميل • ويتوقع المحللّون ان يصل هذا الرقم الى (٥) مليون برميل قبل انقضاء هذا

القرن . ولا يعزى هذا الانخفاض الى تراجع صادرات نفط الخليج ، ولكنه يرتبط إرتباطاً جزئياً ، بشبكة الانابيب الجديدة التي بدأت تنقل النفط منذ مطلع العقد التاسع من القرن . فقد بدأت السعودية تضخ نفطها عبر انابيب الى البحر الاحمر جنوباً ، والى البحر المتوسط غرباً والى ساحل عمان المطل على المحيط الهندي شرقاً . وتمتد خطوط نفط العراق عبر سوريا وتركيا الى منافذ لها على البحر المتوسط ، كما يسير خط آخر موازيا لانبوب نفط السعودية الى (يَنْبُع) على البحر الاحمر . وكان لكل هذا اثره في الحد من شدة الاختناق عند مضيق هرمز ، ولكنه اوجد في الوقت نفسه مجموعة نقاط سوقية ساخنة في اماكن اخرى بعيدة عن الخليج نسبياً مثل (جيبوتي) (الحبشة) ، (جنوب اليمن) و (السويس) . وهكذا احدثت هذه الانابيب تغيرات بعيدة المدى واوجدت علاقات دولية جديدة . ولكن هذا لا يعني ان الخليج العربي لم يعد مكاناً بالغ الاهمية . فمهما يكن فان اقطار الخليج تملك نحو ثلثي الاحتياطي الثابت من النفط . وان خطوط الانابيب عملت على تغيير نقاط الشحن ولكنها لا يمكن ان تنقل حقول النفط . ان تنوّع مخارج النفط ومنافذه لا تجعل العالم ، في الحقيقة ، احسن بكثير مما هو عليه .(٢٦)

ان تقلص الاهمية النسبية لمضيق هرمز قد أدت الى وجود مواقع سوقية مهمة جديدة ليس من السهل الدفاع عنها كما يرى بعض المراقبين في الغرب . واصبح تصدير النفط عن طريق البحر الاحمر والبحر المتوسط يتزايد يوما بعد آخر . وصاحب ذلك وجود مجموعة مواقع جديدة لازمات محتملة .

ب ـ الجسر البري الاوراسي

مشروع ضخم يربط بين سواحل اسيا على المحيط الهادي وسواحل اوربا على المحيط الاطلسي . وتخرج منه فروع تصل الى مناطق مختلفة .

---

(٢٦) Micheal Cunningham, Hostages To Fortune, Brassey's Defence Publishers, New York, 1988, PP. 28-29.

وكانت سكة الحديد التي تمتد بالاصل من فلاديفوستك قد بلغت سواحل الخليج العربي قرب مضيق هرمز • فالمصالح العالمية بطرق التجارة التي تمر عبر الخليج لا تنحصر بالبحر فقط • فقبل ان يحتل الخليج مكانته المركزية على مسرح العالم بفعل نفطه وغازه فان سواحله الشمالية كانت جسراً برياً مهماً يربط بين الشرق والغرب • ومع ان الحفاظ على الطريق البري المؤدي الى الهند لم يعد حجر الزاوية لسياسة انجلترا الخارجية ، فان قلة من ساسة الغرب او آسيا من ينظر الى فقدانه نظرة هادئة متزنة • فقد قيل الكثير عن الطموح الروسي للوصول الى المياه الخليجية الدافئة وما يترتب على ذلك من تهديد مصادر الطاقة التي يعتمد عليها الغرب والشرق على حد سواء • وقد أبدت الصين اهتماماً متزايداً بتدخل السوفييت وامريكا في شؤون الخليج العربي والشرق الاوسط • واصبح الحفاظ على جسر بري حر الى آسيا عنصراً ضرورياً في مسألة السلم العالمي ، ويسمي بعضهم هذا الجسر طريق (الحرير الجديد) • وهو في جوهره محاولة لكسر عزلة اواسط اسيا وربطها بشبكة الاقتصاد العالمي • فضلا عن تطوير مساحات واسعة صينية وروسية • وقد وجدت انجلترا في هذا المشروع معارضة لمصالحها التجارية وبدأت تعمل على اثارة المشاكل في الصين وتفكيك وحدتها متخذة ذرائع كاذبة لتحقيق مآربها • وهكذا يرتبط الخليج العربي ثانية بخطط اقتصادية سوقية لهما ابعادها العسكرية • وعلى الرغم من وجود عسكري غربي واسع في المنطقة فان الخليج لم يعد ، كما يبدو ، بحيرة غربية • فالروس لهم وجودهم على الرغم من وهن اوضاعهم الاقتصادية والعسكرية كما للصين كلمة تقال وتسمع • ثم جاءت شبه القارة الهندية من الهند والباكستان بسلاح نووي لم يكن يحسب له حساب على الرغم من بدايته المتواضعة • وقد اظهرت احداث شبه القارة الهندية تكتلات دولية وعلاقات سوقية بين هذين البلدين واطراف اخرى ليس فيها ما ينفع منطقة الخليج العربي •

الخاتمة

ينفرد الخليج العربي بسمة فريدة يندر ان توجد في منطقة اخرى من العالم . فمنذ فجر الحضارة ، ولا تزال ، ترسم ابعاداً سوقية لكثير من دول العالم ، بعضهم اصطرع على مياه الخليج ، وبعضهم تحارب بعيداً عنه للسيطرة عليه.هذه منطقة فاعلةفي السياسة الدولية تتزايد فاعليتها على من الزمن. وهي فضلا عن ذلك ، منطقة تتعارض فيها امور كثيرة قد ينجم عنها توازن مفاجىء تتخطى آثاره حدودها الطبيعية . فالخليج العربي منطقة تلتقي عندها حضارات مختلفة ومعتقدات متنافرة ، وعلى حدودها تلتقي آسيا بأوربا حيث تمتد بقاع الجنوب الفقير (العالم الثالث) الى تخوم الرفاه النسبي الذي يتمتع به نصف الكرة الشمالي ، من هنا سيمر نفط جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية وتتزايد مقادير النفط المصدرة من سواحل الخليج ، انها منطقة تغير مستمر وصراع دائم ، منطقة لا يمكن تجاهلها حتى قيل إنها منطقة زلزال دولي .

وفي خضمّ هذه المطامع الاستعمارية المتناقضة يعمل العراق باستمرار على إعادة بناء قدرات الامة العربية وتشييد مرتكزاتها الذاتية كلما اصابها الضعف وانتابها الوهن ، ويبذل بسخاء تضحيات جساماً تُفْسِدُ على الطامع اطماعه وتقلب موازين القوى ، ويثير في وجه الغرباء الطامعين كارثة تطيح بهم .

« دراسات في التنظيمات السياسية والادارية في العصــور المبكــرة »

الاستاذ الدكتور احمد مالك الفتيان
قسم التاريخ ــ كلية الآداب
جامعة بغداد

الملخــص

كانت الغاية التي تشغل فكر سكان وادي الرافدين هي تنظيــم المجتمع وتوطيد وجوده لكونه المجال الخصب للنشاط البشري ، فالعلاقــة السلطوية هي المحرك الاساسي للحياة السياسية في وادي الرافدين فهي تعبر عن العلاقة بين الحاكم والمحكومين ، ولاشك أن اصول نظــام الحكم في وادي الرافدين قد مرّت بمراحل متعاقبة من التطور حتى بلغت درجة النضــج والازدهار • وعلى أي حال فأن معرفتنا لنظام الحكم بصورته البدائية تبدأ في عصر فجــر السلالات إذ يفهم إن سلطة المجتمع تمثلت في مجلس عام يتألف من المواطنين الذين كانوا يدعون الى الاجتماع في حالات الحروب والازمات ، وكان لهذا المجلس الحق في أن ينتخب من بين اعضاءه رجلاً كــان يدعــى ألــ (إن = en) وكانت سلطته محدودة ومقيدة بسلطــة وصلاحيــة المجلس • ثم تطور المنصب الى منصب آخر اكثر سلطة من السابــق ودعي بــ (الانسي) والذي يعني حرفياً (امير) وهو الــذي يتولى نظام دولــة المدينة ، ثم تطور المنصب عبر التاريــخ الى منصب الملك (اللوكال) والــذي له سلطات اوسع من السابــق •

صفحات مشرقة في الحضارات العراقية القديمة

تتفق وجهات نظر العلماء المختصين في حقل التاريخ القديم على اختلاف جنسياتهم وميولهم واتجاهاتهم على اصالة الحضارة التي نشأت وازدهرت في بلاد وادي الرافدين وعلى روعتها وتأثيرها على ما حولها[1] من حضارات ومساهمات كبيرة وفعالة في إغناء الحضارة البشرية بصورة عامة . وهذا يعني أن هذه الحضارة قد أدت الدور الكبير في إرساء قواعد الحضارة الانسانية .

ولا يعني تقديرنا العلمي لوجهات النظر اننا نتفق مع اصحابها في جميع ما ذهبوا اليه من آراء ونظريات جملة وتفصيلا لاننا ننطلق من منهجية وفلسفة عربية صحيحة حول اعادة كتابة التاريخ على وفق وجهة النظر القومية . لان النظرة الى التاريخ قد تختلف من باحث الى آخر وقد يندفع بعض الباحثين في تفسيراتهم للتاريخ وأحداثه ويتوصلوا من خلال ذلك الى آراء ونظريات قد تجانب الحقيقة وفي محاولتنا هذه حرصنا أن لا نقع في الخطأ نفسه بل حاولنا هنا في هذا البحث الموجز ان نستعرض أحد منجزات العراق الحضارية التي حققها ــ كان بلاد وادي الرافدين في عصر مبكر وموغل في القدم وقد فسرت هذا الحدث من خلال نظرتنا القومية فنحن لسنا بحاجة الى تزوير التاريخ او اصطناعه كما عبر عن ذلك قائد مسيرتنا ورمز عزتنا الرئيس القائد « صدام حسين » حفظه الله ورعاه إن نظرة خاطفة الى المنجزات الحضارية تبين الحقائق التي أثبتتها التحريات الاثرية والدراسات العلمية الحديثة .

---

(١) فاضل عبدالواحد ، من الواضح سومر الى التوراة بغداد ١٩٨٩ ص١٧٣.

وتؤكد اصالة الحضارة الرافدينية وامتداد جذورها الى عمق التاريخ حيث كان مولد الحضارة البشرية جمعاء . وهذا ناتج بدون شك عن الدور الاول والاساسي الذي أداه الانسان العراقي القديم في نشوء الحضارات الاصلية التي قامت في هذه البقعة الجغرافية في العالم وتطورها ، وجهوده القصوى التي بذلها كانت من العوامل الاساسية والرئيسة التي ادت الى نشوء اولى الادارات المركزية واولى اشكال التنظيمات السياسية في العالم القديم .

الاصل الالهي للسلطة السياسية البشرية :

هناك نص قديم يروي بأن ألها يدعى انليل كان قد قرر اقامة مملكة على الارض وقد فوض هذا الاله من يختاره من البشر واعطاه سلطة يأخذ فيها على عاتقه مهمة ادارة المدينة التي يحكمها[٢] .

إن هذا يعني أن تصور العراقي القديم كان حاسما ومؤكدا على ان السلطة التي جاءت الى الارض من السماء . وعلى هذا الاساس فنحن نستقي معلوماتنا عن المعتقدات الدينية والقيم الاخلاقية نسكان العراق القديم من نصوص متنوعة تشمل الاساطير الملحمية والقصص والطقوس والصلوات والتعازيم الدينية والتراتيل ، هذا فضلا عن قوائم تحوي اسماء الالهة . وعليه فمن خلال دراسة هذه الاساطير السومرية والاستنتاج الذي توصل اليه العالم جاكبسون[٣] تبين أن هناك مجلسا في السماء يضم الاله انعكس بدوره على

---

(٢) مزيد من التفاصيل ، انظر ، فاضل عبدالواحد المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٣) توكيلد جاكبسون واخرون / ما قبل الفلسفة ، ترجمة جد ابراهيم بيروت ٢١٠ .

الارض ليمثل هذا الشكل نشوء(*) نظام الحكم المرهون بمجلس شـــورى الدولة وتطوره .

وملخص هذه النظرية أن السلطة العليا في أقدم المدن السومرية كانـت بيد مجلس شارك في حكم الدولة (دولة المدينة) في عصر فجر السلالات[٤] وخير مثال نعزز به رأينا هو أن ما حصل ما بين كلكامش ملك الوركاء وجـاء حاكم كيش يبرز قوة المجلس في اتخاذ القرار وصنعه حيث انه عندما جـاءت رسل من ملك كيش الى الوركاء كان على كلكامش حاكم المدينة ان يعـرض على مجلس المسنين (الشيوخ) احد امرين اما القتال او الاذعان للشـــروط والاستسلام غير المشرف وان يعرض في الوقت نفسه على مجلس الشـــباب الموضوع نفسه وبالفعل تم الاستفتاء حول الموضوع واخذ برأي المجلـس ان وجود مثل هذه المجالس كان حقيقة فعلا وهو امر لاشك فيه . ان هــذه النظرية تعني أن هناك اجتماعا للالهة في مجلس لها فهو تنظيم ارضي انعكـس على حكم السماء على وفق التصورات الدينية[٥] .

إن هذا يعني حسب العقيدة السومرية التي عدّت ان جميع الظواهــر الطبيعية تسير على وفق رغبات الالهة ولا يوجد شيء في العالم خارج نفــوذ الارادة الالهية أي أن تنظيم مجلس الالهة يبدو باستحسان الرأي المطــروح والخاص بالاله الرئيسي الذي يكون بالطبع قد حاول ان يعطي انطباعا عـــن رأي الاكثرية بصرخة مدوية«ليكن كذلك»فإن كانت هذه تعكس طبيعة وطريقة البشر فتكون مجالس شـــورى الدولة السومرية للرأي العام وان غاية المجلس

(*) ان الملوكية وشاراتها كانت موجودة في السماء قبل وجـود الملوك مــن ابشر وهذا يعني ان مصدرها الهي . والشارات هي اتباع وعرش الملوكية والصولجان فهي هبة الالهية تمنحها لم تختاره من البشر .

(٤) عامر سليمان ، محاضرات في التاريخ القديم ، الموصل ١٩٧٨ ص٨٤ .

(٥) فوزي رشيد ، المعتقدات الدينية في حضارة العراق بغداد ١٩٨٥ جـ١ .

المشار اليه هو في الحقيقة إثارة الاسئلة حول تنظيمات[٦] الدولة ونشــــر العدالة وتسلم توجيهات الحاكم ودراستها واعطاء القرار المناسب[٧] .

ويستشف من هذا البحث ان السلطة العليا[٨] كانت بيد هذا المجلــس لان سلطة الحاكم مقيدة فلم يكن بمقدوره مثلا اتخاذ قرار منفرد بشأن الامور الخطيرة والحاسمة كأعلان الحــرب او عقد معاهــدة او معالجــات الحــالات الطارئة التي تنذر بالخطر . وكان لكل مواطن حق الكلام غير ان رأي بعضهم « الشيوخ او اصحاب الشورى » كان طبيعيا اكثر وزنا واهمية في إبــداء الرأي واعطاء المشورة وكان القرار في النهاية يعلن من قبل مجموعة صـغيرة ولا يشترط الوصول الى قرار نهائي بالاجماع[٩] .

إن هذا يقودنا بدون شك الى تفنيد الخطأ الشائع لدى بعض المستشرقين القائل بان لسلطة الدولة المتمثلة بشخصية الحاكم في كل دولة مدينة من بلاد وادي الرافدين تملك القرار النهائي في ادارة شؤون الدولة مستندين بذلــك الى النظريــة التي تــرى أن اراضي المعبــد هي اراضي اله المدينة فهو المالك الحقيقي للارض إن هذا لا يعني اعطاء الحق للحاكم امتــلاك كل الاراضــي ولا يعطي له حق التصرف بها[١٠] لان السلطة قد تبلورت نتيجة التطــور السياسي لنظام الحاكم في بلاد وادي الرافدين وتميزت باستقلال ذاتي نتيجــة نمو قوة الدولة[١١] واستقلال السلطة عن الكهنوت وانفصال المعبد عن القصر حيث احدث خطوة نحو التوسع الكامل لدولة المدينة ودخولها في صراعــات

---

(٦) فاضل عبدالواحد ، مصدر سابق ١٩٨٩ ص ١٣٣ .
(٧) هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ١٩٧٩ ص٥٦ .
(٨) ساكز مصدر سابق ص ٥٦ .
(٩) المصدر نفسه ص ٥٧ .
(١٠) كريم / السومريون ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ١٩٧٥ ص ٩٩ .
(١١) ديفيد جوان اوتيس ــ نشوء الحضارة ــ ترجمة لطفي الخوري بغــداد ١٩٨٨ ص ٢٨٨ .

سياسية فهي كما يذكر الاستاذ الدكتور فاضل عبدالواحد[١٢] تسلط الاضواء على العلاقات بين دول المدن السومرية المتعاصرة وعلى التنظيمات السياسية لدولة المدينة فهي من خلال النص السومري الذي يعود (لأنتيمينا) احد امراء لكش « سلالة لكش الاولى »

يذكر هذا الملك تفاصيل النزاع والحرب التي حصلت بين مدينة لكش ومدينة اما فهو يعطينا اهمية كبرى من حيث قيمته التاريخية لمسألتين مهمتين الاولى الاشارة الى مبدأ التحكيم والثانية الى اقامة منطقة منزوعة . ومما لاشك فيه أن الادارة السياسية في العراق القديم كانت قد تكونت في ظروف خاصة أهلتها طبيعة المجتمع في دولة المدينة منذ نشأتها الاولى وكان نظام الحكم المتبع استشاريا[١٣] .

وهذا يعني أن السلطة ترتكز بيد مجلس من ابناء دولة المدينة والذي بدوره ، كما مر سابقا ينشطر الى مجلسين الاول يتكون من المسنين وذوي النفوذ الاسري والثاني يضم الشباب القادرين على حمل السلاح والدفاع عن ممتلكات الدولة اذن يفهم هذا ان السلطة الجماعية « مجلس الدولة »[١٤] هي المعول عليه في إدارة نظام الدولة فهي المعيار الاول للاصول الاولى للسلطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تنظر في القضايا العامة التي تهم الدولة والمواطنين على حد سواء . .

فكان هذا المجلس العام بحق اقدم مجلس برلماني يمثل الشعب في تلك الفترة الموغلة في القدم ولدينا من الادلة الشيء الكثير على وجود هذا النوع من البرلمان الاستشاري وهذا ما حدا بالعالم الاثاري جاكبسون[١٥] من ان

---

(١٢) فاضل عبدالواحد ، مصدر سابق ص ١٣٣ .
(١٣) سامي سعيد ، حضارة العراق بغداد ١٩٨٥ ص ٢١ .
(١٤) جاكبسون / مصدر سابق ص.٢١٠ .
صموئيل نوح كريمر ، من الواح سومر ، ترجمة طه باقر ، بغداد ١٩٥٧ ص ٩٢ .
(١٥) حول نظرية جاكبسون ـ ينظر المصدر السابق .

يستنتج من خلال دراسة الاساطير والنصوص التاريخية التي اعتمد عليها في تركيبه دولة الكون « مجلس الالهة » وكيف فسر ان الانسان العراقي القديم قد جعل تصوره للكون تصورا ينعكس على نفسه في صورة المجتمع الارضي أي أنه بالمفهوم الفلسفي حسب تفسير جاكبسون « لقد رأى النظام الكوني كنظام من الارادات اي الدولة » وهذا يعني انعكاساً كاملا لهذه الفكـرة في عقلية سكان العراق القديم على صورة الدولة السماوية ٠

وعلى هذا الاساس فان الافتراض بان فكرة الدولة الكونية هي المعيـار الاول الذي تبلورت عنه الدولة الارضية في تلك الحقبة الموغلة في القدم وهذا يعني ان مجلس شورى الدولة هو النمط السائد لنظام الحكم والمرتكـز الاول لصناعة القرار السياسي سلبا وايجابا،لذلك ومن خلال استقراء النصوص الكتابية وبالاخص منها الادبية المتعلقة بالاساطير والملاحم البطولية التـي سلطت الاضواء على الكثير من المعلومات بهذا الخصوص والتي كونت مـادة ثرية استطعنا من خلالها ان نتتبع ونستنتج حقيقة تخص النظم السياسـية في بلاد وادي الرافدين التي هي بدون شك متمثلة بالنظام البرلماني الاستشاري أي أن الحكومة قد ارتكزت بيد المجلس(١٦) العام الذي يحوي في جنبـاته جميع الاحرار البالغين وهذا يعني انه مهما تكن سـلطة الحاكـم وتسـميتها وتطورها من الابن الى الانسي وحتى اللوكال كانت بدون شك مقيدة بقرار هذا المجلس وتحديد السلطة السياسية الممنوحة له وان هذا المجلس يعقـد ليقرر ما يجب ان يفعله تجاه الامور الطارئة والمستجدة اما في الحـالات الاعتيادية فان الامور تدار من قبل حاكم منتخب من هذا المجلس والـذي يخوله بسلطة وصلاحيات لتصرف الامور ومن حـق المجلس ان يسحب تلك

(١٦) ساكز ، مصدر سابق ١٩٧٩ ص ١٨٦ جاكبسون ، مصـدر سـابق ١٩٦٠ ص ١٤٩ ٠

عبدالرضا الطعـان ، الفكـر السياسـي في العـراق القديـم ، بغـداد ١٩٨٠ ص ٢١٢ ٠

الصلاحيات . إن هذا يعطي تفسيرا واضحا لا بأس فيه هو ان سلطة المجلس لها اهميتها في حكم الدولة وتصريف شؤونها فهي إذن تمثل فئة اجتماعية سلطوية[١٧] . وهذا يعني أن أعضاء المجلس لهم الحق في إبداء الرأي والمناقشة التي تستمر عندما تطرح القضايا في المجلس والتواصل في النهاية الى القرار المناسب[١٨] بالاجماع مع الاخذ بنظر الاعتبار رأي الشيوخ وهذا انعكاس واضح لما هو وارد في قصة الخليقة البابلية[١٩] .

وخير مثال نسوقه هو ما ذهب اليه الدكتور فاضل عبدالواحد في كتابه الموسوم من الواح سومر الى التوراة في صفحة ٢٥٠ وما بعدها ان ما جاء بقرار الالهة التي اجمعت وبايعت الاله وتوج ملكا عليها وقائدا لها في الحرب مع تيامة وهذا يعني النزاع بين الالهة الكبيرة والصغيرة (مجلس الشيوخ ومجلس الشباب)

« يا مردوخ انت بالحق من يثأر لنا .

وها نحن نبايعك على ملوكية الكون بأجمعه .

وعندما تأخذ مكانك في المجلس فستكون كلمتك هي العليا .

وسوف لا تقهر اسلحتك بل إنها ستحطم أعدائك .

يا سيدنا انقذ حياة من وضع ثقته فيك .

وازهق روح كل إله اقترف معصيته .... الخ . »

---

(١٧) الطعان ، مصدر سابق ١٩٨٠ ص ٢١٧ .

(١٨) ساكز ، مصدر سابق ١٩٧٩ ص ٥٧ .
طه باقر ، المقدمة في اداب العراق القديم بغداد ١٩٧٦ ص٧١ وما بعدها .

(١٩) فاضل عبدالواحد علي ، مصدر سابق ١٩٨٩ ص ٢٥٠ .

× الابن اول منصب انتخب لادارة دولة المدينة السومرية في عصر فجر السلالات وكان وبني بالدرجة الاول .

× الانسي ، تعني الامير او الحاكم (منصب دنيوي) .

× الوكال ، الرجل العظيم وتعني ملكا .

وهذا يعني أن ما ورد في الكتابات الدينية (اسطورة الخليقة) السابقة الذكر والتي تتحدث عن الالهة ومجالسها وانتخاباتها والى الحوار والنقاش الذي كان يدور في أروقة المجالس يفهم ان مجلس الالهة هو صدى وانعكاس لمجلس دولة المدينة حيث أنه من المعروف في الديانة العراقية القديمة مزيـة خاصة ألا وهي صفة التشبيه[٢٠] ، إذ أنهم شبهوا الهتهم بالبشر واضفوا عليها جميع الصفات البشرية . إذن من كل ما تقدم نستنتج ونعزز رأينا بأن مجلس شورى الدولة المدينة في بلاد وادي الرافدين في العصور المبكرة ما هـو الا انعكاس واضح لا بأس به لمجلس الالهة ففي الاساطير الدينية القديمة عندما كانت الالهة تقرر القرار في مجلسها والذي يترأسه الالـه أنور والذي يضـم خمسين إلها والتي دعيت بالالهة التي تقرر المصائر والتي تتقاسم فيما بينهـا أنصبة السماء والارض كما كان يتواجـد الى جانبها سبعـة آلهـة تقرر هي الاخرى المصائر على وفق طقوس ومراسيم خاصة[٢١] .

فكانت هذه الالهة تجتمع في مجلسها إناثا وذكورا وتبدأ مناقشاتهم بعد طرح الموضوع من قبل احد الالهين العظميين انوا وانليل فيبين كل الـه في المجلس وجهة نظره حول الموضوع المطروح . إن هذا المجلس هو الـذي يعكس بدون شك وجهة نظر العراقي القديم حول مجلـس دولة المدينـة السومرية لان الوظائف التنفيذية كان يشار اليها في الغالب بعبارة « الوظائف الانالية »[٢٢] وعلى هذا الاساس تفهم بان سلطة الحاكم سواء كان ايـن أم انسي أم لوكال لم تكن بالسلطة المطلقة والمستبدة على الرغم من انها سلطة دائمية بل انها سلطة مقيدة بارادة المجلس الاستشاري فعلى سـبيل المثـال

---

(٢٠) فاضل عبدالواحد ، مصدر سابق ١٩٨٩ ص ١٤٦ .

(٢١) ساكز مصدر سابق .

(٢٢) جاكبسون ، مصدر سابق ١٩٦٠ ص ٣٢٨ .

لا الحصر ان كلكامش[٢٣] ملك الوركاء عندما عزم على اعلان الحرب على مدينة كيش دعا مجلس المدينة للاجتماع واستشار شيوخهم بصفتهم مستأثرين له الا انهم عارضوا فكرة الحرب بعد مناقشات مقنعة مما حدا بكلكامش الى دعوة مجلس العموم (مجلس المدينة كافة) حيث تمت الموافقة على اعلان الحرب على كيش •

وكمثال آخر أن الملك كلكامش عندما عزم على السفر لطلب الخلود أعطى صلاحياته في ادارة الحكم الى مجلس شيوخ مدينة الوركاء[٢٤] • إن مثل هذه الامور تعطينا رأيا قاطعا عن مدى تقدم نظام الحكم وعلى قوة حكم الشعب وممارسة السلطة الى جانب كون الحكومة ملكية وراثية فكانت لهذه المجالس مزية بارزة انفردت بها الحضارة العراقية دون غيرها في الحضارات فكانت نمطا من انماط شكل نظام الحكم وصورة مشرقة من صور مجتمع بلاد وادي الرافدين الخالدة فكان هذا المجلس اول برلمان سياسي قد وجد قبل خمسة آلاف سنة فكان بحق انجازا رائعا من إنجازات حضارة العراق القديم التي خلدها التاريخ •

*

(٢٣) كريمر ، مصدر سابق ١٩٥٧ ص ٨٥ .

(٢٤) سامي سعيد ، مصدر سابق ١٩٨٥ ص ٢١ .

مراجـــع البحـــث

١ ــ فاضل عبدالواحد ، من الواح سومر الى التوراة بغداد ١٩٨٩ .

٢ ــ فاضل عبدالواحد ، الطوفان بغداد ١٩٧٥ .

٣ ــ فاضل عبدالواحد ، عشتار ومأساة تموز ١٩٨٦ .

٤ ــ عامر سليمان ، محاضرات في التاريخ القديم الموصل ١٩٧٨ .

٥ ــ فوزي رشيد ، المعتقدات الدينية ، بغداد ١٩٨٥ .

٦ ــ هاري ساكز ، عظمة بابل ترجمة عامر سليمان الموصل ١٩٧٩ .

٧ ــ صموئيل نوح كريمر السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي الكويت ١٩٧٩ .

٨ ــ صموئيل نوح كريمر من الواح سومر ترجمة طه باقر بغداد ١٩٥٧ .

٩ ــ ديفيد وجوان اوتس ، نشوء الحضارة ، ترجمة لطفي الخوري بغداد ١٩٨٨

١٠ــ سامي سعيد ، حضارة العراق جـ٢ بغداد ١٩٨٥ .

١١ــ توركيلد جاكبسون ، واخرون ما قبل الفلسفة بيروت ١٩٦٠ .

١٢ــ عبدالرضا الطعان الفكر السياسي في العراق القديم بغداد ١٩٨٠ .

١٣ــ طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١ بغداد ١٩٧٣ .

١٤ــ طه باقر مقدمة في ادب العراق القديم بغداد ١٩٧٦ .

« صورة المحارب في ديوان المتنبي »

الدكتور حسن محمد الربابعة
رئيس قسم اللغة العربية/أستاذ مساعد
جامعة جرش الأهلية ــ الاردن

الملخـص

نهض البحث بمقدمة وستة محاور ، هي :

١ ــ صور من سمات المحارب وموقع القادة •

٢ ــ صور من معدات الحرب ودلالاتها في شعره •

٣ ــ صور من لباس المحارب ودلالاتها في شعره •

٤ ــ صور من الخيل ودلالاتها في شعره •

٥ ــ صور من فنون الحرب ودلالاتها في شعره.•

٦ ــ صور من الأبعاد المكانية والزمانية ودلالاتها في شعره •

أما المقدمة فأبرزت شغور هذا المحور للباحث إذ لم يدرس قديما وحديثا على أهميته ، وبروزه في ديوانه ، أما المحـاور والستة الأخـرى فبينت أهمية سمات المحاور ومعدات القتال وألبستهم والخيل وتنوعهـا ودلالاتهـا مثلما أوضحت صورا من فنـون القتال ، وصـوراً من الأبعـاد المكانية والزمانية ودلالاتها في شعره ، مما لم تدرس من قبل في حدود ظن الباحث •

مقدمـــة :

لا جــرم أن لصورة المحارب في شعر أحمد بن الحسين المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ) حضوراً مبرازا ، تقع عليه العــين في قصائد ديوانــه ، فينقلك الى الهيجاء وساحها ، فترى معه بعين خيالك محاربين رجلة وفرسانا ، اما يتطاعنون بالرماح ، أو يتقارعون بالسيوف ، أو يتشاجرون بالقسي والسهــام ، وتصيخ بمسمعيك الى حمحمات الجياد ، وتصفيق سنابكها وهي تنقش صدور البزاة على صم الصفا ، أو تطبع بالحرف الأول من اسم قائدها «علي» فتمزجـــه بمقدوح الشرر ، وصليل السيوف يمتشج مقعقعاً في البيض والهامــات ، في تقيع القساطل المتفرقة من أصقاع دولة بني العباس ؛ داخل حدودها وخارجها ، تقمع الفتن الداخلية وتلتحم مع الروم ، في معارك شتى كراً وفراً ، والنتائــج تماخض قتلى وجرحى ، وأسرى وسبايا واعزازا واذلالا .

هذا وعلى الرغم من حضور المحارب في شعره » فان الدراسات في هذا المجال نادرة أو قليلة لم تستوفه حقه قديما وحديثا .

فمن القدماء من درس مقاطع مبتسرة ، أو لخص رأيا في شعره عامــة ، أو نظر الى شعر الحرب عنده ؛ شأن الشريف الرضي فأرتاه «قائد عسكر»(١) كأنما يكثف توقيعا بليغا فيه .

ومنهم من قرض شهرته بين الناس ، واستحسن فيه البديهة والارتجال ، من دون أن يمثل على فن الحرب عنده ، أو يظهــر صورة الحــرب في ميدانه شأن ابن رشيق الذي يقول : « ثم جاء المتنبي فملأ الدنيــا وشغل النــاس ، .. كان كثير البديهة والارتجال وهو خاتم الشعراء ...(٢)

---

(١) البديعي ، يوسف الشيخ ، الصبح المنبي عن حيثيته المتنبي ، ورقة ٤٨ .

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، ج١، ٩٣.

ومنهم من اهتم بهيئته جالسا ؛ وهو ينشد بين يـدي سيف الدولـة ، وامتلاكه القوافي والمعاني شأن الثعالبي الذي يقول فيه : •• وقـد تفـرد عن أهل زمانه بملك رقاب القوافي ورقة المعاني •[3]

وبعضهم من استوقفه تصويره للمعارك شأن ابن الأثير ، فذهب يؤكـد شهوده الحرب مع سيف الدولة ، ولهذا فلسانه يصف ما رأه عيانا ، وكأن ابن الاثير يشهد له بصدقه ، ويعجب بتشخيصه لصورة الحرب ، ووصفه لـه وهو على أهمية رأيه يعوزه تجلية الصورة الحربية ، والتدليل عليها فيقـول فيه : « اذا خاض في وصف المعركة ، كان لسانـه أمضى من نصالهـا ، وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن أن الفريقين قـد تقابـلا والسلاحين قد تواصلا »[4] ، هذه أبرز آراء القدماء فيه أما أبـرز دراسات البحثة المحدثين فيه فدراسة موسومة «ب» الحرب في شعر المتنبي[5] ؛ اذ انه

خص الحرب بالباب الرابع من رسالته فدرس أوصافا لابطال وقسياتهم ، وبعض الأسلحة ، ونتائج المعارك ، ولكنه على جهـده لم ينفذ الى الصـورة الفنية للمحارب ، ولم يتغلغل في أبعادهـا ، وتنوع دلالاتها ، تنظيم بحثه على مشاهد موضوعية في محاور الحرب ، كما طغى على تحليله الشـرح المدرسي للنص ، ينثره دون أن تستوقفـه في كثير من الحـالات ، الـدلالات العميقة للصورة الحربيـة ، ولم يكف نفسه توثيق الشاهـد الشعري ورقم صفحته ، فبدا بحثه عائما غائما •

ومن الدراسات في هذا المجال دراسة موسومـه ب « سيفيات المتنبي » دراسة نقدية للاستخدام اللغوي[6] : نحت فيها منحى لغويـا أكثر منه فنيا ،

(3) ابو منصور الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1، 27و90 .
(4) ابن الأثير : المثل السائر ، ص302 .
(5) ابو ناجي ، حسن (الدكتور) : الحرب في شعر المتنبي .
(6) المانع ، سعاد عبدالعزيز (الدكتورة) : سيفيات المتنبي ، دراسـة نقدية للاستخدام اللغوي .

وأقتصرته على سيفياتـه ، فافتقدنا الصورة الحربية في غير سيفياته ، ولعل عذرها غير المستقصي لصورة الحرب أن يكون في ضوء معطيات رسالتها وخطتها .•

ومن الدراسات المتخصصة في هذا المجال دراسة موسومة ب « شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي »[٧] ، خصص الباب الثالث من رسالته الجامعية لدراسة « شعر الحرب في ظل الحمدانيين » وعلى تقديري لجهده المكثف وتعنيه بدراساته ، لأقوال الفرنجة ، في أوصاف الحرب التي شهدها المتنبي وسيف الدولة ، ومحاولة تعزيز فضل الشعر على رأي التاريخ الذي لم يفه المؤرخون حقه ، فقد اتسمت دراسته بالسياسة والتاريخ ، وقلما كان يبرز الصورة الحربية الا وهي مزجاة بأحضانهما ، ولكنه للحق ـ توقف عند أربع قصائد رومية للشاعر فجلاها ، ولكن وقفاته الفنية لم تستكمل ، وذلك أمر طبيعي في ضوء دراسة محاور أخرى من رسالته •

أما منهجي في بحثي هذا ، فأحدد باختصار مفهومي للصورة أولا ودراستي ثانيا لمحاور ستة من صور الحرب ، أفترض أنها تقدم صورة واضحة ان لم تكن كافية للمحارب •

والصورة بمفهومها العام على اختلاف تعريفاتها[٨] : هي هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن ، شريطة ان تكون هذه الهيئة معبرة وموحية بأن ، وهي بمفهومها الخاص : تركيبة عقلية تحدث بالتناسب ، أو بالمقارنة بين عنصرين

---

(٧) المحاسني ، زكي (الدكتور) :
شعر الحرب في آدب العرب في العصرين الاموي والعباسي •

(٨) الربابعة ، حسن (الدكتور) : الصورة الفنية في شعر البحتري ، ورقة ٩ ـ ٢٢ •

هما في أحيان كثيرة : عنصر ظاهري ، وأخر باطني ، وان جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين هما : الحافز والقيمة ، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي الى قيمة .[٩]

وأفهم مما سبق أن عنصر الصورة أربعة : هي عنصر ظاهري ، يتأتى من مدركات الحواس الخمس ، وعنصر باطني نفسي ، وعنصر الدافع المحرك لهذه الصورة وابداعها ، وعنصر القيمة التي تظم لأجلها شعرا .

وأما منهجي فيعتمد النص ومجادلته في ديوان المتنبي ، مشيرا الى رقم الجزء والصفحة ، وقلما أرجع الى نقول غيري فيه ، لكي لا يتحول البحث قولا على قول ، أو يحشى بأقوال المؤرخين ، فتضيع الصورة الفنية او يعتم عليها ، فضلا عن أن فسحة البحث تتضايق عن هذا النهج ، وها أنا قسمت بحثي ستة محاور أطل على صورة المحارب من كل محور فيها وهي على النحو الآتي :

١ ـ صور من سمات المحارب وموقع القادة .

٢ ـ صور من معدات الحرب ودلالاتها .

٣ ـ صور من لباس المحارب ودلالاتها .

٤ ـ صور من الخيل ودلالاتها .

٥ ـ صور من فنون الحرب ودلالاتها .

٦ ـ صور من الأبعاد المكانية والزمانية ودلالاتها .

---

(٩) الرباعي ، عبدالقادر (الدكتور) : الصورة الفنية في النقد الشعري ، ص٨٥ ـ ٨٦ .

صور من سمات المحارب وموقع القادة :

تلفت المتنبي الى صور المحاربين بنوعيها المعنوية والجسدية عامة ، والى صور القادة خاصة ؛ وزعها على قادة كثار ، وخص سيف الدولة منها بسمات أنماز بها عن سـواه ، وراح يلتقط لهم صـورا متعددة في أنحـاء شتى ، من أصقاع الدولة العباسية وخارجها على الثغور .

أما ابرز الصفات العامة فتعريب القيادة ؛ لأنه يرى اصلاح الناس باصلاح الملوك فأصخ اليه يقول :(١٠)

وإنمـا النـاس بالملوك ومـا تصلح عـرب ملوكها عجـم

وحجته أن للقيادة العربية صوراً معنويـةً خاصة ؛ يفتقدهـا في القيادة العجمية ، وهي الأدب والحسب والعهد والذمة :(١١)

لا أدب عندهـم ولا حسـب ولا عهود لهـم ولا ذمـمُ

ويؤكد أهمية تعريب القيادة فيهزأ بقيادة كافور لصور جسدية ومعنوية فيه فهو أسود يقود السادة الأحرار :(١٢)

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبدُ القزمُ

ومن سمات القائد حرصه على توحيد الكلمة ورص الصفـوف ، بقطع الخلاف بين القادة المتناحرين ب « الصلح »(١٣) :

حسمَ الصلحُ ما آشتهته الاعادي وأذاعتـه ألسـن الحسـاد

ذلك ؛ لان للصلح صورة معنوية نفسية يصون بها النفوس من القتل ، ويحقق بالتالي ما تعجز الأسلحة عن تحقيقه ؛ موظفا « التدويـر » في البيت الأول يعادل به نفسيته الطموح التي لا تتوقف السمر فيه عن شطر فيـه ، الا

(١٠) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٧٩ . (١١) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٧٩ .
(١٢) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٢٨١ . (١٣) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ١٣١ .

وهي تمد « الراء الى الشطر الثاني لتصون الأرواح بعد أن تركت» « السم » مشدد الميم عند نهاية الشطر الأول :[١٤]

نلت ما لاينال بالبيض والسمـ(م)ــ ر وصنْتَ الارواحَ في الاجساد

ومن سمات القائد المعنوية ، عزيمة قوية تستمد ثقتها مـن الله سبحانه ، فتستعذب طعم الموت في الهيجاء على مالأسمها من صورة هوجاء ، موظفا اسم الهيئة التي تحول الطعم المر حلوا في صورة ذوقية :[١٥]

فثـبْ واثقـا بالله وثبـة ماجـدٍ

يرى الموت في الهيجاء جني النحل في الفم

وقولـه :[١٦]

ونفـوس اذا انبـرت لقتـال نفـذت قبـل أن ينفـذ الإقـدام

ومن سمات القائد المعنوية النزاهة التي يرتفع بها قدر ممدوحه :[١٧]

رَفَعَتْ قَدْرَكَ النزاهةُ عنـه وثنت قلبـك المساعـي الجسـام

والقائد مدرب جيد ورام ماهر شأن علي بن محمد بن سيار رامي النشاب، ذي الإصابة الدقيقة ، موظفا صورة بصرية سمعية ، يعرض خلالهما لهب الرمية وصوت الانطلاقة الى هدفها :[١٨]

يصيـب ببعضهـا افـواق بعض فلولا الكسـر لاتصلت قضيبـا

يريك النـزع بين القـوس منـه وبـين رميّـة الهـدف اللهيبـا

ومن سمات القائد شجاعتـه في الحرب نحو مساور الرومي الذي عرض صورته المعنوية شجاعا على استعارة تصريحية «ليث غاب» ذاكرا اسمه علـى باب من تمجيد اسمه وتخليد ذكراه[١٩] :

أمسـاور أم قـرن شمس هـذا ؟ أم ليث غـاب يقـدم الاستـاذا ؟

---

(١٤) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٣٢ . (١٥) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٥٠ .
(١٦) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٢٢٢ . (١٧) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٢٢٥ .
(١٨) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٢٧٠ . (١٩) ديوان المتنبي ، ج١٣ ، ١٨٥ .

وسيف الدولة شجاع من أرومة شجاعة،كابرا عن كابر باسلوب نسبي[٢٠]

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا أبنه … تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدان حارث … وحارث نعمان ونعمان راشد

والقائد ذو سمة معنوية أكبرها فيه وهي الكرم شأن ممدوحه العلوي الذي ورثه عن كابر وعن سجية[٢١] :

كذا الفاطميون الندى في بنانهم … أعز أمحاء من خطوط الرواجب

ومثله ممدوحة القائد سيف الدولة الحمداني الذي لا تكاد تقف لكرمه عند حد[٢٢] :

واذا سألت بنانه عز نيله … لم يرض بالدنيا قضاء ذمام

ويعرض أحيانا صفتين للقائد على باب تمني هذه الخصيصة فيه ، ليذكره بمواعيده التي لم تنجز شأنه مع كافور[٢٣] :

تزيد عطاياه على اللبث كثرة … وتلبث أمواه السحاب فتنضب

وتلفت الى الصورة الجسدية للقائد فأعجبه قيافة الحسن بن علي الهمذاني، بطولة المعتدل ، كقد القناة ، ليس بأقيس أو احدب ، فناسبه الدرع الطويلة على بدنه في موقف حربي[٢٤] :

وغال فضول الدرع من جنباتها … على بدن قد القناة له قد

هذه ابرز السمات العامة للقائد ، أما السمات الخاصة فانماز بها سيف الدولة عمن سواه منها : السمة المزدوجة ، الفروسية والادب معا[٢٥] :

وميدان الفصاحة والقوافي … وممتحن الفوارس والخيول

وهو قائد جيش يعرضه ويتفقده[٢٦] :

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه … على الفارس المرخي الذؤابة منهم

---

(٢٠) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٤٠٠ .

(٢١) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٢٨٠ .

(٢٢) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٢٥ .

(٢٣) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ٣٠٦ .

(٢٤) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ١٠٨ .

(٢٥) ديوان المتنبي ، ج٣٤ ، ٢١٤ .

(٢٦) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٧٤ .

ومنه انه القائد الذي يحسن تعبئة الصفوف ليزجها في ساح الوغى ، والشاعر يرقبه ويرافقه :[٢٧]

عرّفتُك والصفوفُ معبآت ... وأنت بغيرِ سيفك لا تعيج

ومن سماته الخاصة أن ميزته الخلافة عن غيره فأعدته لمواجهة الروم ، ولقبته « سيف الدولة »:[٢٨]

لأمر أعدّتهُ الخلافةُ للوغي ... وسمتهُ دون العالمين الصارم العضبا

ان تلقيب الخليفة له « سيف الدولة » على أهميته ظلم له ، بخلاف اسمه الحقيقي « علي » الذي يستأهله بحق ، ذلك لان للسيف حدا ينقطع بالضرب حينا ، في حين أن كرمه لا ينبو ، أما اسمه « علي » فاسم على مسمى وهو انصاف بحقه ، متبعا أسلوب المناطقة في المقارنة والتمنطق :[٢٩]

وان الذي سمّى «عليا» لمنصفٌ ... وإن الذي سماه سيفاً لظالمهْ

وماكلُّ سيف يقطعُ الهام حَدُّهُ ... وتقطعُ لزباتُ الزمانِ مكارمُهْ

فهو سيف الله المسلول ، عاتقه عليه ، وقائمه بيد جبار السموات ، على مال « جبار » من صورة صوتية تئط منها صيغة مبالغة ، محملة على كف قدرة الهية لا تقهر :[٣٠]

على عاتق الملك الأغرّ نجادُهُ ... وفي يد جبّارِ السمواتِ قائمُهْ

ومن سماته الخاصة أن حربه دينية يعز بها الاسلام ، ويعلو على بقية الأديان ، وليس بغروى أن تكون حرب سيف الدولة مع الروم دينية ، ذلك أن اناشيد الروم على ما يذكره شلمبرجة الفرنسي كانت « النصر لله الذي هدم البلاد العربية » ، والنصر لله الذي شتت من ينكر التثليث المقدس ، والنصر لله الذي جلل بالخيبة هذا الأمير القاسي (سيف الدولة) عدو المسيح ، النصر لله ، النصر لله .[٣١]

---

(٢٧) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٣٦٠ . (٢٨) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٦١ .
(٢٩) المصدر السابق . (٣٠) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٦٠ .
(٣١) المحاسني ، زكي ، شعر الحرب في ادب العرب ، ص٢٦٨ .

وعليه فكانت حربه دينية يذل بها الأديان كافة .[٣٢]

خَضَعَتْ لمنصلل المناصل عَنْوةً وأذلَّ دِينُكَ سائرَ الأديان

ولكي يذلهم فلا بد من أن ينماز سيف الدولة بسرعة الحشد ، في جاهزية قتالية ، يرد بها على هجوم الروم ، من حلب الى الثغور :[٣٣]

وظنَّهُمُ أنك المصباح في حلب إذا قَصَدْتَ سواها عادها الظلم

فلمْ تُتِمَّ «سروج» فتحَ ناظرها إلا وجيشُكَ في جفنيه مُزدحِمُ

ولهذه السمات الخاصة المتشجة بصورة نفسية رعب يبعثه في قلوب العدو قبل التقائه :[٣٤]

بعثوا الرُّعْب في قلوب الأعادي فكانَّ القتال قبل يوم التلاقي

كما يوزع الرعب على قلوب الروم قبل عيونهم :[٣٥]

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماحَ خَيالاً

وتبدو الصورة البصرية في عيون الروم كبيرة مرعوبة الرؤية ، فترى لفزعها طول أذرع القنا على مسافته القصيرة أميالا تنوشهم أنى كانوا ، فبدا الرعب جيشا يبيد جموعهم يمنة ويسرة :[٣٦]

وإذا حاوَلتْ طعانَكَ خيلٌ أبصَرَتْ أذرعَ القنا أميالا

بَسَطَ الرُّعبُ في اليمين يمينا فتولّوا وفي الشِّمال شمالا

ولعل لهيبة سيف الدولة برعبه الممتد فيهم دورا أكده شلمبرجة على لسان الروم في عصره فأسموه « الكافر الحمداني » وهو « المحارب الوحيد الأعظم السامي الذي أعلن الحرب المقدسة على النصرانية :[٣٧]

وحب التضحية ، وافتداء نفسه ، أمام جيشه سمة ينماز بها سيف الدولة عمن سواه[٣٨] :

كلٌّ يريد رجالهُ لحَياتهِ يا مَنْ يُريدُ حياته لرجاله

(٣٢) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٣١٣ . (٣٣) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٣٢ .
(٣٤) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ١٠٦ . (٣٥) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٢٦٠ .
(٣٦) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٢٦١ .
(٣٧) المحاسني ، زكي : شعر الحرب في أدب العرب ، ص٢٥٨ـ ٢٥٩ .
(٣٨) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٢١٣ .

واهتمامه بالصور النفسية للقادة مكنه من عقد مقارنة بين قائدة سيف الدولة الذي يفتدي جيشه بنفسه ، والدمستق الرومي القائد الذي يضحي بأصحابه لينجو بنفسه(٣٩) :

مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبى   بما شغلتهم هامهم والمعاصم

ومن سماته المعنوية الرحمة بالقبائل العربية المهزومة ، لما لهم عليه من حق الجوار ، والارومة المشتركة(٤٠) :

لهم حق بشركك في نزار   وأدنى الشرك في أصل جوار

إنه القائد الذي يعفو عن بني قومه اذا جنحوا ويترفق بهم ، وهي صورة نفسية مثلى تعجب الشاعر (٤١) :

عفا عنهم وأعتقهم صغاراً   وفي أعناق أكثرهم سخاب

ومن صفات سيف الدولة درايته بشؤون الحرب ، فيعرض علينا مشاهد من تركيزه أسلحته على المرتفعات المحدقة بقواته ، للانذار الاولى عن العدو على ما يفهم من تركيزه هذا(٤٢) :

تبيتُ رماحُه فوق الهوادي   وقد ضَرَبَ العَجاجُ لها رواقا

وسيف الدولة ذو رأي في الحرب ممتزج بشجاعة يبلغ بهما علياء القيادة(٤٣) :

الرأيُ قَبْلَ شجاعةِ الشجعان   هو أوّلٌ وهي المَحَلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة   بلغت من العلياء كل مكان

وأما أبرز سمات الجند فالفتوة والخبرة في الحرب بدليل اثار الجراح التي وسمت وجوههم(٤٤) :

وكلُّ فتى للحرب فوق جبينه   من الضَّرْبِ سطرٌ بالأسنة معجمُ

---

(٣٩) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ١٩٠ .   (٤٠) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٢١٥ .
(٤١) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٧٩ .   (٤٢) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٤٥ .
(٤٣) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٣٠٧ .   (٤٤) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٤٥ .

وهم على صورة نفسية مستعدون للحرب ، فيتفقدون لباسهم الحربي لهذه الغاية ، ودروعهم ضافية وعيونهم كعيون ذكران الافاعي تتبدى مرعبة من تحت خوذهم الفولاذية[٤٥] :

يَمُدُّ يديـه في المفاضة ضيغـم ... وعينيه من تحت التريكـةِ أرقـمْ

وهم يجيدون تمويه أنفسهم وخيولهم فتبدو بتجافيفها مدرعة ملثمة على محمل من صورة بصرية[٤٦] :

لها في الوغى زيُّ الفوارس فوقها ... فَكُلُّ حِصان دارعٍ متلثم

ومن الفرسان «الملثم» لئلا تسقط عمامته في ساح الوغى[٤٧] :

سأطلب حقـي بالقنـا ومشايـخٌ ... كأنهـم من طول ما التثموا مـرد

واذا كان الشاعر نقلنا الى مشاهد بصرية ونفسية للجند ، وهم في حالة استعدادهم للحرب على خبرتهم وتمويههم ؛ فها هو ينقلنا الى صورهم الحركية، وهم يمتطون صهوات خيولهم ، خفاف الأجسام ، رشاقا لا تكاد تشعر الخيول بهم على متونها وهم محترفون في ضرب الهامات[٤٨] :

ضروب لهامِ الضاربي الهام في الوغى ... خفيف إذا ما اثقـل الفرس اللبـد

وهم جيدو الرماية من على صهوات أفراسهم ، فيسددون رماحهم الى أعدائهم من بين اذانها[٤٩] :

وجرداً مَدَدْنا من بين اذانها القنا ... فبتن خفافا يَتَّبِعْنَ العواليـا

وهم يمشطون الارض بسيوفهم ، بحثا عن خصومهم في مسرح عملياتهم سواء ارتفع اكامها أم انخفضت غيطانها[٥٠] :

ترمي على شفـرات الباترات بهـم ... مكامنُ الأرض والغيطانُ والاكمُ

---

(٤٥) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٧٥ .
(٤٦) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٧٨ .
(٤٧) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ٩٢ .
(٤٨) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ١٠٦ .
(٤٩) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٢٢١ .
(٥٠) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٣٥ .

وأبرز لنا في مشاهد مواقع القادة في ميدان القتال ، ففي الهجوم يتحرك سيف الدولة من موقعه الى القلب والميمنة والميسرة ، يكشف الموقف عن كثب، ويدير شؤون المعركة حسب ما يستجد من مواقف[٥١] :

الجيش جيشك غيرَ أنك جَيْشُه   في قلبه ويمينه وشماله

أما صورة قائد الروم فأبرزها صورة حركية مرتعبة يفر قائدها في مقدمة الفارين[٥٢]

لعلك يوما يا دُمستق عائد   فكم هارب مما اليه يؤول
نجوت بإحدى مهجتيك جريحةً   وخلّفت إحدى مهجتيك تسيل

وأما في حالة تقدم الجيش فأن سيف الدولة يندفع في مقدمته لقتال الروم[٥٣] .

فلما رأوه وحده قبل جيشه   دروا أن كل العالمين فضول

وانتقلنا مع الشاعر لنشهد خطورة الروم على المسلمين انذاك ، فهم اقوياء يهددون ، ويتوعدون ، من جهة[٥٤] :

أبا الغمرات توعدنا النصارى   ونحن نجومها وهي البروج

ومن جهة اخرى يحتشدون بعناصر قتالية من جنسيات شتى ، شأنهم في معركة الحدث ، اذ حشدوا لها روما وروسيا وبلغارا في حرب منظمة وقصدهم هدم قلعة الحدث[٥٥] :

تجمع فيه كل لِسْنٍ وأمة   فما يفهم الحُدّاثَ الا التراجمُ
وكيف ترجّي الروم والروس هدمه   وذا الطعن أساس لها ودعائم[٥٦]

ويقدر قوات الروم بـ « خميس » من خمس فرق على ما تفهمه لغويا[٥٧]، كما يحدد محور هجومه على قلعة الحدث من الشرق باتجاه الغرب[٥٨] :

---

(٥١) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ١٨٩ . (٥٢) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٢٢٧–٢٢٨ ،
(٥٣) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٢٢٦ . (٥٤) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٣٦١ .
(٥٥) المحاسني ، زكي ، شعر الحرب في أدب العرب ، ص٢٦٥ و ٢٨٨ – ٢٩٣، وحسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام خريطة ٧٩ ، قلعة الحدث .
(٥٦) ديوانه ج٤ ، ٩٩ – ١٠٠ . (٥٧) ابن منظور : لسان العرب مادة خمس .
(٥٨) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١٠٠ .

خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمام

كما يقدر قوة الروم لا بالخميس فحسب ، بل بذكره الرتب العسكرية التي تقدر القوة بها ، نحو توظيفه « البطاريق » الذي يرأس كل بطريق منهم عشرة الاف جندي على ما يذكره معاصره(٥٩) :

واذا ما استعنا بجمع بطريق على بطارق فان جيش الروم لايقل عن ثلاثين ألفا ، وقد عزموا على قتال الذي كان يسمونه « كافر بني حمدان » على ما ذكرت من قبل ، ذلك بان اقسموا بمفرق ملك الروم على سحق سيف الدول ، ولكن المتنبي صغر اسم قائدها «شمشيق» تحقيراً أو استهانة بأيمانه التي حانه تنفيذها(٦٠) :

الى الفتى ابن شمشيق فأحنثه فتى من الضرب تنسى عنده الكلم

وافرز للروم استخبارات دقيقة عن المسلمين ، فقد علموا بمرض سيف الدولة ومكانه في « حلب » فأغاروا على الثغور(٦١):

وغر الدمستق قول العدا (م) ة أن عليا ثقيل وصب

« صورة من أدوات الحرب ودلالاتها »

وللمحارب أدوات حرب منها : أدوات يقتل بها ومنها ما يدفع أذاها ، فما هي ؟ وكيف وظفها في شعره ؟ وما دلالاتها ؟ مبتدئا بأدوات الحرب القاتلة، أدرجها على أنها اجراءات معركة دفاعية أبتدىء بها حسب مدياتها البعيدة فالقريبة ثم الأقرب على النحو الآتي : المنجنيق ، والسهم ، والرمح ، والسيف.

أما المنجنيق فذات رماية بعيدة بأحجار على ما تفهمه من مصطلحات المؤنث(٦٢) ، وانظر تأنيثها في الأسماء المؤنثة(٦٣) . وأبرزها الشاعر دلالة على دقة رماية سيف الدولة(٦٤) :

---

(٥٩) قدامة بن جعفر ، الخراج صناعة الكتابة ص ١٨٩ .
(٦٠) ديوان المتنبي، ج٢ ، ١٧٧ — ١٧٨
(٦١) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٢٢٩ .
(٦٢) الموسوعة العسكرية:مادةمنجنيق.
(٦٣) محمد حسن شكريني ، بحث منشور عنوانه (بحث في الأسماء السماعية) في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، عدد ٣٥ ، ص٢٤١ — ٢٦١ .
(٦٤) ديوانه : ج٣ ، ٧٣ .

تصيب المجانيق العظامُ بكفه   دقائقَ قد أعيت قسيَّ البنادقِ

وأما صورة السهم والقوس وملحقاتها من كنائن فأبرزها السهم حينا يصيب هدفه رماية ممدوحه ، ويترك برمايته جراحا نازفة في صورة دموية حركية[٦٥] :

إذا نكبت كنائنه استبنا   بأنصلها لأنصلها ندوبا

ولدقة أصابته ، يحافظ على ما يمكن تسميته بـ « نقط التسديد » الدقيقة فتقع سهامه بعضها فوق بعض ولولا تكسر بعض تصالها ببعض لاتصلت قضيبا[٦٦] :

يصيب ببعضها أفواق بعض   ولولا الكسرُ لاتّصلت قضيبا

وتستوقفه الصورة الحركية للسهم البصرية للهبه وهو ينطلق من قوسه الى هدفه[٦٧] :

يريك النزع بين القوس منه   وبين رميّه الهدفَ اللهيبا

ويبرز الرامي فنيا في اصلاح خلل السهام أو تذليل عطلها فتعطيه بما يأمرها به وتمتثلُ لأمره[٦٨] :

كأنَّ القسيِّ العاصيات تطيعهُ   هوى بها في غير أنمله زهد

وممدوحة مدقاق الاصابة بسهمه ، ذلك أنه ينفذ سهمه في عقدة ضيقة في شعرة سوداء في ليلة ظلماء[٦٩] :

وينفذه في العقد وهو مضيق   من الشعره السوداء والليل مسودُ

وأبرز صورة صوتية للسهام وهي تترامى حوله فيسمع لها حفيفا من حوله ، يطلقها عليه غلمان أبي العشائر ممدوحة[٧٠] :

ومنتسب عندي إلى من أحبّه   وللنّبلِ حولي من يديه حفيفُ

---

(٦٥) ديوانه : ج١ ، ٢٧٠ .
(٦٦) ديوانه ، ج١ ، ٢٧٠ .
(٦٧) ديوانه ، ج١ ، ٢٧٠ .
(٦٨) ديوانه ، ج٢ ، ٩٧ .
(٦٩) ديوانه ، ج٢ ، ٩٧ .
(٧٠) ديوانه ، ج٣ ، ٣٥ .

وتتحول دلالات السهام في صور متعددة منها : ما تعادل المصائب المتالية التي تنكسر على فؤاده لكثرتها على محمل الاستعارة المكنية التشخيصية(٧١):

رماني الدهر بالأرزاءِ حتى　　فؤادي في غشاء من نبال

فَصِرْتُ إذا أصابتني سهام　　تكسَّرتِ النصالُ على النِّصال

كما تتحول السهام خيولا تنطلق في الثغور(٧٢) :

رمى الدرببالجرد الجياد إلىالعدى　　وما علموا أن السهامَ خيولُ

وينقلنا الى « اشتباك بالسهام » بين سيف الدولة والروم ، فنشهده عنده تغيرا في نواميس السهام فاذا وابل سهام الروم على المسلمين طلا نديا ، واذا بطل المسلمين على الروم وبالا غزيراً(٧٣) :

إذا مطرت منهم ومنك سحائب　　فوابلهم طل وطلكَ وابل

وأما الرمح « سلاح المشاة والخيالة » الذي يوظف في مهاجمة العدو نسبيا دون الحاجة الى الالتحام معه(٧٤) ، فذو مترادفات منها : القنا ، والأسل، والسمهرية ، وله أجزاء يستغني بها عن ذكر الكل ، كالكعوب والسنان ونحوها ، وله صور بارزة في شعره بدلالات منها : صورته معظمة عند الشاعر فيقسم به ، ويشبه ممدوحة به على محمل التشبيه البليغ(٧٥) :

ورمحي لأنت الرمحُ لاما تبلّه　　نجيعاً ولولا القدح لم يثقب الزند

والرمح مطلع قصيدة(٧٦) :

تعد المشرفية والعوالي　　وتقتلنا المنون بلا قتال

(٧١) ديوانه ، ج٣ ، ١٤١ .

(٧٢) ديوانه ، ج٣ ، ٢٢١ .

(٧٣) ديوانه ، ج٣ ، ٢٣٦ .

(٧٤) الموسوعة العسكرية مادة رمح ج٣ ، ٩٨ ــ ١٠٢ .

(٧٥) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ١٠٧ .

(٧٦) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ١٤٠ .

والرمح الطويل خاصة من أسلحة عبيد الشاعر للاغارة على خصومه[٧٧] :

فـرس" سابـق ورمـح" طويـل ودلاص" زُغْف" وسيف" صقيـل

وكما تعلق بالرمح الطويل فان ممدوحه تعلق مثله برمح طويل من عشرين ذراعا ، ليحقق به مطامحه متوحدا معه راضيا به ومرضيا ، على نحو تشخيصي، والذي تفهمه على أنه ابراز الجماد المجرد من خلال الصورة بالشعور والحركة والحياة[٧٨] :

وأسمر ذي عشريـن ترضاه واردا ويرضاك في ايراده الخيل ساقيا[٧٩]

وبالرماح حمى سيف الدولة قلعة الحدث من هجوم الروم ، وخلـط كعوبها في عظامهم[٨٠] :

وحماهـا بكـل مطـرد الأكعمـا ب جـور الزمـان والاوجـالا

وقولـه[٨١] :

أدمنـا طعنهـم والقتـلُ حتّـى خَلَطْنا في عِظامِهِم الكعوبـا

وينقلنا الى مشهد دموي تتراسل الحواس فيه ، حيث يدير أطراف الرماح على الروم بصورة حركيـة فتدار معها كؤوس المنايا لذيـذة عند ممدوحة بصورتها الذوقية ينتشي بها عن لذة الخمر[٨٢] :

يديـر بأطـراف الرمـاح عليهـم كؤوسَ المنايا حيث لايشتهي الخمر

وصورة رماح سيف الدولة نافذة في دروع الروم ، وان كانت محكمة من أنساج داود التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم : « أن اعمل سابغـات وتدر في السرد»[٨٣] ، فتتحول الدرع على متانة صنعها برماح ممدوحـة نسيجا من عنكبوت[٨٤] :

قواضٍ مواض نسجُ داودَ عندها إذا وقعت فيهـا كنسج الخدرنـق

(٧٧) ديوان المتنبي ، ج٣، ٢٧٤ .

(٧٨) جبور عبدالنور ، المصطلح الادبي ، ص٦٧ .

(٧٩) ديوانه ، ج٤ ، ٤٣٠ .

(٨٠) ديوانه ، ج٣ ، ٢٦٥ .

(٨١) ديوانه ، ج١ ، ٢٦٥ .

(٨٢) ديوانه ، ج٢ ، ٢٦٥ .

(٨٣) سورة سبأ : ١٠ .

(٨٤) ديوانه ، ج٣ ، ٥٣٠ .

وأما صورة السيف فبدأها بمرادفات شتى وصنوف مختلفة ، منه الباتر والحسام ، وسيف الهند والنزارية ، والمشرفية ، كما وظف صورا من أجزاء منه كنجاده ، وقائمة ، وفرنده ، وغمده ونحوها وابرز صوره بدلالات شتى منها :

ان ممدوحه سيف الدولة من ارومة سيوف على محمل الاستعارة التصريحية[٨٥] :

من للسيوف بأن يكون سميّها   في أصله وفرنده ووفاءه ؟

وصور السيف جليلة القدر عنده،فها هو يقسم به، على أن ممدوحةالسيف لا السيف المسلول للضرب في صورة متحولة[٨٦] :

وسيفي لأنت السيفُ لا ماتَسلهُ   بضرب وما السيف منه لك الغمد

وها هو يتعلق بصورته ، فهو صانع المجد ، والعلم تبع له وخادم في زمن يحمي السيف عز الامة ومجدها[٨٧] :

حتى رجعتْ وأقلامي قوائلُ لي   المجدُ للسيفِ ليس المجد للعمل

اكتب بنا أبدا بعد الكتابة به   فإنما نحن للأسياف كالخدم

فترى مما سبق تحول صورة السيف الى الكتابة في الامجاد بالنصر ، وبصورة تجسيميه تبدو الاقلام خدما للسيف : ويبرز صورة المواجهة بالسيف في نهاية مراحل المعركة كما يسمي اليوم «بالسلاح الابيض» عند تطاعن الاقران ولا يسلم من الكسر الا السيف الصارم في معركة الحدث[٨٨] :

فلله وقتٌ ذوّبَ الغشّ نارُه   فلم يبق إلا صارمٌ أو ضُبارم

(٨٥) ديوانه ، ج١ ، ١٣٣ .   (٨٦) ديوانه ، ج٢ ، ١٠٧ .
(٨٧) ديوانه ، ج٤ ، ٢٩١ – ٢٩٢ .   (٨٨) ديوانه ، ج٤ ، ١٠١ .

وقوله ممتدحا الدور النهائي للسيف في ختام اجراءات المعركة الدفاعية(٨٩) :

حقرْتَ الردينياتِ حتى طرَحتَها وحتّى كأنَّ السيف للرمح شاتم

كما يتجلى السيف في صورة لونية لمسية بقطع رقاب العدو على عجل(٩٠):

أعجلت ألسُنَهم بضرت رقابهم عن قولهم لا فارس إلاذا

والشاعر نفسه يجدع بالسيف أنوف الغادرين به ، في صورة دموية لمسية نفسية متشفية(٩١) :

أعددتُ للغادرين أسيافا أجدعُ منهم بهِنَّ أنافا

واذا حملنا النص حرفيا فنجد جمعي القلة « أسيافا/انافا » متعادلين صرفيا متضادين فعلا ، فأعد لكل عدته بقدر ، ملوحا بما مضى من دوره القتالي على باب من ذكر سيرة السيف الحربية(٩٢) :

فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل

أمام الكتيبة تزهى به مكان السنان من العامل

وها هو يشخص وباعزاز السيف اليماني خاصة فلو استطاع لاغمض عليه جفونه وقاية له وحبا(٩٣):

يامزيل الظلام عنّي وروضي يومَ شُربي ومقلتي في البراز

واليماني الذي لو اسطعتُ كانت مقلتي غِمدَهُ من الإعزاز

ويمايز بين السيوف فيعز التصنيع العربي ويعده أرهب من الهندي ذى « التصنيع الأجنبي »(٩٤):

تُهاب سيوفُ الهند وهي حدائد فكيف إذا كانت نزاريةً عُربا

---

(٨٩) ديوانه ، ج٤ ، ١٠٤ .
(٩٠) ديوانه ، ج٢ ١٨٧ .
(٩١) ديوانه ، ج٣ ، ٣٦ .
(٩٢) ديوانه ، ج٣ ، ٢٨٤ .
(٩٣) ديوانه ، ج٢ ، ١٥٩ .
(٩٤) ديوانه ، ج١ ، ١٨٦ .

ويبرز السيف العربي المشرفي رسالة يزجيها الى الروم[٩٥] :

ولاكتبَ إلا المشرفيّةُ عنده ولا رسل إلا الخميسُ العرمومْ

وذلك لان للسيف العربي المشرفي هذا لغة يفهمها الدمستق ، على عجمة لغة السيف[٩٦] :

ويفهم صوت المشرفية فيهم على أن أصواتَ السيوفِ أعاجمْ

وتستوقفه الصورة السمعية لصليل السيوف ، فيبدو مطرباً لها ، لا الى الغناء واحتساء الخمر شأنه شأن سيف الدولة ممدوحه الذي أجاب أبا فراس عندما دعاه لسماع الغناء (أنا مشغول بقرع الحوافر عن المزاهر)[٩٧] فيما يروى ، فأصخ اليه يقول[٩٨] :

لأحبتي أن يملاوا بالصافيات الاكؤبا
وعليهمُ أن يبذلوا وعلى إلا أشربا
حتى تكون الباترات المسمعات فاطربا

والشاعر نفسه ينتسب الى عائلة السلاح واسرتها ، فيتخذ السيف المشرفي أبا له ، والحرب أما ، والرمح أخا[٩٩] :

حتى تكونَ جعلتُ الحرب والدةً والسمهريَّ أخا والمشرفيَّ أبا

ويتعنى ابراز صورة السيف اليماني خاصة وهو يغشى الروم المنهزمة من ساحات الوغى أمام سيف الدولة ، يغشاهم بالسيف وتسانده رماية الرماح والأسنة ، والروم يزمون بأسلحتهم فيما أفهمه «رماية أعاقة» وهم مولو الأدبار ولعل اشتراكه في المعركة غير مرة مع سيف الدولة ، جعل لشعره فضلا على مؤرخي الروم ، ممن عاصروا حرب سيف الدولة ، ومنهم « نيسفور فوكاس » الذي أشار الى خطة الروم في الانسحاب فقال : « والروم كانوا يحاربون وهم

(٩٥) ديوانه ، ج٤ ، ٧٠ . (٩٦) ديوانه ، ج٤ ، ١٠٦ .
(٩٧) ديوان ابي فراس الحمداني ، طبعة بيروت ، ١٩١٠ ، ص٧٣ .
(٩٨) ديوانه ، ج١ ، ٢٣٤ . (٩٩) ديوانه ، ج١ ، ٢٤٨ .

مولون هاربون ويلقون بتروسهم على أكتافهم لتقيهم النبال ساعة الهزيمة»(١٠٠) ، فلنسرح الخيال ساعة هزيمة الروم ، وهم يرمون بأسلحتهم للاعاقة ، وأسلحة المسلمين بأنواعها تناكفهم رميا بمدياتها المختلفة : النبال للمسافات البعيدة ، والسيوف تواجه الخصم ، والذعر يستشري في الروم فيدوسون أسلحتهم فزعا(١٠١) :

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا   يطأون كل حنية مرنان
يغشاهم مطر السحاب مفصلا   بمهند ومثقف وسنان

وفي مشهد اخر يشخص حسام سيف الدولة شاكيا من ضرب يمنه كثرة التضراب والجماجم على ضربة شاهده(١٠٢) :

وصنِ الحسام ولا تُذلهُ فإنّهُ   يشكو يمينَك والجماجم تشهد

ويمايز بين السمي والمسمى من السيوف ، فاذا كان السيف سيف الدولة قاطعا باترا في الميدان فان سيف الدولة ينماز عنه اذ هو بار وصول على نحو من توظيف التضاد(١٠٣) :

وما للسيف إلا القطعُ فعلٌ   وأنت القاطع البَّرُّ الوصول

« صورة من لباس المحارب ودلالاته »

يعد اللباس الحربي من أدوات القتال التي يذب بها المحارب عن جسمه ضربات العدو ، وبعض طعناته ، ومن أبرز معدات القتال التي وظفها الشاعر شتى مبتدئا من لباس الرأس الى الجسد كله هي : المغفر الذي يلبس على الرأس تحت البيضة (الخوذة) ويستر العنق(١٠٤) ، على ماتفهمه من مصطلحات(١٠٥) :

والدروع الساترة للجسم بأنواعها المختلفة ويستعين المحارب بترس يذود به طعن الخصم ، فكيف وظفها الشاعر ؟ وما دلالاتها ؟

(١٠٠) المحاسني ، زكي ، شعر الحرب ص٢٦٧ ، ينقل عن شلمبرجة الذي اشار الى فوكاس المؤرخ ص١١٨ .
(١٠١) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٣١٥ . (١٠٢) ديوانه ، ج٢ ، ٥٩ .
(١٠٣) ديوانه ، ج٣ ، ١٣٩ . (١٠٤) الموسوعة العسكرية : مادة بيضة ، خوذة ، مجلد ١ ، ٢٤٠ .
(١٠٥) المرجع نفسه ، مادة بيضة ، خوذة مجلد ١ ، ٢٨٤ .

أما المغفر فأبرزه بصورة حركية دموية ثاكلة الرأس : مغفرا ولا رأس عليه: أنها انقطعت كما في الفتن الداخلية(١٠٦) :

تركن هـام بني عـوف وثعلبـة　　على رؤوس بـلا نـاس مغافـرةُ

وأما البيضة فهي من تجهيزات المعركة التي يعرضها الجندي مصفوفة على الدروع بلباس المعركة الكامل(١٠٧) :

وإن البيـض صـف على دروع　　فشـوّقَ مـن رآه الـى قتـال

وهي بيضاء اللون على نحو توثيقي لها في عصـره تلمع في القتام(١٠٨) :

أحجار ناسٍ فـوق أرضٍ من دم　　ونجـوم بيض في سمـاء قتـام

وأما الدروع الواقية للبدن فصنوف منها الدلاص الزغف ، والجوشن، والسربال ، والسابغات ، فالدلاص الزغف من عـدة الفـارس على نحـو من جاهزيته القتالية(١٠٩) :

فرس سابـح ورمـح طويـل　　ودلاص زغـف وسيف صقيـل

والدروع السابغات يلبسها قادة الروم لترد عنهم طعون الرماح وأسنتها ، ولا تؤثر فيها(١١٠) :

ترد عنـه قنـا الفرسان سابغـة　　صـوب الأسنة في أثنائهـا ديـم

تخط فيها العوالـي ليس تنفذهـا　　كأن كل سنـان فوقهـا قلـم

ومنها السربال ملبوس ممدوحه ابي شجاع الذي اكتفى بواحد منه لثقته بنفسه في المعركة(١١١) :

عليـه منـه سرابيـل مضاعفـة　　وقد كسـاه من المـاذيّ سربـالُ

وصور الدرع عند الشاعر تعد «خط الدفاع الثاني» فيما أفهمـه منه ؛ لذلك لأن السيف والرمح هما « خط الدفاع الأول » عن جسم ممدوحة(١١٢):

فدعـه لقـى فإنـك مـن كـرام　　جواشنهـا الأسنـة والسيـوف

---

(١٠٦) ديوانه ، ج٢ ، ٢٢٤ .

(١٠٧) ديوانه ، ج٣ / ، ٢٦٧ .

(١٠٨)ديوانه ، ج٤ ، ١٢٧ .

(١٠٩) ديوانه ، ج٣ ، ٢٧٤ .

(١١٠) ديوانه ، ج٤ ، ١٤٠ .

(١١١) ديوانه ، ج٣ ، ٤٠٥ .

(١١٢) ديوانه ، ج٣ ، ٣١٧ .

وانتقلنا مع الشاعر الى مشهد درع سابري قوية الحبك لانختراقها الأسلحة وانما تخترقها النظرة النجلاء(١١٣):

مثلت عينك في حشـاي جراحـةً فتشابهـا كلتاهمـا نجـلاءُ

نَفَذَتْ عليّ السابريّ وربّمـا تنـدقّ فيـه الصّعدة السمـراءُ

وفي موقف حربي يعد الشجر الذي يستتر الـروم به معـادلا للدروع بجامع الحماية(١١٤) :

فلا سقى الغيثُ ما واراه من شجـر لو زَلّ عنه لوارت شخصهُ الرخمُ

وانتقل الى تحولات الدرع في دلالاتها فعد رسائل الـروم وهي تطلب الصلح من سيف الدولة دروعا تقيهم بأسة وبصورة تجسيمية ضافية(١١٥) :

دروعٌ لملْك الروم هذي الرسائلُ يردّ بـه عن نفسـه ويشاغـلُ

هي الـزردُ الضافي عليـه ولفظُها عليكَ ثنـاءٌ سابـغٌ وفضائـل

وتتبدى الصورة اللونية لدروع الروم وهي مصطبغة بدمائهم المعصفره، وقد جفت عليهم كألبسة النسوة من تضراب السيف العربي(١١٦) :

خنثى الفحول من الكماه بصبغـه ما يلبسون من الحديـد معصفـرا

وأما التـرس « الذي يقـي المحـارب به نفسه من سهـام الأعـداء ورماحهم»(١١٧) ، فورد بمترادفات منها المجن ، الذي يبدو ظهره ناتئـا وبطنه لاطئا صعودا وحدودا يعادل به ظهر ناقته(١١٨):

في مثل ظهـر المجـنّ متّصـلٌ بمثـل بطـن المجـن قرددهـا

واذا ضن مؤرخو العرب من معاصـري حرب سيف الدولـة ، في عهد الشاعر علينا ، بأوصاف هذه الأدوات الحربية ، والبسة فرسانها ومحاربيها ، فان المتنبي صورها لنا على مشاهد مختلفة أبرزتها فيما وسعني فيـه البحث ،

(١١٣) ديوانه ، ج١ ، ١٤٣ . (١١٤) ديوانه ، ج٤ ، ١٤٠ .
(١١٥) ديوانه ، ج٣ ، ٢٣٢ . (١١٦) ديوانه ، ج٢ ، ٢٧١ .
(١١٧) الموسوعة العسكرية : مادة ترس، (١١٨) ديوانه ، ج٢ ، ٢٧ .
ج١ ، ٢٦٦ .

وهذا من فضل الأدب على التاريخ الذي ضرب صفحا عنها ، أولا وفضلا ثانيا على ما وصفه كريمر لجنود سيف الدولة بما قاله فيهم : « بأنهم كانوا مغاوير محبين للحرب لا يكترثون ، يلبسون الجانبيات ، ولكنهم يضعون على وجوههم مغافر من اللون المصفح سلاحهم الرماح الطوال ، والتروس الكبيرة، التي تغطي الجسم وأقدامهم ، من خشب لين »[119].

« صورة من الخيل ودلالاتها في شعره »

وتوقف الشاعر عند صور الخيل توقفا لافتا ، فشكلت محورا بارزا في شعره ، ولا غرو فهي وسيلة رئيسة للحرب في أيامه ، وواسطة في كر الحروب وفرها ، ولهذا نقلنا معه الى مشاهد عن الخيل ، وأنواعها والوانها وتدريباتها وقتالها ، ورموزها ، ودلالاتها ، فأخذنا منها شرائح للتمثيل لا على باب

فها هو يطلعنا على صور الخيل مدربة تصيخ بأسماعها الى نداء الصريخ التقصي ، فقليل من الشواهد يغني في دلالاته عن كثيرها .

لنجدته[120]:

وان نقعَ الصريخُ إلى مكان نَصَبْنَ له مؤللة دقاقا

وأرانا صورة الجرد منها ، قصيرة الشعر ، مدربة : تتبع تعليمات القنا التي بين اذانها[121] .

وجردا مددنا بين أذانها القنا فبتن خفافا يتبعنَ العواليا

وفي مشهد اخر نرى صورة لخيل طويلة العنق ، تصلح لمعاقرة الموت ، متلفتا الى ما يستجاد من الخيل[122] فيقول[123] :

أفكر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي

(119) المحاسني : شعر الحرب ، (120) ديوانه ، ج3 ، 44 . ص265 .

(121) ديوانه ، ج4 ، 421 .

(122) ابن قتيبة الدينوري ، كتاب المعاني الكبرى في ابيات المعاني ، كتاب الخيل ، المجلد . (123) ديوانه ، ج2 ، 76 .

والخيل نشيطة تجاذب فرسانها الاعنة ، كأنها أفاع على اعناقها[١٢٤] :

تجاذب فرسان الصباح أعنة ... كأن على الأعناق منها أفاعيا

واستجاد صلابة الحافر ، وهو الخبير بالخيل في صورة حسية ندركها بصورة لمسية ، ذلك أن علماء الفراسة ، يستدلون بحافره الصلب على مافي باطنه[١٢٥] :

ثم عرض صورة بصرية لمسية لحافره وهو ينقش حافيا على صم الصفا صدر البزاة[١٢٦] :

تماشى بأيد كلما داست الصفا ... نقشن بها صدر البزاة حوافيا

وحينما تكتب بسنابكها الحرف الاول من اسم « علي » على الصخر الجلمد اذا ماوقعت عليه[١٢٧] :

أول حرف من اسمه كتبت ... سنابك الخيل في الجلاميد

ومن صورها في ميادين المعركة أن تطا بسنابكهارؤوس العدو المتساقطة، وتشرب في جماجمهم[١٢٨] :

كأن خيولنا كانت قديما ... تسقى في قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم ... تدوس بنا الجماجم والتريبا

وهي خيول عزيزة ألفت الانتصارات ، فاعتادت ألا تأكل الا من فوق هام العدا ، ولا تشرب الا من غدران مشوبة بدم[١٢٩] :

تعود ألا تقضم الحب خيله ... إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها ... من الدم كالريحان فوق الشقائق

---

(١٢٤) ديوانه ، ج٤ ، ٤٢٢ .
(١٢٥) عبدالله بن محمد الجزي الكلبي : كتاب الخيل مطلع اليمن ، تحقيق محمد العربي خطابي ، ص٥٤ . (١٢٦) ديوانه ، ج٤ ، ٤٢٢ .
(١٢٧) ديوانه ، ج١ ، ٣٨٩ . (١٢٨) ديوانه المتنبي ، ج١ ، ٢٦٥ .
(١٢٩) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٧١ .

وفي ميادين المعركة تبدو عابسة الوجه ، مموهة بعرقها وغبار الصحراء، ممنطقة على أوساطها لتقمع الفتن[١٣٠] :

عوابسُ جُلّى يابس الماء حُزّباً فهن على أوساطها كالمناطق

وينقلنا الى حرب خيول عربية بأخرى عربية ، تنتصر خيول سيف الدولة، على خيول القبائل الثائرة ، فتهرب تدمي بعض أيديها بعضا في صورة دموية حركية[١٣١] :

يدمّي بعضُ أيدي الخيل بعضاً وما بعجاية أثر ارتهاش

واذا اتسخت قوائمها بالوحل فموعدها قريب لتغسل بدم الاعداء بصورة معنوية دموية[١٣٢] :

فدانت مرافقهن الثرى على ثقة الدم للغاسل

والفرس من الفارس ، فهي قوية لقوة فرسانها[١٣٣] :

وما تنفع الخيل الكرام وإلا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

واعتادت أن تقتحم المعارك فتطعن في نحرها ، لامن خلفها[١٣٤] :

محرمة أكفال خيلي على القنا محللة لباتها والقلائد

والشاعر يعز خيله فيوظف الكناية عن صفة لابراز اعزازه ، فهو ينعل أفراسه عسجدا من مال سيف الدولة[١٣٥] :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

والشاعر معروف عند الخيل مألوف لها[١٣٦] :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

---

(١٣٠) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ٦٥ . (١٣١) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ٣١٨ .
(١٣٢) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ١٥٦ . (١٣٣) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ١١٠ .
(١٣٤) ديوان المتنبي ، ج١ ، ٣٩٣ . (١٣٥) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ١٣٥ .
(١٣٦) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٨٥ .

ويشخص حصانه فيضفي عليه صفات انسانية ، فيخاطبه على ماتفهمه من مصطلح التشخيص[١٣٧] يشخصه بعد أن رفه عيشه ليخذله على اقتحام المعارك[١٣٨] :

يقـول بشعـب بـوان حصانـي أعـن هـذا يسـار الى طعـان ؟
أبوكـم أدم سـن المعاصـي وعلمكـم مفارقـة الجنـان

ولكن الشاعر في غير هذا الموقف، لايعرف النعيم المقيم، ويمقت التعود على التوقف عن إدراك المعالـي ، وقلما يخلـد الى الفراش كغيره ، ويعد الجمام مضرا به[١٣٩] :

وملّتنـيّ الفراشُ وكـان جنبـي يُمـلُ لقـاؤه في كـل عـام
ومـا في طبّـه أنـي جـواد أضر بجسمـه طـولُ الجمـام
تعـود أن يغبـر في السرايـا ويدخـل من قتـام في قتـام

واستوقفه صهيل الخيل بصورته الصوتية في حرب علنية ، قادها سيف الدولة في حرب القبائل الثائرة ، فلم يحسب للكتمان حسابا[١٤٠] :

تَصاهـلُ خليلـه متجاوبـاتٍ ومـن من عـادة الخيـل السرَارْ

ولو لم تكن الحرب علنية ، لأسكت الخيل حفاظا على سرية المعركة كما قال شاعر[١٤١] :

«اذا الخيل صاحت صياح النسو (م) رحززنـا شراسيفهـا بالخـدم »

« صورة من فنون الحرب »

وفنون الحرب محور بارز في شعـره ، يشهدنا عليهـا تتناولها علـى النحو الاتي : ـ

١ ـ المطاردة .
٢ ـ حصار القلاع .
٣ ـ الكمائـن .
٤ ـ بناء القلاع والتحصينات .
٥ ـ اجتياز الانهر .
٦ ـ الالتفاف المزدوج .

---

(١٣٧) الدكتور عدنان حسين قاسم ، الثقافة العربيـة ، طرابلس بحث نشر بعنوان « التصوير والاستيعاب » في الشعر ، ص٤٠ .
(١٣٨) ديوانه ، ج٤ ، ٣٨٩ .
(١٣٩) ديوانه ، ج٤ ، ٢٧٦ و ٢٧٩ .
(١٤٠) ديوانه ، ج٢ ، ٢١٤ .
(١٤١) شرح الديوان، حاشية ج٢، ٢٥٨ .

٧ ــ الاحاطــة • ٨ ــ التستــر •
٩ ــ التمويــه • ١٠ــ الحرب النفسية •

أما المطاردةفبرزت بصورة حركية ، يطارد سيف الدولة قوات الــروم فيرمون بأسلحتهم للاعاقة ، ولكن سيف الدولة يهزمهم(١٤٢) :

فرموا بما يرمون عنــه وأدبــروا يطــأون كــل حنيــــة مرنــــان
يغشاهــم مطر السحــاب مفصــلا بمهنـــد ومثقــف وسنــــان

أما حصار القلاع فأطال مدته حولها فقذفت بمن فيها واستسلمــت لسيف الدولة باسلوب تشخيصي نفسي ذليل(١٤٣) :

تَمَلُّ الحصونُ الشمُّ طولَ نزالنا فتلقــي إلينــا أهلَهــا وتــزول

وأما نصب الكمائن فكــان بالخيل للايقاع بالعدو ومفاجأته ، في واد يوقع الخسائر فيه(١٤٤) :

وهــنَّ مع الغزلان في الواد كُمَّنٌ وهُنَّ مع العقبان في النيق حُوَّمُ

وأما بناء القلاع والتحصينات شأنه في بناء ثغر الحدث الحمراء ،فيرفع السور ليصد الرياح الهوج ، ويفزع لعلوه الطير(١٤٥) ،

فأضحت كأنَّ السورمن فوق بدئه إلى الأرض قد شق الكواكب والتربا
تصدُّ الرياحُ الهــوجُ عنها مخافةً وتفزع فيها الطير أن يلقط الحبَّــا

أما اجتيازه الانهر فبخيله السابحات مؤنثا اياها على انها مشخصــة عاقلة(١٤٧) :

فهُنَّ مع السيدان في البر عُسَّلٌ وهن مع النينانِ في المــاءِ عُوَّمُ

وقولــه(١٤٨) :

تجفــل الخيــل عن لبَّات خَيْلهم كما تجفَّلُ تحت الغــارة النَّعَمُ

---

(١٤٢) ديوانه ، ج٤ ، ٣١٥ . (١٤٣) ديوانه ، ج٣ ، ٢٢٥ .
(١٤٤) ديوانه ، ج٤ ، ٧٣ .
(١٤٥) انظر موقع الحدث في بلدان الخلافة الشرقية ، ليسترانج ، ص١٥٤ ، ١٦٦ ، والخريطة رقم ٤ .
(١٤٦) ديوانه ، ج١ ، ١٩٢ . (١٤٧) ديوانه ج٤ ، ٧٢ .
(١٤٨) ديوانه ، ج٤ ، ١٣٦ .

ومن فنون القتال الالتفات المزدوج على الخصم بجناحي هجوم بجيش سيف الدولة(١٤٩) :

ضممتَ جناحيهم على القلب ضمةً   تموت الخوافي تحتها والقوادم

والاحاطة بالعدو فن من فنون الحرب التي صورها الشاعر وهي عملية «التطويق» في صورة تمثيلية كأنها التقاء الهدب بانهدب وينتصر على الدمستق في حركته العسكرية هذه(١٥٠) :

مضى بعدما ألتفَّ الجناحان ساعة   كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

ومن فنون القتال « التستر » عن الرماية بالشجر(١٥١) :

فلا سقى الغيثُ ما واراه من شجرٍ   لو زال عنه لوارت شخصهُ الرخمُ

والتمويه فن من فنون الحرب ، يتموهه الفارس والفرس معاً ، فيبدوان في هيئة واحدة(١٥٢) .

لها في الوغى زيّ الفوارس فوقها   فكلّ حصانٍ دارعٌ متلثم

ومن فنون الحرب توظيفه الحرب النفسية بصورة لافتة ، ومصطلحها اليوم يعني « مجموعة أعمال تستهدف التأثير على أفراد العدو بما فيهم القادة والأفراد غير السياسيين وتخلق تصورا ما لدى العدو ، او نفي تصورات ما عنده عن طريق الدعاية أو عمليات عسكرية استعراضية والتنسيق بين العمل العسكري والدبلوماسي لخلق تصورات معينة لأحداث الفوضى والبلبلة عند العدو »(١٥٣)، فها هو ينقض مزاعم القبائل الثائرة على سيف الدولة ، فيعد خروجها عليه اسخاطا لله عز وجل ، فلنتركه يتساءل بحربه النفسية وبأسلوب دعائي ، برأي من انقادت اليه قبيلة عقيل ؟ الموت والهلاك(١٥٤) ؟

برأي من انقادت عقيل الى الردى   واشمات مخلوق واسخاط خالق

---

(١٤٩) ديوانه ، ج٣ ، ١٠٣ .
(١٥٠) ديوانه ، ج١ ، ١٨٩ .
(١٥١) ديوانه ، ج٤ ، ١٤٠ .
(١٥٢) ديوانه ، ج٤ ، ٧٨ .
(١٥٣) الموسوعة العسكرية : الحرب النفسية مجلد ١ / ٧٦٧ .
(١٥٤) ديوانه ، ج٣ ، ٦٤ .

وذلك لأنها قبائل وان كانت قوية ، فانها ضعيفة أمام سيف الدولة الذي لاشك سيهزمها ، فتشمت بها القبائل الاخرى ، ذلك لان سيف الدولة هـزم قبائل أقوى منها ، وهو أسلوب يجمع بين أضعاف عزيمـة الخصم ، ورفـع معنوية ممدوحه مستنداً الى سجله الحربي ، فقد أذل فيما مضى قبائل عزيزة ، فما بالك بهذه القبيلة المتمردة[١٥٥]؟

وسـوّقْ علي من معد وغيرهـا قبائـل لا تعطـي القفي لسائـق

ثم يحاول أن يزعزع ثقة القبائل الثائرة بقائدها ، فيشن حربه النفسية على واسطة نقله «الناقة» التي لاتصلح للحرب أصـلا ، كما يشنها علـى فكرتـه الباطلة في ادعائه حق الامامة وبصورة ساخرة[١٥٦] :

وجيـشُ إمـام علـى ناقـةٍ صحيـحُ الإمامـة في الباطـل

ثم يوسع حربه النفسية على الثورات الداخلية فيخلق تصورات خطيرة على أمن الدولة الإسلامية ، تشغل سيف الدولة عن حروبه مع الروم لردع خطرهم ودرئه ، وهو توجه وطني كما ترى ، لكنه يغلفه بحرب نفسية يحاول أن يثبط من معنويات المقاتلين ضد سيف الدولة أولا ويرفع ثانيا من معنويـات سيف الدولة وجيشه من خلال عرض مشاهد ، من سجله الحربي المشـرف ، الذي أذل العدو على قوته ، بقوة تحويلية ، ترك الروم ذليلة ، فتنهض صورة متخفية من بين السطور تشعر المتلقي أن حرب القبائل حرب فاشلة يكاد يحكـم عليها من الآن[١٥٧]:

ولأشغلوا صـُـمَّ القنـا بقلوبهـم عن الرَّكس لكن عن قلوب الدماسق
ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدى ويجعلُ أيدى الأسدِ أيدي الخزانق

(١٥٥) ديوانه ، ج٣ ، ٦٦ .
(١٥٦) ديوانه ، ج٣ ، ١٥٧ .
(١٥٧) ديوانه ، ج٣ ، ٧٠ .

وفي مشهد نفسي اخر يعرض مشهدا دمويا نفسيا لقبائل ثائرة من قبل ، وهم متساقطو الرؤوس تتعثر أرجلهم بها في موقف مروع ، وقد ترك المشهد مشهداً تتناغى فيه شياههم ، وتتراغى معهــا ابلهــم ، بعد أن افتقــدت أهلها وأصحابها ، بصورة صوتية معواء(١٥٨) :

مضــوا متسابقــي الاعضــاء فيــه   لأرءوسهـــم بأرجلهــم عثــارُ
ويبكـــي خلفهـــم دثر بكـــاه   رغـــاءٌ أو ثــؤاج أو يَعــارُ

ثم يذكرهم بمشهــد اخر يقطر أســى ، يعزف لهم أنه حزن على مصير السبايا العربيات منهم ــ وهو الشرف التليد الذي يهتم به العربي منذ كان وحتى الان ــ وقد أردفن سبايا راكبات ، بعد أن ديست أطفال صغار تحت سنابك خيل ممدوحه سيف الدولة(١٥٩) :

وارهقــت العــذارى مردفــات   وأوطئــت الأصبيــة الصغــار

ولكنه وهو يثير هذا الشجى النفسي يعلم انه يثير حفيظة العربي ليثأر ، او ربما لينقم على من كان سببا فيه ، لكنه لدرايته بالنفس المتلقية ، وحســن خبريه بها ، يعرض مشهدا نبيلا لسيف الدولة فهو بدلا من قتله الاســرى وهتكه اعراض السبايا ، يفك اسرهم ، ويعفو عنهم ، ويعيد السبايا العربيات، معززات دون مساس بهن، ولا ريب في أن هذا الموقف الانساني يستلسخيمة النفوس الثائرة ، فيغير من رأيها في سيف الدولة ، ويرفع من شأن ممدوحه ، ويحاول توحيد الكلمة ورص الصفوف العربية ، وينبذ تفرقها ، وبالتالــي يدعوها الى تدبر أمرها مليا قبل أن تفكر في امر الخروج عليه ، ولعلهــا تصلح اسلوبا ناجحا من الاساليب المعاصرة في الحرب النفسية(١٦٠) :

فَعدْنَ كمــا أخــذن مكرمــات   عليهـــن القلائـــد والسلاب

ويذكرهم في مشهد نبيل اخر لسيف الدولة الذي يرفع السيف عــن أعناقهم لما للنسب المشترك وحق الجوار عليه من حق(١٦١) :

لهم حــق بشركــك في نـــزار   وأدنــى الشركَ في أصــل جــوار

(١٥٨) ديوانه ، ج٢ ، ٢٠٧ .
(١٥٩) ديوانه ، ج٢ ، ٢٠٩ .
(١٦٠) ديوانه ، ج١ ، ٢٠٧ .
(١٦١) ديوانه ، ج٢ ، ٢١٥ .

وفي موقف نفسي اخر يشحذ همة سيف الدولة ، لئلا ينخذل عن هدفه السامي ، في قراع الروم على كثرة مايرى من تعاون المسلمين مع المشركين الروم ، اما لعجزهم أو لجبنهم ، فيوظف (أل) التعريف من طاقة اللغة ليكثف صورة الحشد المتعاون ضده ، فيعرف المسلمين ، يتعاونون مع «المشركين» ولو نكر المسلمين ــ وهو قادر على ذلك والوزن لاينكسر وهو في خدمته على «البحر المتقارب» لما أعطت دلالة مكثفة على نوع التحدي المشترك الذي يواجهه ممدوحة المتميز على مقارعة الخصوم المسلمين والمشركين معا ، ومع ذلك يقارعهم وهو في احلك الشدائد ، لأنه واثق بنصر الله تعالى ، ركيزته الأولى التي عليها يعتمد ، أما غيره من المسلمين فابرزهم جبناء ، عجزا كأنهم دانوا بدين النصرانية فيقول(١٦٢) :

أرى المسلمين مع المشركين إمّا لِعجْزٍ وإما رهبْ
وأنتَ مع الله في جانبٍ قليل الرقاد كثير التعب
كانك وحدك وحدته ودان البرية بابن وأب

ولعل الصورة الموسيقية التي في البيت الاول تعادل «التدوير» الممتد بين الشطرين تعاون المسلمين مع المشركين التي افرزتها أل «المسلمين» تعاونا عاما ممتدا غير محدد •

أما حربه النفسية على الروم فأشد وأقوى ، فها هو يبرزهم حشودا مصممة على أبادة المسلمين واجتياح قلعة الحدث وهدمها ، ولهم دورهم الاستخباري في جميع المعلومات الدقيقة عن المسلمين كما أشرت اليها من قبل، ومع ذلك يهزمون •

ولعل من ابرز أدوار الشاعر في حربه النفسية أن يوظف نفسه موجها نفسياً لجيش سيف الدولة في هزيمته وانتصاراته لرد اعتبار جيشه وقائده في الاولى ، وشحذ همتهم لمقارعة الروم المتحشد في الثانية •

(١٦٢) ديوانه ، ج١ ، ٢٣٤ •

ففي هزيمة سيف الدولة يهون عليه أمرها حتى لاينهار معنويـا ، فيذكر أهم أسابها وهي خيانتهم لقائدهم سيف الدولة ، وتشاغل المسلمين في الغنائم، وأما اسرى العرب فخساس القوم وجبناء ، وذلك لانهم اختفوا بين جثث القتلى الروم ، وخسائر المسلمين تنقيـة للجيش من سفلتهـم واراذلهـم ، وأسرهم جزاؤهم(١٦٣) :

قـل للدمستـق ان المسلمين لكم خانوا الامير فجازاهم بما صنعوا

وجدتموهم نيامـا في دمائكـم كأنَّ قتلاكـم اياهـم فجعـوا

لقد أراد الله سبحانـه تصفية الجيش مـن خساس الجنـد فخلصه من اراذلهم(١٦٤) :

وانمـا عرض الله الجنـود لكـمْ لكي يكونوا بلا فسل اذا رجعـوا

فألقى الشاعر اللوم على الجند لا ، على القائد سيف الدولة ، الذي يدينه معاصره المؤرخ ابن مسكويه ويعزو سبب الفشل الى اعجابه برأيه فلـم يقبل رأيا ممن أشار عليه بتجنب الدرب التي خلفه ، ونصحوه بالعودة الى طرطوس معهم فأبى ، لكي لايقال أنه أصاب برأى غيره ، فانهزم وتخلص هو و (٣٠٠) ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة(١٦٥) وهذا من سوء رأي من يجهل آراء الناس العقـلاء .

واذا صح الخبر كما يرويه ابن مسكويه كاتب ابن العميد ــ وربمـا كان ذا غاية في درج الخبر ــ اذ دأب على الاهتمام بالقائد وسماتـه ، أما اهتمامه بصورة الجند فقليلة على ما أشرت من قبل ــ فله عذره اذ أن القائد نجا ونجا الشاعر معه ، وما عليه الا أن يشحذ همة قائد منهزم دون أن يعاقبـه لهزيمته وبشعره مرتين ، وهو لا يجرؤ اصلا على نقده وقد صحبه في المعركة من جهة ، ولأنه يشحذ همته لينتقم ممن ظفر به من جهة أخرى ، وعليه فأرى أنالشاعر

(١٦٣) ديوانه ، ج٢ ، ٣٣٤ . (١٦٤) ديوانه ، ج٢ ، ٣٤٠ .

(١٦٥) ابن مسكويه : تجارب الامم ، ج٢/١٨١ ، وعنه ينقل ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٨ ، احداث سنة ٣٤٠ ، والمحاسني : شعر الحـرب ص٢٨٢ ، والشاعر شهد هذه المعركة مع سيف الدولة .

حقق من الناحية النفسية هدفيه هذين ، فها هو من جهة يثني على شجاعتـه وقد رأه عيانا في أتون المعركة[١٦٦] :

وما حمدتك في هـول ٍ ثبتّ به حتى بلوتك والابطـال تمتصـع

ومن جهة اخرى ينفخ فيـه روح الجهاد ، ليثأر من هزيمته بعد أن بلغ سيف الدولة خبر عن تحشد الروم بأربعين الف بعد ثلاث سنوات مـن هزيمته ، فتهيبهم جيشه ، فطلب سيف الدولة من شاعره المتنبي أن يذكي روح الحماسة فيهم فلبى أوامره فنفخ فيهم روح الحمية بصورة شتى منها : أن جيش سيف الدولة قد تحشد بعدته الكاملة وأعد للحرب عدتها[١٦٧] :

وخيـل حشوناها الأسنـة بعدمـا تكدسنَ مـن هنـا ومـن هنـا

ومنها أن الحرب كر وفر ، والروم يدركـون ذلك تمامـا ، والمسلمون أصحاب روح قتالية عالية[١٦٨] :

وقد علم الـروم الشقيـون أننـا إذا مـا تركنا أرضهم خلفنا عدنـا

ومنها اننا «بضمير الجمع المتكلم» نرتدي للحرب عدتها وتتهيأ لها سيوفا ورماحا ، فيضفي على حربه النفسية طابعا خاصا لاشتراكه الشخصي معهم في المعركة التي تهيأ لها[١٦٩] :

وأنا اذا ما الموت صرحَ في الوغى لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنـا

ومنها أن النفس الانسانية هي صاحبة القرار في الخوف والامن ، فتخاف اذا تخيلت الخوف ، أو تربط جأشها فترى في الحرب أمنا[١٧٠] :

وما الخـوف إلا ما تخوفـه الفتى وما الأمـن ما رآه الفتـى أمنـا

ثم ينقلهم بحربه النفسية الى مشهد حربي ، كان من سجلهم الحربـي السابق مع الروم ، اذ أحرزوا نصرا ، واهرقوا فيه دم الروم التي بردت في يوم اللقان ، وفي صورة لونية لمسية لونية ممتتشجة بحماسة وتصميم علـى

(١٦٦) ديوانه ، ج٢ ، ٣٤٣ .
(١٦٧) ديوانه ، ج٤ ، ٣٠٠ .
(١٦٨) ديوانه ج٤ ، ٣٠٠ .
(١٦٩) ديوانه ، ج٤ ، ٣٠٠ .
(١٧٠) ديوانه ، ج٤ ، ٣٠٢ .

متابعة القتال ، موظفا التضاد الذي يجمع بين شيئين متطابقين قلما يجتمعان الا «بأمرنا» موظفا ضمير الجمع المتكلم المنفصل الذي أفهم منه اعتمادهم على أنفسهم لاعلى سواهم في تحقيق الهدف(١٧١) :

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن أناس نتبع الباردُ السُّخنا

موظفا فعلا مضارعا مستمرا متعديا يحمل معه حربه النفسية المصممة على القتال مستنهضا فيه الهمم العسكرية العالية •

« صور من الابعاد المكانية والزمانية »

ويجلي المتنبي صورة المحارب بترسيمه الابعاد المكانية والزمانية للوقائع الحربية ، وهذه الابعاد تعد ظروفا تحدق بالاحداث او تتغلغل فيها ، وتتفاعل معها وبها ، ولا أحسب تصويرا فنيا يتخيل بمعزل عنها •

لقد تلفت المتنبي الى الابعاد المكانية كثيرا في شعره ، ولا سيما الثغور التي اكتفي بتجلية شرائح تصويرية منها ، أذ أحسب أن القليل من الاشارة اليها في الدلالة يغني عن كثير •

فللثغور معنى لغوي واصطلاحي ، وفيها دروب كان يتوجه الجيش المهاجم عربيا او روميا منها واليها واشار كثير من اللغويين ومعاجم البلدان والبحثة المحدثين الى هذه الثغور والدروبمن خلالها ، والتي يمكن أن ألخص بأسطر هذا المصطلح لاهمية تعيين المكان فيه كظرف يجلي بعض ابعادالصورة الحربية •

فالثغر لغة : هو كل موقع قريب من ارض العدو او موقع المخالفة من اطراف البلاد مما يلي دار الحرب وهو ثلمة يؤتي من قبلها(١٧٢) •

فالثغور اصطلاحا : خططويل من القلاع وهي حدود بين المسلمين والروم

(١٧١) ديوانه ، ج٤ ، ٣٠١ •

(١٧٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة ثغر ، ج١ ، ٧٩-٨٠ ، وابن منظور : لسان العرب ، مادة ثغر ، والفيروز ابادي : القاموس المحيط ، مادة ثغر : باب الراء فصل الثاء •

في ايام بني امية وبني العباس تتألف من سلسلتي جبـال طوروس وطوروس الداخلية ، وكانت تعين حدودها ويحميها خط من القلاع ، وتمتد من ملطية على نهر الفرات الى طرسوس بالقـرب من ساحل البحـر المتوسط الشمالي الشرقي ، وتنقسم ثلاثة اقسام : الثغور الجزرية وهي الشمالية الشرقيـة والثغور الشامية وهي الجنوبية الغربية والثغور البكرية وعاصمتها أمـد ثغورا بالعمق(١٧٣) :

ومن خلال الثغور دربان أحدهما درب الحدث في الثغور الجزرية يصل الى خرشنة ودرب السلامة في الثغور الشامية ومحوره من طرطوس الـى القسطنطينية(١٧٤) و (١٧٥).

وبعد هذه الاشارة التاريخية الى مصطلح الثغور ينقلنا الشاعر الـى مشاهد حربية وقعت في الثغور ومن خلالها فيحملنا على تخيل مكان الحـدث بعد أن نعين اماكنها على الخرائط فنتخيل صورة الاحداث فيها .

فها هو الشاعر يعرض هجوم الدمستق الرومي من مرعش باتجاه الثغور فنتخيل اتجاه هجومه اولا من الشمال الشرقي الى الجنوب الشرقي في محور مرعش ـ الحدث في الثغور الجزرية ، ولكنه يهزم(١٧٦) ، فيقول(١٧٧) :

أتـى مرعشا يستقرب البعد مقبـلا وأدبـر اذ أقبلت يستعذب القربـا

(١٧٣) انظر : ـ ليسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٦٠ ـ ١٦٠ ، وقـد أرفق لها خريطة رقم ٤ .
وحسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام ص١٥٠ ، خريطة رقم ٧٩ .
وقدامة جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
والدكتور حسن الربابعة : الصورة الفنية في شعر البحتري ، رسالـة دكتوراه ، الجامعة الاردنية ١٩٩٤ ، رقم خريطة للثغور البكرية في نهاية الفصل الاول .
(١٧٤) حسن الربابعة : الصورة الفنية في شعر البحتري ورقة ٢٧ .
(١٧٥) د. حسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام خريطة رقم ٧٩ .
د. زكي المحاسني : شعر الحرب في ادب العرب خريطة في اخر كتابه .
(١٧٦) المحور موجود في كتـاب زكي المحاسنـي : شعر الحرب ص ٣٥٥ ، (خريطة) .
(١٧٧) ديوانه / ج١ ، ١٨٨ .

وبالبعد الثاني يحدد مسرح عمليات خيول سيف الدولة وهو يغير بها من اللقان (شمال الثغور الجزرية) الى واسط في ارض العراق[١٧٨] : كما يحدد قوس مسؤليتها وهي تحشد بين نهر الفرات ودمشق في بيت تتجلى أبعاد الصورة المكانية فيه[١٧٩] :

يغير بها بين اللقان وواسط ويركزُها بين الفرات وجلّق

وللبعد الثاني دوره في تجلية محور هجوم سيف الدولة في ثغورالروم، فنتابع معه سير غزوته واتجاهها ، فيمكن الباحث من أن يدرس اذا اراد طبيعة ارض المعركة التي خاض الحرب عليها ، شأنه في هجومه على ملطية في ثغور الجزيرة باتجاه قباقب غربا ثم يكر راجعا باتجاه نهر الفرات شرقا[١٨٠] ، فيقول[١٨١] :

وكرّت فمَرّت في دماء ملطية ملطية أمٌّ للبنين ثكول

واضعفن ما كلفنَ من قباقبٍ فاضحى كانَّ الماءَ فيه عليل

ورُعنَ بنا قلب الفرات كأنما تَخرُّ عليه بالرجال سيول

ألا ترى كيف تجلى الابعاد المكانية صورة الحرب ؟ ، فتنقلنا الى محور العملية العسكرية ، اذ تشخص ملطية ثكولا قتلاها ، بصورة دموية منواح ، ثم يتركها سيف الدولة على حالتها متجها الى قباقب ، ويجتاز نهرها ، فندرك طبيعة منطقة المناورة التي حدث بها الهجوم ، وبعد أن ينجز مهمته يعود الى الفرات ، يرافقهم الشاعر بدليل قوله «بنا» وقد اشترك الشاعر فيالحرب غير مرة ، الا ترى العناصر الضروية التي لونها المكان ، فأضفى عليها ابعادا مختلفة ، ولنضرب مثلا اخيرا على تحديده محور الهجوم فنفهم بمصطلح

(١٧٨) زكي المحاسني : شعر الحرب ص ٣٥٥ ، خريطة .
(١٧٩) ديوانه ، ج٣ ، ٢٢٤ .
(١٨٠) ليسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، خريطة رقم ٤ .
(١٨١) ديوانه ، ج٣ ، ٢٢٤ .

«الدرب» الذي كان يعني في عصره «محور طرطوس» القسطنطينية ــ أن مكان القتال كان في الثغور الشامية وعبرها[١٨٢] .

رمى الدرب بالجرد الجياد الى العدى وما علموا أن السهامَ خيولُ

بدليل أن مصطلح الدرب هذا يعني المحور المذكور ، ذلك أن أمرأ القيس عناه منذ الجاهلية بقوله[١٨٣] :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وتتجلى الصورة عندما يوظف الابعاد المكانية والزمانية معا فيشعر المتلقي بالظروف التي أحدقت به ومعاناتهم ، شأنه في تحديد زمان غزوة سيف الدولة شتاء بدليل توظيفه « سيحان جامد » [١٨٤] :

أخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم الا وسيحان جامد

فيحدد محور من الثغور الشامية لان سيحان أصغر من جيحان وتقع عليه أذنه في ثغور الروم[١٨٥]: ولنا أن تتخيل صورة الحرب في هذا المحور والنهر جمد لشدة البرد .

وبالمكان والزمان تتجلى سير العملية العسكرية ، من آمد من الثغور البكرية الى نهر جيحان لمدة ثلاثة أيام زمانا ، وهي مدة زمنية فيها مشقة ، تبرز مسيره ليلا ، وتحدد محور حركته العسكرية فتقربه من هدفه «جيحان» وتبعده عن قاعدته العسكرية التي انطلق منها «امد»[١٨٦] .

سَريْتَ الى جيحان من ارض آمدٍ ثلاثا ، لقد ادناك رَكْضٌ وأبعدا

فتحدد قاعدة الهجوم من أمد عاصمة الثغور الشامية ، ومسيرة ليلا لتذكره (ليال) ، كما نجلى بالابعاد المكانية والزمانية أحيانا قوس مسؤوليته ،

---

(١٨٢) ديوانه ، ج٤ ، ٢١ .

(١٨٣) القاموس المحيط الفيروزابادي ، مادة درب وابن منظور لسان العرب مادة درب والمحاسني شعر الحرب ص ١٩٣ .

(١٨٤) ديوانه ، ج١ ، ٣٩٨ .

(١٨٥) انظر : ليسترانج الخلافة الشرقية ص ١٦٤ ، والخريطة رقم ٤ . وحسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام خريطة ٧٩ ، ص ١٥٠ .

(١٨٦) ديوانه ، ج٢ ، ٥ .

فندرك أن سيف الدولة كان حاميا للثغور جيمعها الشامية والجزرية متخذا له البكرية ثغورا بالعمق .

ويحدد الصيف زمانا لغزوة من غزوات ممدوحة بدليل قوله[١٨٧] :

وشُزَّبٍ أحمت الشعرى شكائمها   ووسمتها على آنافها الحَكَمُ

فنفهم أن الغزوات كانت صوائف وشواتي ، حدد مواعيدها صاحب « الخراج وصناعة الكتابة»[١٨٨] كما تستوقفه الحرب الليلية زمانا ، ففي رومياته وبعد أن يأسر سيف الدولة من ثغر هنريط شمالي شرقي ملطية من الثغور الجزرية ينشرهم في أمد ، ثم يتجه جنوبا باتجاه بلاد الشام فيحتل حصني الصفصاف وسابور في محور الدرب ثم يسير ليلا ، في وادي الصفصاف ، مختتما مهمته بعد أن هدم الحصون[١٨٩] ليلا ، فيقول[١٩٠] :

وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى
وخيلك في اعناقهن قلائد
عصفن بهم يوم اللقان وسقنهم
بهنريط حتى ابيض بالسبي أمد
الحقن بالصفصاف سابور فانهوى
وذاق الردى أهلاهما والجلامد
غلس بالوادي بهن مشبع
مبارك ما تحت اللثامين عابد

وقد يشكل الليل في بعض صوره ليلا من الغبار ومع ذلك يطارد سيف الدولة خصومة من بني كلاب ويهزمهم في هذا الموقف المعتم المغبر ، فندرك

(١٨٧) ديوانه ، ج٤ ، ٣٤ .
(١٨٨) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٩٣ .
(١٨٩) انظر هذه المواقع عند حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام خريطة ٧٩، وشعر الحرب ص ٣٥٥ .
(١٩٠) ديوانه ، ج١ ، ٣٩٧ — ٣٩٨ .

أبعاد الصورة النفسية للقائد المنتصر[191] :

اذا صرف النهـار الضـوء عنهـم دجـا ليـلان : ليـل والغبـار

كما يحاربهـم بضوء النهـار وبريـق السيوف معـه الصـورة اللونية بالصوتية[192] :

وان جنح الظـلام انجـاب عنهـم أضـاء المشرفيـة والنهـار

وبالأبعاد المكانية والزمانية أدامه الزخم في هجوم ممدوحـة على عدوه ليل نهار حتى أحرز النصر عليه •

هذا ، وقد ابرز الباحث صورا متعددة للمحارب في شعر المتنبي من حيث سماته وموقع القادة ومعدات الحرب ودلالاتها ، ومـن حيث لباسـه الحربي ودلالاته وابرز البحث صوار من الخيل ودلالاتها ، كما ابرز البحث فنونا من الحرب ودلالاتها واختتم البحث بصور من الأبعاد المكانية والزمانية بدلالات متعددة مما يشير بأهمية مثل هذه الدراسات ، ولا سيما عند مواجهة النص •

❁

---

(١٩١) ديوانه ، ج ٢، ٢٠٥ •

(١٩٢) ديوانه ، ج٢ ، ٢٠٨ •

المصـادر والمراجـع

١ ـ القـرآن الكريـم .

٢ ـ ابن الأثير ، ضياء الدين الموصلي : المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، طبع بولاق ، ١٢٨٢هـ .

٣ ـ ابن الأثير ؛ علي بن محمد بن عبدالكريم : الكامل في التاريـخ ، بـيروت : دار صادر ، ١٩٦٦ ، مجلد ٨ .

٤ ـ ابن مسكوبة ؛ احمد : تجارب الأمم ، طبع شركة التمدن الصناعية ، مصر ، ١٩١٥ ، بوقوف Amedroz ، نشر لندن ، سنة ١٩٢١ ، ج٢ .

٥ ـ ابن منظور ، عبدالله محمد المكرم الأنصاري :
لسان العرب المحيط ، تقديم العلامة عبدالله العلايـنـي ، واعـداد يوسف الخياط ، بيروت ، دار لسان العرب .

٦ ـ ابو ديب ، كمال ـ الدكتور) : في الشعرية ، بيروت : مؤسسـة الأبحاث العربية ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

٧ ـ أبو ناجي ، محمود حسن عبدربه (الدكتـور) الحرب في شعـر المتنبـي ، (جده ، دار الشروق) ط١ ، ١٩٨٠ ، جزءان .

٨ ـ الأيوبي وزمـلاؤه : الموسوعـة العسكرية ، بـيروت ، المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر .

٩ ـ البديعي يوسف : الصبح المتنبي عن حيثيته المتنبي ، مخطوط دار الكتب المصرية ورقمه ٥٣٣ أو ب ورقة منسوخ سنة ٣٦٤ ، ورقة ٤٨ .

١٠ ـ البرقوقي ، عبدالرحمن : ديوان المتنبي ، بيروت ، دار الكتـب العربي ، ١٩٨٠ .

١١ ـ الثعالبي ، ابو منصور :
يتيمة الدهر ، طبعة اسماعيل الصاوي ، بمصر ، ١٩٣٤م .

١٢ ـ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر .

١٣ ـ الدنيوري ، عبدالله بن قتيبة : كتاب المعاني الكبـير في أبيات المعانـي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، كتاب الخيل ، ج١ .

١٤ ـ ديوان ابي فراس الحمداني ، طبع بيروت ، ١٩١٠م .

١٥ ـ ديوان ابي الطيب المتنبي : شرح هوامشه وكتبها مصطفى سبتي ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٦ ـ ديوان المتنبي ؛ وضعه عبدالرحمن البرقوقي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠هـ ، ١٩٨٠م .

١٧ ـ الربابعة ، حسن (الدكتور) :
الصورة الفنية في شعر البحتري ـ رسالة دكتوراه ـ الجامعة الأردنية ، ١٩٩٤ .
١٨ ـ الرباعي ، عبدالقادر (الدكتور) :
الصورة الفنية في النقد الشعري ـ دراسة في النظرية والتطبيق ، الرياض ـ دار العلوم والنشر ، ١٩٨٤ .
١٩ ـ قدامة بن جعفر :
الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق وشرح الدكتور محمد حسين الزبيدي ، بغداد ـ دار الرشيد ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ سلسلة كتب التراث ، طبعة اولى ، ١٩٨١ .
٢٠ ـ الكلبي ، عبدالله بن محمد الجزي :
كتاب الخيل : مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، تحقيق محمد العربي خطابي ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٦ .
٢١ ـ الكلبي : كتابان في الخيل ـ نسب الخيل لابن الكلبي ؛ واسماء الخيل وفرسانها لابن الأعرابي لابي منصور الجواليقي بمجلد ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن، بيروت، عام الكتب،١٩٨٧ .
٢٢ ـ الكلبي : انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها ، تحقيق احمد زكي ، نسخة مصورة عن دار الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧ .
٢٣ ـ ليسترانج كي :
بلدان الخلافة الشرقية ، تعريب بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥ .
٢٤ ـ المانع ، سعاد عبدالعزيز (الدكتورة) :
سيفيات المتنبي ، دراسة نقدية للاستخدام اللغوي ، جامعة الرياض ، ١٩٨٧ .
٢٥ ـ المحاسني ، زكي (الدكتور) :
شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الاموي والعباسي ، دار المعارف بمصر ، ط٢ .
٢٦ ـ مؤنس ، حسين (الدكتور) : أطلس تاريخ الاسلام ، القاهرة ، الزهراء للأعلام العربي ، ط١ ، ١٩٨٧ م .

إشكالية العجز والنقص النسبي
في امدادات الطاقة الغذائية العربية

الدكتور سالم توفيق النجفي

١ : مقدمــــة

تميز الربع الاخير من القرن العشرين بمتغيرات لم يكن بعضها في صالح الاقتصاديات العربية ، وفي مقدمة هذه المتغيرات تقلبات اسعار النفط وارتفاع حجم المديونية الخارجية وتفاقم اوضاع اللاأمن الغذائي ، واذا اضفنا اليهـا الارتفاع في معدلات النمو السكاني واعادة توزيع الدخل في بعض الـدول العربية ، فضلا عن التغيرات في نمط السوق العالمي ، فأن محصلة هـــذه المصفوفة تكوّن إشكالية اقتصادية ترتبط وتحدد اوضاع الامن الغذائـي العربي ، ولاشك في أن النقص في امدادات الغذاء ينعكـس ويؤثر في الاداء الاقتصادي لافراد المجتمع ، وهكذا فأن تأثير هذه المتغيرات وانعكاساتهـا على الاقتصادات العربية تعد « حلقة مفرغة » تأخذ متضمناتها بالاتساع مـع الزمن ، وهي مسألة لا تعد مرغوبة في اطار التســارع في النمو الاقتصـادي للعديد من دول العالم المتقدم .

وقد « استهدف البحث » التعرف على جوانب النقص في نصيب الفـرد من الامدادات الغذائية العربية ونمط مكوناتها التغذوية ، اذ يصعب علــى السياسات الاقتصادية الزراعية من تحقيق اهدافها في مجال « الحاجــات الاســاسـية Basic Needs من الغذاء لافراد المجتمع العربي من دون تحديد جوانب العجز والنقص النسبي في هذه الامدادات ، وحددت « مشــكلة البحث » بأن معظم افراد المجتمع في الدول العربية يعانون من النقص النسبي

في امدادات الطاقة الغذائية ، وان استمرار هذا النقص او تزايده يعرض هذه الدول الى إشكاليات اقتصادية معقدة في المدى المتوسط ، قد يضعها في مصاف اقتصادات «اللاأمن الغذائي المزمن » « chronic food insecurity » (١)

وقد « افترض البحث » ان ليس هناك ما يشير الى التحسن في إمدادات الطاقة الغذائية بين الدول العربية ، انما التحسن قد طرأ في بعض الدول العربية بين فترة زمنية واخرى لاحقة عليها ، مما ابقى حالة التباين في هذه الامدادات الغذائية بين الدول عند المستوى نفسه او قريب منه ، وقد اعتمد البحث في منهجيته اسلوب التحليل الموضوعي « Objective Statement » والتحليل المعياري « Normative Statement » فضلا عن استخدام بعض المعايير الاحصائية وتفسير متغيرات البحث في ظل المفاهيم النظرية الاقتصادية .

٢ : اوضاع الامن الغذائي العربي

ليس هناك اقتصاد عربي موحد في وضعه الراهن ، واذا اعتمد هكذا فأن تحليل مؤشرات البحث ومعطياته سوف تعاني من اخطاء التجميع ، ولتقليل هذه الاخطاء فقد تم اعتماد اكثر من تصنيف لاغراض التحليل ، فقد صنفت الدول العربية الى ثلاث مجموعات طبقا لمتوسط الدخل الفردي ، المجموعة الاولى دول مرتفعة الدخل وتضم كلا من العربية السعودية والكويت وقطر والامارات العربية وعمان والبحرين ، والثانية دول منخفضة الدخل وتضم كلا من الصومال والسودان وموريتانيا وجيبوتي واليمن ، ثم مجموعة الدول

---

(١) لمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع الى :
- سالم توفيق النجفي : الامن الغذائي العربي / المحددات الراهنة واشكاليات المستقبل / رؤية اقتصادية للقرن الحادي والعشرين ، كلية الحدباء الجامعة ، مركز الدراسات المستقبلية ، (١) سلسلة دراسات ، الموصل ١٩٩٩ .
- **World Bank , Poverty and Hunger, Issuse and Option for food Security in Developing Countries. U,S, 1986.**

العربية المتوسطة الدخل وتضم كلا من سورية والعراق والجزائر وتونس والمغرب ومصر والاردن وليبيا ولبنان .

وقد اظهر التحليل ان معظم الدول العربية تعاني من انخفاض في الاكتفاء الذاتي من المجموعات الغذائية عامة والحبوب خاصة ، وقد انعكس ذلك بارتفاع قيمة « الفجوة الغذائية » العربية ، اذ بلغت نحو (١ر١٥) مليار دولار في مطلع الثمانينات وانخفضت الى (٢ر١١) مليار دولار في منتصف التسعينات، وقد تحملت مجموعة الدول المتوسطة الدخل الجزء الاكبر من الاهمية النسبية لقيمة هذه الفجوة اذ قدرت بما يزيد عن (٦٥٪) وتليها في الاهمية الدول العربية المرتفعة الدخل ثم المنخفضة الدخل اذ بلغت مساهمتها بقيمة الفجوة الغذائية العربية ما نسبته (٩ر٣٢٪) و(٨ر١٪) على الترتيب في منتصف التسعينات[٢] ، وجدير بالذكر أن هذه المساهمة تشير الى نمط الاعباء التي تتحملها موازين مدفوعات هذه الدول ، في حين يعد متوسط نصيب الفرد من قيمة الفجوة الغذائية في المجموعات العربية الثلاث مؤشرا اكثر دلالة على الصعيد التغذوي ، فقد بلغت قيمة هذه الفجوة في مجموعة الدول المرتفعة الدخل ما قيمته (٩ر١٤٣) دولار للفرد ، في حين انخفضت الى (٢ر٤٣) دولار في الدول المتوسطة الدخل ، والى نحو (٥ر٣) دولار في الدول المنخفضة الدخل عام ١٩٩٥ ، وفي حقيقة الامر فان هذا الانخفاض في الدول الاخيرة لا يشير الى التحسن في مستوياتها الغذائية ، بقدر ما يؤشر انخفاض هذه المستويات عن نظيرتها المعيارية ، ومما يؤكد ذلك ان الدول المنخفضة الدخل لم يتجاوز فيها متوسط نصيب الفرد من امدادات الحبوب عن (١ر١١٨) كيلوغرام ، وارتفع في الدول المتوسطة الدخل الى (٧ر٣٣٣) كيلوغرام ، في حين انه تجاوز (٤٠٠) كيلوغرام في الدول المرتفعة الدخل في العام المذكور في حين بلغ

(٢) جمعت وحسبت :
المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الكتاب السنوي للاحصاءات الزراعية العربية ، المجلد ١٧ ، الخرطوم ، ١٩٩٧ .

هذا المتوسط في الدول المتقدمة نحـو (٥٧٢) كيلوغـرام للفـرد في مطلـع التسعينات[٣] .

ويشير ذلك الى ان المتوسط المذكور في الدول المنخفضة الدخل لايتجاوز (٤ر٣٥٪) مثيله في الدول المتوسطة الدخل ، واقل من ثلث مثيله (٥ر٢٩٪) في الدول المرتفعة الدخل ، وقـد تراجع هـذا المتوسـط في منتصف عقـد التسعينات مقارنة بمثيله في مطلع الثمانينات ، اذ بلغ نحو (١ر١٦٠) كيلوغرام للفرد في الدول المنخفضة الدخل وهو يمثل ما نسبته (٤١٪) و (٥١٪) مقارنة بمثيله في الدول المتوسطة الدخل والمرتفعة الدخل على الترتيب ، مما يشـير الى ان الدول المنخفضة الدخل تعاني من نقص في الامدادات من الحبـوب ، وتمثل الحبوب ما يقارب نصف قيمة الفجوة الغذائية للفرد في الدول العربيـة مما يعني ذلك ان انخفاض قيمة الفجوة الغذائية للفرد في بعض الدول المنخفضة الدخل قد جاء من عدم قدرتها على زيادة العرض من امدادات الحبوب نتيجة القيود الاقتصادية التي تعاني منها سواء على صعيد النمو الاقتصادي لانتاج الغذاء ام ندرة الموارد النقديـة التي تمكنها من زيادة الاستيرادات الغذائية .

٣ : اوضاع العجز في إمدادات الطاقة الغذائية العربية

يشير مفهوم « العجز الغذائي » بأنه مقدار الغذاء الاضافي الـلازم لضمان القضاء عمليا على معدل الانتشار الحالي لنقص الاغذية بين افـراد المجتمع[٤] ، وبمعنى آخر انه الفرق بين متوسط الاحتياجات ومثيلتها مـن

---

(٣) سالم توفيق النجفي ، الامن الغذائي العربي ، المتضمنات الاقتصـادية والتغيرات المحتملة (بالتركيز على الحبوب) ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية العدد (٢٠) ، ابو ظبي ، ١٩٩٨ ، ص١٥ .

(٤) منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، المسح الغذائي العالمي السادس ، روما ، ١٩٩٦ ، ص ٥٥ـ٦٠ .

الامدادات بالنسبة للافراد الذين لا يحصلون على كفايتهم من الغذاء[٥] ،
واذا اعتمدنا هذا المتوسط (٢٧٧٠ سعرة حرارية يوميا) معيارا لتقدير العجز في إمدادات الطاقة الغذائية في الدول العربية ، فان العديد من الدول العربية التي شملها المسح الغذائي السادس الذي أجرته منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، تتسم بالعجز الغذائي ، وتمثل المرتبة الاولى في حجم العجز الغذائي في مطلع السبعينات (١٩٦٩/١٩٧١) دولة اليمن ويليها بالترتيب كل من الصومال والجزائر والعربية والسعودية إذ بلغ متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية دون الالفين من السعرات الحرارية يوميا ، في حين ان الدول العربية التي تجاوز متوسط نصيب الفرد فيها هذا المستوى ولكنها دون مستوى القضاء على انتشار نقص الاغذية آنذاك هي بالترتيب كل من السودان وتونس والعراق ولبنان وسورية والمغرب والاردن وليبيا ومصر ثم الكويت ، وتجاوزت هذا المعيار دولة الامارات العربية فقط وفضلا عن هذا الانخفاض في متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية في الدول العربية المذكورة فان تركيب هذه الطاقة من الناحية النوعية يغلب عليها الحبوب ، وهي سمة تتصف بها الدول النامية ، فقد تراوحت الاهمية النسبية للحبوب بين ادنى مستوى قدر بما نسبته (٤١٫٥٪) في ليبيا واعلى مستوى بما نسبته (٦٥٫٥٪) في مصر ، وانتشرت باقي الدول العربية بين النسبتين المذكورتين في الفترة المشار اليها . (جدول ١) (شكل ١ ، ٢) .

وبالرغم من هذا الانخفاض في متوسط نصيب الفرد من امدادات الغذاء في الفترة الزمنية المذكورة (وهي الفترة التي سبقت ارتفاع اسعار النفط) اذ قدر انحراف متوسط نصيب الفرد في الدول العربية المذكورة عن المتوسط المعياري المشار اليه بمقدار (٤٨٤) سعرة حرارية يوميا ، فان هناك تباينا في هذا

---

(٥) ان متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية المطلوبة للقضاء على انتشار نقص الاغذية تقارب (٢٧٧٠) سعرة حرارية يوميا ، وترجع الاختلافات عن هذا المتوسط الى بعض المتغيرات في مقدمتها فئات العمر والجنس ونمط النشاط الاقتصادي .

المتوسط بين الدول العربية المذكورة ايضا ، إذ قدر « الانحراف المعياري Standurd Deviation » [٦] للمتوسط المذكور بنحو (٥ر٣٦٢) وامكن الحصول على « معامل الاختلاف Coefficient of Variation » [٧] لهذه المتوسطات وبلغ نحو (٨ر١٥٪) .

وقد طرأ تحسن نسبي في متوسط نصيب الفرد من إمدادات الطاقة الغذائية في بعض الدول العربية في مطلع عقد التسعينات (١٩٩٠/١٩٩٢) وفي مقدمة هذه الدول مصر ولبنان والمغرب وليبيا وسورية وتونس والامارات العربية ، وبقي نصيب الفرد دون مستواه المعياري في كل من العراق والكويت واليمن في حين تزايد العجز الغذائي في كل من الصومال والسودان مقارنة بمثيله في مطلع السبعينات ، وبالرغم من هذا التحسن في المستوى العام لمتوسط نصيب الفرد من إمدادات الغذاء الذي تجاوز المتوسط المعياري بمقدار ضئيل (٢٣ سعرة حرارية يوميا) ، فان التركيب النوعي لهذه الامدادات لم يطرأ عليه تحسن يذكر ، إذ بقيت السمة التي تميز هذا المتوسط الحبوب ، فقد بلغت ادنى مساهمة للحبوب في التركيب الغذائي بما يزيد عن ثلث كمية الامدادات (٧ر٣٣٪) وذلك في دولة الامارات العربية ، واعلى مساهمة (٤ر٦٥٪) في اليمن ، وتوزعت باقي الدول العربية بين المستويين المذكورين في مطلع التسعينات ، واقتربت مساهمة الحبوب في كل من العراق[٨] واليمن ومصر والمغرب من ثلثي مكونات سلتها الغذائية .

---

(٦) يعد الانحراف المعياري من مقاييس التشتت المميزة ، وهو يشير الى الجذر التربيعي الموجب لمتوسط مجموع مربعات انحرافات قيم المتغير العشوائي عن وسطها الحسابي .

(٧) يشير معامل الاختلاف الى مدى التجانس في مجموعة من البيانات مقارنة بمجموعة اخرى ، وهو الاهمية النسبية لحاصل قسمة الانحراف المعياري على الوسط الحسابي للبيانات المستخدمة (الدكتور محمود حسن المشهداني (واخرون) ، الاحصاء ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩ ص ٢٣٦ و٢٥٤) .

(٨) تزايدت نسبة مساهمة الحبوب في التركيب الغذائي بالعراق بسبب الحصار الجائر على اقتصاداته القومية في عقد التسعينات ، بينما كان ادنى من هذه النسبة في عقد الثمانينات .

وبتقدير التباين في المتوسطات المذكورة تبين ان قيمة « الانحراف المعياري » قدُ بلغت (٥٤٨ر٢) وان « معامل الاختلاف » قدر بنحو (١٩ر٦٪)، مما يعني انه بالرغم من التحسن الذي طرأ على متوسط نصيب الفرد من إمدادات الغذاء واقرب من مستواه المعياري في بعض الدول العربية ، الا ان الاختلاف بين هذه المتوسطات اخذت بالتزايد في مطلع التسعينات مقارنة بمثيلتها في مطلع السبعينات ، وهو امر يشير الى سيادة قدر من تزايد التفاوت في الامدادات من الطاقة الغذائية بين الدول العربية ، وقد رافقه تفاوت في توزيع الدخل بين فئات المجتمع من جانب ، وبين الدول فيما بينها من جانب آخر (بعد ارتفاع اسعار النفط) ، مما ترتب عليه تفاوت في متوسط نصيب الفرد من إمدادات الغذاء في مطلع عقد التسعينات وهو ما اكده ارتفاع « معامل الاختلاف » المشار اليه في الفترة الاخيرة مقارنة بالفترة الزمنية الاولى .

وفي ظل أوضاع الغذاء في مطلع التسعينات ، فأنه يمكن توزيع الدول العربية الى اربع فئات[٩] من حيث مستوى العجز الغذائي تضم الفئة الاولى « الصومال » التي تتسم بعدم فاعلية اعادة توزيع الغذاء قبل الاجراءات التي يمكن ان تحدث للاسراع في معدلات نمو الامدادات من الغذاء سواء بواسطة نمو انتاج الغذاء أم استيراده ، بحيث تؤدي محصلته الى تزايد العرض من الغذاء مقارنة باوضاعه الراهنة ، الا ان مشكلة هذه الفئة في عدم كفايتها من الغذاء ترجع في جزء كبير منها الى اتساع الاهمية النسبية للفقر[١٠] ، وتضم

---

(٩) منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، المسح الغذائي العالمي السادس ، روما ، ١٩٩٦ ، الملحق ٣ .

(١٠) محمد الصقور (دكتور) ، السياسات الاجتماعية في المنطقة العربية ، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، تقرير اجتماعات الخبراء عن القضاء على ظاهرة الفقر وتوفير سبل العيش المستدام في الدول العربية ، دمشق ، فبراير / ١٩٩٦ ، ص ٩٩ .

المجموعة الثانية كلا من اليمن والسودان ، إذ لم يعد متوسط نصيب الفرد فيها كافيا ليحدث اعادة توزيع الغذاء آثارا ايجابية للقضاء على العجز الغذائي إلا بعد زيادة معدلات النمو الغذائي ، وتتضح مشكلة هذه الفئة بانها ضمت بعض الدول المنخفضة الدخل ومن ثم فأن معظم افراد مجتمعاتها ذات قدرات شرائية محدودة او منخفضة مما قد لا يساعد زيادة العرض من امدادات الغذاء على تحسين اوضاعهم الغذائية اذا لم ترافقه اجراءات اقتصادية تحسن من تزايد قوتهم الشرائية ، او ضمان عدالة التوزيع الغذائي الاضافي ؛ وتشمل الفئة الثالثة كلا من العراق والجزائر والاردن والسعودية والكويت ، ويشير متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية فيها الى أنه مرتفع بما فيه الكفاية لتمكين برامج إعادة توزيع هذه الامدادات من احداث آثار ايجابية على المتوسط المذكور ، اما الفئة الرابعة التي تشمل كلا من مصر ولبنان والمغرب وليبيا وسورية وتونس والامارات العربية ، فأن متوسط امدادات الطاقة الغذائية يشير الى انه يمكن لاجراءات إعادة توزيع هذه الامدادات من ان تحدث آثارا ايجابية لاوضاع نقص الغذاء وتفاوت توزيعه •

٤ : **النقص النسبي في امدادات نصيب الفرد من الطاقة الغذائية**

اعتمادا على متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية خلال الفترتين ١٩٦٩/١٩٧١ و١٩٩٠/١٩٩٢ والمتوسط المعياري من الطاقة المذكورة في الدول العربية ، فقد أمكن ترتيب الدول العربية طبقا للنقص النسبي في متوسط نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية ، وقد احتلت المرتبة الاولى دولة « الصومال » اذ قدرت الاهمية النسبية للنقص المذكور بما نسبته (٢٣٫٢٪) عن المتوسط المعياري ، وتراوحت هذه النسبة في كل من الجزائر والسعودية واليمن والسودان بين (١٠٫١٪ ــ ١٧٫٨٪) ، في حين انخفضت في كل من لبنان ومصر والمغرب والعراق وليبيا وسوريا وتونس بين ما نسبته

جدول (١) نصيب الفرد من امدادات الطاقة الغذائية
والاهمية النسبية للحبوب في التركيب الغذائي للطاقة

الدول العربية	سعرة حرارية 1969/1971	الحبوب٪ 1969/1971	سعرة حرارية 1990/1992	الحبوب٪ 1990/1992
الصومال	١٨١٠	٤٣ر١	١٥٩٠	٥٥ر١
اليمن	١٧٨٠	٦٧ر٤	٢١٦٠	٦٥ر٤
السودان	٢١٩٠	٥٦ر١	٢١٥٠	٥٨ر٦
العراق	٢٢٦٠	٥٤ر٨	٢٢٧٠	٦٢ر٨
الجزائر	١٨٣٠	٥١ر٩	٢٩٠٠	٥٦ر٠
الاردن	٢٤٤٠	٥٦ر٨	٢٩٠٠	٥٠ر١
السعودية	١٨٨٠	٥٣ر٤	٢٧٣٠	٤١ر٥
الكويت	٢٦٤٠	٤٣ر١	٢٤٦٠	٣٩ر٣
مصر	٢٥١٠	٦٥ر٥	٣٣٤٠	٦٤ر٤
لبنان	٢٣٣٠	٤٦ر٧	٣٢٦٠	٣٥ر٦
المغرب	٢٤٢٠	٤٩ر١	٣٠٠٠	٦٣ر١
سوريا	٢٣٤٠	٥٣ر٤	٣٢٢٠	٥٣ر٤
تونس	٢٢٨٠	٥٤ر٤	٣٢٦٠	٥٥ر٠
الامارات	٣١٤٠	٤٥ر٧	٣٣٧٠	٣٣ر٧

جمعت وحسبت :

منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، المسح الغذائي العالمي السادس ، روما ، ١٩٩٦ .

جدول (٢) النقص النسبي في امدادات نصيب الفرد
من الطاقة الغذائية في الدول العربية

التسلسل	الدولة	١٩٦٩/١٩٧١	التسلسل	الدولة	١٩٩٠/١٩٩٢
١	الصومال	٢٣ر٢٪	١	الصومال	٣٥ر١٪
٢	الجزائر	١٧ر٨٪	٢	السودان	١٠ر٩٪
٣	السعودية	١٧ر١٪	٣	اليمن	٥ر٩٪
٤	اليمن	١٦ر٩٪	٤	العراق	٤ر٨٪
٥	السودان	١٠ر١٪	٥	الكويت	٤ر١٪
٦	لبنان	٦ر٧٪	٦	السعودية	٢ر٤٪
٧	مصر	٥ر٧٪	٧	سوريا	٢ر٤٪
٨	المغرب	٥ر٣٪	٨	المغرب	١ر٨٪
٩	تونس	٥ر٢٪	٩	الجزائر	١ر٦٪
١٠	العراق	٤ر٥٪	١٠	مصر	٠ر٩٪
١١	ليبيا	٤ر٤٪	١١	لبنان	٠ر٨٪
١٢	سوريا	٤ر٢٪	١٢	الامارات	٠ر٦٪
١٣	الاردن	٢ر١٪	١٣	ليبيا	٠ر٥٪
١٤	الكويت	١ر٣٪	١٤	الاردن	٠ر٥٪
١٥	الامارات	٠ر٨٪	١٥	تونس	٠ر٤٪

حسـب :
منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، المسح الغذائـي العالمي السـادس ، رومـا ، ١٩٩٦ .

(٢ر٤٪ ــ ٧ر٦٪) ، حين بلغت ما نسبته (٨٪)[١١] في الامـارات العربية ، وذلك خلال الفترة الاولى • وبقيت الصومال تحتل المرتبة نفسها خلال الفترة الثانية ، اذ ارتفع النقص النسبي لمتوسط امدادات الطاقة الغذائية للفرد الـى نحو (١ر٣٥٪) ، وبقيت السودان محافظة على مستواها النسـبي (٩ر١٠٪) في حين خفضت باقي الدول مستوى النقص النسبي لمتوسط امدادات الفـرد من الطاقة الغذائية ، مما يدل على ان تحسنا قد طرأ في الفترة الثانية مقارنـة بالاولى بأستثناء الصومال والسودان (جدول ٢) (شكل ٣) •

وأمام هذه التغيرات في الفترة الثانية مقارنة بالفترة الاولى ، فأن نقصـا نسبيا مازالت تعاني منه بعض الدول العربية ولاسيما منخفضة الدخل ، وجدير بالذكر انه في حالة إمكانية السياسات الاقتصادية العربية من إحداث آثـار ايجابية لاعادة توزيع الامدادات من الطاقة الغذائية او الارتفاع بعرض هـذه الامدادات ، فأن هناك بعض الاشكالات الاقتصادية سوف تواجه هـذه السياسات في مقدمتها :

- كيفية أن يكون التوزيع للحصة من إجمالي الغذاء المضاف من نصـيب الاقل حظا في توفير الغذاء طبقا للمؤشرات المعيارية ، وفي ظل القيـود التي يصعب معها تمويل الغذاء المضاف الى هؤلاء الافراد ، فأنه في اقل تقدير يكون هذا التوزيع اكثر تجانسا بين افراد المجتمع ، مما يعنـي قدرا متساويا من توزيع الغـذاء للافـراد ذوي المسـتويات الغذائيـة المنخفضة •

---

(١١) منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، المسح الغذائـي العالمي السـادس ، روما ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٨-١٣١ •

- كيفية توفير قوة شرائية إضافية للافراد منخفضي الدخل تمكنهم من تحقيق الطلب على الغذاء عند المستويات الجديدة بعد إعادة توزيعه ، للتأكد من وصول الغذاء الاضافي الى هؤلاء الافراد من ذوي الدخل المنخفض في المجتمع العربي .

- إن بقاء متوسط إمدادات الفرد من الطاقة عند مستوياتها الراهنة ، فأن المجتمع العربي في بعض الدول العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين سيواجه بسياسات التكيف والتغيرات الهيكلية التي اعتمدتها بعض الدول العربية ، التي من شأنها ان تؤدي الى تزايد ظاهرة البطالة(١٢) واتساع التضخم وتعميق حدة التفاوت الدخلي في المدى المتوسط ، وفي ظل هذه المتغيرات فأن قدرا اكبر من الفقر وتراجعا في القوة الشرائية سيصيبان فئات اوسع من افراد المجتمع ، وتنعكس آثارها على المستويات الغذائية وتزايد النقص النسبي في امدادات الطاقة الغذائية .

واخيرا فأن معالجة نقص متوسط إمدادات الطاقة الغذائية تتطلب معالجات اقتصادية لمصفوفة من المتغيرات المؤدية الى إشكالية اللاأمن الغذائي، واذا استثنينا المعالجات على الصعيد القطري والمرتبطة بالسياسات النقدية والمالية(١٣) ، فأن المعالجات على الصعيد القومي تتطلب إعادة تخصيص

---

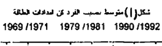
(١٢) منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، الهيئة الاقليمية للسياسات الاقتصادية والاجتماعية في الشرق الادنى ، تاثير برامج التكيف الهيكلي على التنمية الزراعية ، روما ، ١٩٩٣ ، ص ٥ .

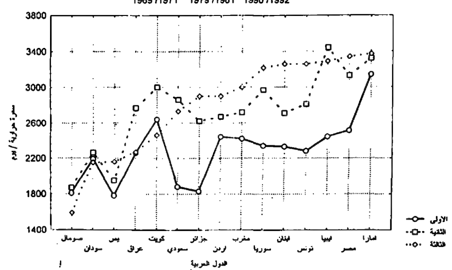
(١٣) لمزيد من الاطلاع على دور الدولة في مجال السياسات الكلية ، يمكن الرجوع الى : منظمة الاغذية والزراعة الدولية للامم المتحدة ، الامن الغذائي في بلدان العجز الغذائي ذات الدخل المنخفض ودور المنظمة في تحقيقه ، روما ، ١٩٩٤ ، ص ٩ .

استخدام الموارد الزراعية لتعظيم حجم انتاج الغذاء[١٤] ، وهو الامر الذي سيؤدي الى تزايد الناتج الحدي للعمل من جانب مما تنعكس آثاره الايجابية على العرض من الغذاء ، والارتفاع بمستوى اجوره من جانب آخر مما يؤدي الى تزايد القوة الشرائية لافراد المجتمع من منخفضي الدخل • فضلا عن أن الاتجاه نحو إعادة تخصيص الموارد سيؤدي الى توظيف مبادىء الميزة النسبية في انتاج الانواع المختلفة من الغذاء في الوطن العربي ، وهو الامر الذي سيؤدي الى تزايد العرض من الغذاء ويعمل على سيادة الكفاءة التنافسية لانتاج السلع الغذائية في المدى البعيد •

*

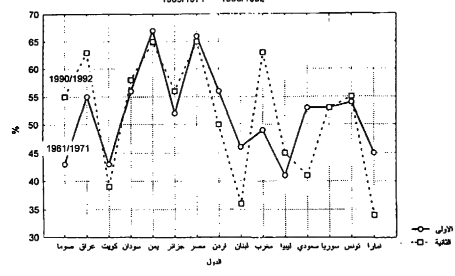
(١٤) منظمة الغذاء والزراعة الدولية ، الهيئة الاقليمية للسياسات الاقتصادية والاجتماعية في الشرق الادنى ، حالة الاغذية والزراعة في الاقليم في السياق العالمي خلال السنوات العشرين المقبلة ، (نواكشوط) ،روما ١٩٩٣ ، ص ٥ .

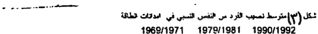


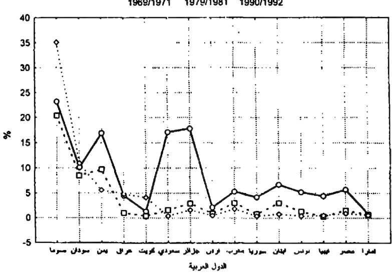


شكل(٢) الاهمية النسبية لنصيب الفرد من امدادات الحبوب في الدول العربية

1969/1971 1990/1992







التعبئة العربية الأسلامية في كتاب « The Tactica » للامبراطور البيزنطي ليو السادس ٨٨٦ ـ ٩١٢ م •

د• طـه خضر عبيد
جامعة الموصل ـ كلية التربية / قسم التاريخ

الملخص :

عندما كتب الامبراطور البيزنطي ليو السادس ٨٨٦ـ٩١٢م الفصل الثامن عشر من كتابه ، لا بل الكتاب كله والمسمى بالفن الحربي ، فأنه قد وضع العرب المسلمين في تفكيره وبين أن العرب المسلمين كانوا سببا لتأليف الكتاب •

تهدف هذه الدراسة الى اعطاء فكرة عما قاله الامبراطور عن التعبئة عند العرب المسلمين وتحليل ذلك •

واستنتجت الدراسة ، أن العرب المسلمين كانوا اكثر قوة حربية في التنظيم والتجهيز والتسليح والروح المعنوية في تلك المدة ، وان الدولة البيزنطية قد تأثرت بتلك التعبئة واصلحت تنظيم جيشها براً وبحراً •

اولا : التمهيد :

اكتسب العرب المسلمون قادة وجنوداً خبرات فائقة ، برعوا فيها في تعبئة جيوشهم ، وأثبتوا مهارة في فن الحرب ، وقاتلوا اعداءهم قتالاً باسلا ، وشهد العصر العباسي بحق اطول صراع حربي مع بيزنطة ، كانت نتائجه لصالح العرب المسلمين سياسياً وحربياً واقتصادياً حتى منتصف القرن الرابع

للهجرة / العاشر للميلاد ، غير ان العباسيين لم يتوسعوا كثيراً في آسيا الصغرى ، ولم يتمكنوا من اسقاط الامبراطورية البيزنطية ، لكنهم خاضوا حروباً وصفت بانها متواصلة ومهمة هددت بيزنطة مراراً قادها وشارك فيها الخلفاء وابناؤهم ، هرون بن المهدي عندما كان ولياً للعهد في السنوات ١٦٣هـ/٧٧٩م ، ١٦٥هـ/٧٨١م ، ولما اصبح خليفة واصل جهاده ، وقاد المأمون ٢١٥-٢١٧هـ / ٨٣١-٨٣٣م والمعتصم بالله ٢٢٣هـ/٨٣٨م حملاتهما الكبيرة التي وصلا فيهما الى اعماق الامبراطورية البيزنطية ، وهددوا العاصمة والمدن المهمة ، وفرض القادة الثلاثة شروطهم على الاعداء ، واستمرت الحملات السنوية « الصوائف والشواتي » عملا حربياً جهادياً ، بدأه الامويون ، وعاوده العباسيون بقوة اكبر ، وحققوا من الحملات البرية والبحرية اهدافاً ، اضافت الى قادتهم وجندهم خبرات قتالية وممارسة ميدانية تدريبية مستمرة ، جعلت منهم اكثر قوة ومهارة في فن الحرب ، وأبعدت الخطر البيزنطي عن الثغور وحمتها ، وحصلت على الغنائم او على الجزية من خلال بنود المعاهدات[1] .

لم يكن العرب المسلمون محاربين أشداء فحسب ، بل تركوا تراثاً حربياً في الفن المذكور تضمن وصايا وكتابات الخلفاء وقادتهم وما كتب بطلب منهم ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كتاب الهرثمي[2] ، والقصد من تسجيل هذه الملاحظة ، تأكيد اهتمام العرب المسلمين بالصناعة الحربية وفن الحرب قبل غيرهم من الامم ، ولكن للصورة وجهاً آخر ، ذلك هو ما كتبه الاعداء عن التعبئة « فن الحرب » العربية الاسلامية ومنه ما سيعرض في هذا البحث .

فبين أيدينا كتاب ألفه الامبراطور البيزنطي ليو السادس ٨٨٦-٩١٢م الملقب بالحكيم « **Sophos = Wise** »[3] وعند قراءته ، تم اختيار ما يخص العرب المسلمين وفنهم الحربي فيه ، ولابد من القول : أنه سجل تاريخي معاصر يحوي معلومات ومواضيع حسنة ومفيدة ، متى عولجت بدقة وبروح من

النقد والتحليل التاريخي ، فستبدو ذات قيمة تاريخية لما فيها من اعترافات صريحة ، وحقائق مسجلة عن العرب المسلمين ، الذين عدهم المؤلف « العدو الاول لامبراطوريته » ، ولا تخلو تلك الملاحظات من قيمة حربية كبيرة وان كانت ممزوجة باراء مخطوءة وقع فيها المؤلف او قصدها لكنها تحمل وضوحاً يبدو منها ، أنه وجهها لقادته وجنده وكلما تطابقت الرواية البيزنطية هنا مع الرواية العربية ، فأن ذلك من حسن الحظ لانها تأكيد للحقيقة ، وفي حالة اختلافهما ، فلابد من الغوص في الاعماق لمعرفة القصد وهي نهاية المطاف ستوصل الى الصواب والى الحقائق التي تعني اعتراف عدّونا بكلمة واحدة فهي معاجم ، معرفية وأية سلبية يركز عليها فهي من وجهة نظره ذات هدف عنده لا محالة ، وأية دعوى نظرية مجردة من الدليل والبرهان ليست شيئاً جديراً بالاهتمام .

لقد ألف الامبراطور كتابه The Tactica = فن الحرب او تراتيب الحروب والتكتيك ، في بداية القرن العاشر للميلاد ، نهاية القرن الثالث للهجرة ، وحدّد I . Heath [٤] سنة ٩٠٣م تاريخاً كتب فيه الكتاب ، وباللغة اليونانية . وذلك في زمن كانت الخلافة العباسية تمر بمرحلة من الضعف في مركزها ، وقد عاصر مؤلف الكتاب الخلفاء المعتمد ٢٥٦ــ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ــ٨٩٢م والمعتضد ٢٧٩ــ٢٨٩هـ/٨٩٢ــ٩٠٢م والمكتفي ٢٨٩ــ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ــ٩٠٨م والمقتدر ٢٩٥ــ٣٢٠هـ/٩٠٨ــ٩٣٢م . واذا كانت الخلافة في تلك المدة تحارب على اطرافها عدوا واحداً هو الروم البيزنطيون ، فان اعداءها في الداخل كثر ، فضعف الخلفاء ، وزوال سيطرتهم على الجيش والتناحر بين قادة الجيش من الاتراك ، والتمرد على السلطة المركزية ، وقيام الفتن الداخلية الزّيخ والقرامطة ، مما اضعف الخلافة في امكانية المواجهة الحاسمة والردع المباشر لبيزنطة ، فتحولت المواجهة الى مواقف لولاة الثغور وامرائها بدعم

معنوي من الخلفاء وقد استطاعوا الدفاع والصمود على ما سجلته التواريخ ولاسيما للمدة من ٢٤٨هـ-٣٦١هـ/٨٦٢-٩٧١[٤] .

ففي الاربع عشرة سنة الاولى من حكم مؤلف الكتاب الامبراطور ليو السادس ٨٨٦-٩٠٠م تعرض الروم البيزنطيون لهزائم عديدة في الجبهة البرية عند ابواب قليقية ، وادى انتصار العرب المسلمين الى أن يزحفوا على امتداد الساحل وان يتوغلوا في جوف آسيا الصغرى[٥] .

وقد بلغت هجمات طرسوس وحدها قرابة ثماني عشرة حملة شنها الطرسوسيون ضد بيزنطة او ردوا فيها هجوماً بيزنطياً للمدة من ٢٦٩-٣٠٢هـ / ٨٨٢-٩١٤م[٦] .

وكانت طرسوس واذنة مفتاح هذه الجبهة وطريق الحملات ومنها الدروب والممرات الضيقة ، وقد ركز الامبراطور البيزنطي في كتابه على هذه الجبهة ومقاتليها اكثر من اي مكان آخر ، لان الثغور هي مركز الاحتكاك الحربي العربي الأسلامي مع البيزنطيين في هذه المدة[٧] .

لقد كان لكل جيش فنه الحربي في سوقيته وتعبئته « الاستراتيك والتكتيك » تبعاً لعقيدته الدينية ومذهبه العسكري وعدده وتسليحه وصنوفه وظروفه الاخرى ، كما ان لكل معركة فنها الحربي الخاص بها[٨] .

وكانت للعرب المسلمين مهارتهم الحربية ومقدرتهم الفنية ومزاياهم وأساليبهم القتالية ودقة تنظيمهم الحربي وادارتهم للمعارك التي مكنتهم من قهر اعتى الامبراطوريات في العالم وأقدمها ولما تركته انتصاراتهم من اثر واضح عند اعدائهم ومنهم الروم البيزنطيون بأن مسك الامبراطور البيزنطي ليو الحكيم قلمه وشحذ تفكيره ليكتب كتابه The Tactica مدفوعاً وقائلا بأن تأليف الكتاب باكمله ولاسيما الفصل الثامن عشر انه كان بسبب العرب المسلمين وسماه بهذا الاسم الذي يعني بالعربية تراتيب الحروب وفنونها او التكتيك[٩] ، وقد سجل مؤلف الكتاب الاسباب التي دعته الى تأليف

الكتاب والاسباب المباشرة وراء هذا العمل وواصفاً العرب المسلمين بأنهم .

١ ــ « ألد أعداء الامبراطورية واخطرهم في الوقت الذي ألف فيه الكتاب »[١٠]

٢ ــ « يختلفون قومياً ودينياً واجتماعياً عن البيزنطيين ، وهم بذلك يزعجون الامبراطورية ويقلقونها دائماً »[١١] .

٣ ــ « يمتلكون فناً حربياً متقدماً ومهارة قتالية في البر والبحر ويفوقون فيه قواته »[١٢] .

٤ ــ « لانهم شغلوا تفكيره فعليه أن يواجههم ، ولكي يواجههم كان لابد من ايجاد الطرق وتأمين الوسائل الكفيلة التي تمكنه من صدهم في اقل تقدير »[١٣] .

٥ ــ يختلفون عن الامم المجاورة الاخرى التي لا تشكل خطورة على امبراطوريته ذلك « ان البلغار والهنكار ، والافرنج ، واللمبارديين ، والسلاف وشعوب وامم تدين بالمسيحية فهي تابعة او متحالفة او متعاطفة مع بيزنطة » مما يوضح قلة معلوماته الحربية عن تلك الامم ، فهو يقول « ان معلوماته عنهم جاءت من المؤلفات والروايات القديمة »[١٤] .

وقد إستمد المؤلف معلوماته عن الفن الحربي العربي الاسلامي من قناتين كما يقول «احداهما تجربته الشخصية وتجارب قادته ، والثانية من روايات والده باسيل الاول Basil 1 ٨٦٧ــ٨٨٦م » ، وكان الاخير قد خاض حروباً ضد العرب المسلمين على هذه الجبهة ويظهر من كتاب ليو انه ظل يعيش حالة حذر وخوف دائميين وقلق واضح بسبب الحرب مع العرب المسلمين[١٥] .

ثانيا : طبيعة الحرب المقدسة

يكاد ليو السادس اول امبراطور بيزنطي يدعو الى اعلان الحرب المقدسة من الناحية النظرية ضد العرب المسلمين[١٦] ، فهو يقول[١٧] : انه يؤمن بالحرب المقدسة A holy War ضد أعدائه ولذلك يقاتل العرب

المسلمين . ويستطرد ... بأنه امبراطور الروم الذين يدينون بالمسيحية ، فانه يطلب من قادته واقربائه واصدقائه ومواطنيه ومن كل الامم المسيحية ان تحارب معه » واصبح داعية للحرب المقدسة بين جنوده وقادته وعدّهم « حملة رسالة قومية ودينية »[١٨] .

ولا يمكن تعليل هذه الدعوى للحرب المقدسة وبهذه الطريقة الاّ بأنها بداية للحروب الصليبية التي بدأت بواكيرها على هذه الجبهة بعد وفاة الامبراطور ليو السادس سنة ٩١٢م[١٩] ، ويستنتج من طبيعة اوامر الامبراطور في هذا المجال ، ان هدفه المباشر من اعلان الحرب هو لاثارة الحماسة بين جنده وقادته ولتعزيز معنوياتهم بهذه الطريقة[٢٠] .

والجدير بالذكر ان السياسة البيزنطية لم تطلق قبل عصر ليو السادس تسمية الحرب المقدسة او العادلة ، لانها خاضت كل حروبها مع الامم ، ومنهم العرب المسلمون وتراها عادلة من وجهة نظرها ، والذي صرح علناً بالحرب العادلة والمقدسة نظرياً ايضا هو الامبراطور ليو السادس لكنه لم يستطع تطبيقها فعلياً[٢١] ، والذي طبقها احد قادته العسكريين وهو القائد نقفوز فوكاس الثاني والمقيم في ايطاليا الى ان استدعاه سنة ٩٠٠م بعد الانتصارات العربية الاسلامية المتلاحقة على البيزنطيين ، وقد تدرج نقفوز في القيادة العسكرية الى ان اصبح امبراطوراً ، فطبق الحرب المقدسة وقادها فعلياً على جبهة الثغور العربية الاسلامية ٩٦٣–٩٦٩م[٢٢] .

ثالثا : اراء ليو : القوة والضعف في الفن الحربي العربي :

لقد كانت الحرب تدور بين الطرفين على جبهة الثغور البرية والبحرية ، تلك الاقاليم الواسعة التي امتلكت عناصر القوة الذاتية في استحكاماتها وتحصينها ومقاتليها وسكانها وبدعم الحلفاء لهم ، فاستطاعت البقاء قوية صامدة برجم كل الهجمات البيزنطية ، وسجلت انتصارات رائعة ومستمرة على الروم البيزنطيين ، وهذا يعكس اهتمام الامبراطور وتركيزه لمعلوماته وشروحه

عن محاربي تلك الجبهة وفنهم الحربي تاركاً فنون القتال على مستوى المعارك والحملات الكبيرة والجيوش العربية الاسلامية الجرارة والسابقة لعهده •

وكما قال الامبراطور[٢٣] « ان العرب المسلمين في جبهة الثغور لا يستطيعون تحمل البرد والمطر ، ولذلك فانهم يحجمون عن شن حملاتهم على الاراضي البيزنطية في الشتاء » ، ولذا امر ليو قادته بالهجوم على العرب المسلمين في ذلك الفصل من السنة ، وهذا يوضح تزامن معظم حملات الروم البيزنطيين وهجماتهم على الثغور كما يفسر نقضهم معاهدات الصلح والهدنة والتي كانت في فصل الشتاء[٢٤] •

وكانت الحملات السنوية المنظمة « الصوائف والشواتي » الربيعية والشتوية التي نفذها العرب المسلمون ، تنطلق في اوقات معلومة من السنة ، مرتين في اقل تقدير ، كما وصفها قدامة قائلا[٢٥] :

« الربيعية لعشرة أيام من أيار ، بعد ان يكون الناس قد ربطوا دوابهم وحسنت احوال خيولهم فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية ايار وعشرة من حزيران فانهم يجدون الكلأ في بلاد الروم ممكناً ، وكأن دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً ثم يقفلون فيه فيقيمون الى خمسة وعشرين يوماً ، وهي بقية حزيران ، وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجتمع الناس للصائفة ثم يسيرون لعشرة تخلط من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوماً ••• أما الشواتي فأني رأيتهم جميعاً يقولون : ان كان لابد منها فليكن ممالا يبعد فيه ولا يوغل وليكن مسيرة عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره وان يكون ذلك في آخر شباط فيقيم الى ايام تمضي من آذار فأنهم يجدون العدو في ذلك الوقت اضعف مما يكون نفساً ودواباً ويجدون مواشيهم كثيرة ، ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون » • ويوضح قدامة في هذا الكلام صعوبة الدخول الى الدروب في الشتاء • الا" ان هذا قد يحدث عند الضرورة وهو بذلك يخالف رأي ليو المذكور سابقاً •

وشدد ليو على قادته في البنود الواقعة في آسيا الصغرى على حشد قواتهم وانتهاز الفرصة ، عندما تخلو الثغور العربية الاسلامية من المتطوعة الذين يعودون الى ديارهم خلال نزول الثلج والمطر[٣٦] .

ولم يتطرق ليو الى موضوع محاربي الثغور والحاميات والجند النظاميين في هذه الاقاليم ، ويحاول مؤلف الكتاب ان يعلل الاحجام العربي الاسلامي عن مهاجمة اراضي بيزنطة في الشتاء لطبيعة المزاج في القتال ، وقد وقع تحليل عدد من المؤرخين المحدثين في الخطأ والرأي نفسه[٣٧] . وركزوا على انه لا يطيب للعرب المقام الا في مناخ بلادهم ، ولذلك كانوا يتفرقون إذا حل الشتاء ، وسجل ليو هذا الرأي وعدّ الامر ضعفاً فهو يقول : « الجو البارد والمطر كان مكروهاً لدى الجندي العربي ولذلك كان يضعف اذا هجم البرد فلا يظهر ثباته وشجاعته المعهودتين »[٣٨] . ولذلك فالفرصة تكون مواتية للروم البيزنطيين كما يرى لمهاجمة الثغور بسهولة[٣٩] .

لم يكن رأي ليو صائباً ودقيقاً وان كانت الحملات الحربية في الشتاء في كل مكان تواجه صعوبات الطبيعة والحركة وهي محدودة وبحسب ظروفها ، ودليلنا على خطأ ليو ، هو ان الجيش العربي الاسلامي كان ينفذ حملاته في كل الاوقات والفصول اذا اضطر الى ذلك ، ولم تقف الطبيعة حائلا امام هدفه ولم يكن قتاله موسمياً ولدينا من الامثلة الكثير[٣٠] ، منها الاشارة الى شاتية في سنة ٣٠٢هـ / ٩١٢م في برد وثلج شديدين ، غنم العرب المسلمون فيها ، وسبوا من الروم اعداداً كبيرة[٣١] .

فضلا عن ان سكان الثغور وجندها كانوا يعيشون في مناخات لا تختلف عن مناخات البنود البيزنطية المجاورة . ولذا لا يصدق كلام ليو الا على جانب محدد وتفسير آخر هو انسحاب المتطوعة الى ديارهم لكون هؤلاء ينذرون انفسهم للمشاركة في الجهاد سنوياً حسبة وكسبة ويشاركون في

الحملات ثم يعودون الى ديارهم ويكونون على استعداد تام لتلبية نداء النفير او متى ما احتاج اخوانهم في الثغور الى ذلك .

وينصح الامبراطور ليو في كتابه قادته ويأمرهم بمهاجمة العرب المسلمين بحراً حين يشنون اية حملة برية ضد البيزنطيين لان هجوم قادته البحريين سيهيء لهم المباغتة لخلو الثغور العربية الاسلامية من الحماية الكافية لخروج المقاتلين في حملتهم[٣٢] ، ويضيف ان من الافضل التحضير لهجوم بيزنطي بري وبحري على الجبهتين ان امكن[٣٣] .

ولذلك اصدر ليو اوامره الى قادته في البنود البحرية والبرية في هذه المدة لتنفيذ الخطة وامر قائد بند كبرياتون البحري للهجوم على طرسوس واذنة في الوقت نفسه الذي يقوم فيه قادة البنود البرية البيزنطية في آسيا الصغرى بمهاجمة الاراضي العربية الاسلامية عبر الممرات الطبيعية الضيقة المقابلة لطرسوس[٣٤] .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الخطة في الهجوم مشابهة لخطة والده باسيل الاول قبل عدة عقود[٣٥] ، غير ان الواقع لم يكن كذلك بحيث لم يسمح لبيزنطة الاستمرار على هذا النهج لقوة الثغور وتحسب اهلها ومعرفتهم بخدع اعدائهم ولم يستطع الامبراطور ليو ان ينفذ خطته التي وضعها للهجوم على طرسوس براً وبحراً سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م عندما امر ادميراله همريوس Hemerius وقائد البنود البرية اندرونقاس Andronikś للتوجه الى طرسوس ولم تنفذ الخطة وكل ما نفذوه كان هجوماً بحرياً على طرسوس سنة ٢٩٩هـ/٩١١م دفع همريوس حياته ثمناً له بعد عدة سنوات[٣٦] .

ويأمر الامبراطور قادته وجنده بأن يعرفوا الكثير عن الفن الحربي العربي الاسلامي، وعدّ ذلك جانباً من الثقافة الحربية والتدريب العسكري. لان العرب استخدموا تعبئات قريبة من التعبئة البيزنطية في التنظيم والتسليح[٣٧] . غير ان العرب المسلمين نفذوا تعبئتهم بدقة وسرية من دون ان تمر للبيزنطيين

خدعة فتظاهروا باسلوب قتالي هو الكر والفر في ساحات الحرب ويقف ليو عند هذا الفن الحربي ليقول[٣٨] : في حالة هذا الاسلوب القتالي ، فان هناك احتمالين لا ثالث لهما في هذا العمل الحربي ، اما ان يفر العربي بخدعة حربية وتجنب القتال ، وهذا هو السبب الذي جعل الامبراطور ، لا ينصح قادته بقتال العرب المسلمين مباشرة لامتلاك فرسانهم عناصر القوة ، ولذا امر قادته بالقيام بهجمات فجائية غير متوقعة ، وإقامة الكمائن لاسيما عند الممرات القريبة من طرسوس ، لدى عودة العرب المسلمين من حملاتهم محملين بالغنائم[٣٩] .

أما الفن الحربي « التكتيك » الذي استخدمه الفرسان العرب المسلمون المتحركون في المعركة والذين تميزوا بسرعتهم الفائقة وحركتهم العجيبة ، فاتاح لهم ذلك تطبيق اسلوب القتال «الهجوم السريع» والانسحاب الفوري مرة بعد اخرى الكر والفر والكر ثانية[٤٠] . كما اتبعوا طريقة الزحف والصفوف والكرة بعد الفرة والرجعة بعد الجولة ، بحسب ظروف وطبيعة المعركة[٤١] ، وهي اساليب قتالية اجادوا فيها ، تلازمهم الشجاعة والثبات والسرعة والدقة وتقسيم الواجبات والمعنويات العالية التي اربكت اعداءهم البيزنطيين مما حمل الامبراطور البيزنطي على توجيه اوامره الى فرسانه قائلا[٤٢] : «لاتلاحقوا فرسان العرب ، لانكم ثقلاء وحركتكم بطيئة في حين تميز الفرسان العرب بخفتهم وسرعتهم واجادتهم المطاردة والالتفاف بشكل مثير جداً » وقد اقلقت سرعة الفرسان العرب وشجاعتهم الامبراطور وقادته كثيراً ، فعاد واهتم بجيشه واصدر اوامره الى الرماة البيزنطيين بضرب الخيول العربية بالسهام المسمومة التي سماها **Pharia** [٤٣] .

ويرى انها اجبرت الفرسان العرب على الانسحاب مراراً لكي ينقذوا خيولهم ذات القيمة عندهم ، وهي خيول غير مدرعة ولكنها سريعة منضبطة وقد اخطأ **Oman** [٤٤] في اتهامه المقاتل العربي المسلم بانه لايثبت في مكانه ليقاتل بالتحام ضد البيزنطيين ، بسبب هذه السهام المسمومة ، بل

كان يفضل الكر والفر خوفاً على فرسه ! ولكن حقيقة الامر تقول ان المقاتل العربي يعتز بسلاحه وحصانه كثيراً(٤٥) ، ولذلك كان يحميها ويحافظ عليها بكل وسيلة ، وقد كان اسلوب الكر والفر اسلوباً قتالياً تستدعيه ظروف المعركة وتحدده عواملها(٤٦) ، وقد كان العرب المسلمون مقاتلين اشداء يضحون بارواحهم فضلا عن خيولهم التي كانوا يقتلونها عند الضرورة بسيوفهم مع اعتزازهم بها ، لانهم يعتزون بالجهاد اكثر منها راجين الفوز بالنصر والشهادة(٤٧) .

ولذلك نجد انه من المستبعد البتة ان يصح الرأي الذي قاله الامبراطور من قبل ، فهو لا يعدو ان يكون موجهاً لمقاتلي الروم البيزنطيين من اجل تقوية معنوياتهم واشعارهم بالقوة ليس اكثر(٤٨) .

وفي تشكيل المعركة « التعبئة لها » فأن العرب المسلمين قد وضعوا في مقدمة فرسانهم رجالا شجعان سماهم ليو **Aithiopes** ويعني الطلائع وهم مسلحون بالاقواس فقط ليرشقوا البيزنطيين بوابل من سهامهم(٤٩) ، وكانوا دقيقي الرمي ، وماهرين في اداء واجبهم القتالي الذي هو جزء من التعبئة وكان هذا الواجب ينفذ قبل اندفاع الفرسان لسلب زحف سريع للمشاة المتحركين والفرسان الاخرين المكونين لاقسام التعبئة بحسب اسلوبها القتالي ، وهذا يعني ان لكل مقاتل عربي حصاناً ، وفي حالة عدم كفاية الخيول لكل المقاتلين فأن المشاة يمتطون خيول الفرسان ردفاء لهم ، أي كل مقاتلين على حصان واحد(٥٠) ، ولهذا « وجب على المقاتل الفارس العربي المسلم ان يروض حصانه ويعوده على حمل الرديف »(٥١) .

ولابد من القول ان معظم صنوف الجيش العربي الاسلامي ومقاتلي الثغور هم الفرسان والمشاة المتقدمون على اعدائهم ، ويهتم الصنف الاول وقادة الثغور بالخيول ، ويخصصون انواعاً منها لصفاتها لاسيما لاداء واجبات

قتالية معينة في الهجوم ام الدفاع وكانوا يوقفون خيولهم في رباطات الثغور في تلك الاقاليم(٥٢) .

انتقد الامبراطور ليو الجانب الاداري « النقل » عند العرب المسلمين وعده ضعفاً في التعبئة العربية الاسلامية فقال « إن العرب المسلمين يحملون أمتعتهم على الابل وليس بالعربات او على الحيوانات الاخرى التي امتلكوها(٥٣) . وبعد قليل عاد بنيان خطورة هذا الجانب الاداري الذي سماه ضعفاً وانعكاسه السلبي على الجيش البيزنطي عندما قال(٥٤) : « ولذا نجد ان منظر هذه الحيوانات « الجمال » مخيفة للبيزنطيين وصوت الطبول التي تصاحب معارك العرب ، قد بعثت الرعب في خيولهم « البيزنطيين » ولتجاوز هذا الخطر « امر قادته بان يهتموا بتدريب خيولهم وترويضها للمشاركة في المعارك مع العرب تحت مثل هذه الظروف(٥٥) . ومن الجدير بالملاحظة ان ما ذهب اليه فون كريمر Von Kerermer (٥٦) عندما عدّ الجمال من عيوب التعبئة العربية فهو مستبعد ايضا فالمصادر العربية(٥٧) ، تمدنا بمعلومات تؤكد ان حملات الخلفاء العباسيين الكبيرة كلها اعتمدت على الجمال وباعداد كبيرة وصلت الى خمسين الف جمل تحمل الامتعة والمؤن ، وهي ترافق صنوف الجيش من الفرسان والمشاة وكان العرب المسلمون يمتلكون فعلا العربات وباعداد كبيرة جدا ، لكنهم استخدموها لاغراض اخرى غير حربية(٥٨) .

وحقيقة الامر ان الجمال تحمل اثقالا وتمشي في مسالك الجيش نفسها عبر الدروب فالنقد المذكور في اعلاه لا يعدّ بأي حال من الاحوال ضعفاً ، لان الاعتماد على الجمال جزء من التعبئة الحربية عند العرب المسلمين ، لان صوت العربات مسموعة في حركة الجيوش الجرارة وهي تحتاج الى اعداد من المقاتلين لتنظيم حركتها ، بعكس الجمال الصبورة المنضبطة في حركتها فضلا عن سرعتها الفائقة .

ويقارن ليو طريقة التجنيد او التطوع في الجيشين العربي الاسلامي والبيزنطي ويقول عن العرب ، انهم لم يخدموا في الجيش طبقاً لقوائم التطوع « التجنيد الاجباري »[٥٩] . وهو لهذا لا يقر بوجود جيش نظامي لدى العرب المسلمين ، ومن المسلم به ان الجيش النظامي قد ظهر في العصر العباسي[٦٠] وقد ضم الى جانب النظاميين مرافقة المتطوعة حسبة او كسبة ويقف ليو عند حالة ايجابية عند العرب المسلمين فيشير الى تطوع الرجال ومن لم يستطع لاي سبب كان ، فأنه يوقف سلاحه ويربط فرسه في سبيل الله برغبة وحماسة على ان ذلك العمل طريقة للمشاركة في الجهاد[٦١] . وتلك المشاركة تطبيقاً لركن الجهاد بالمال والنفس لان المشاركة في التغير يعد واجباً دينياً بموجب الآية « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »[٦٢] .

وقراءة دقيقة عن الثغور في تلك المدة تظهر لنا انها دار سبيل « جهاد ومرابطة » ونفير ودفاع عن هذه الاطراف وهي تعيش حالة الامة المقاتلة والحرب الجماعية[٦٣] .

ولم يكن الامبراطور البيزنطي مدركاً لطبيعة التجنيد ، لكنه كان يعرف جيداً مدى قوة الجيش العربي الاسلامي الموزع على أقاليم الخلافة وتماسكه ومن رابط بالثغور فهو جزء من هذا الجيش ماعدا سكان الثغور المحاربين من الدرجة الاولى والمقاتلين المتطوعة فيما جاورهم من الاقاليم في العواصم ويبدو ان هدف ليو كان منطلقاً للدعاية السياسية والحربية والمالية الموجهة الى البيزنطيين للاهتمام بملكية جنده الغائبين عن حقولهم واموالهم[٦٤] ، وليعزز معنويات مقاتليه الذين خدموا بطريقة التجنيد الاجباري المعتمدة على تجنيد الصغار الذين كانوا يهربون من الجيش البيزنطي مما ترك اثراً سلبياً على متطوعته ، ويعود الهروب الى ضعف الشعور الوطني والديني في نفوس

مقاتليه ، ولذلك بدأ ليو يركز على الحرب المقدسة والترغيب بالغنائم التي سيحصلون عليها من المعارك[٦٥] .

وقد شهدت تلك المدة تسريح اعداد كبيرة من الجند المرتزقة البيزنطيين وبدأت محاولات للاهتمام بالبنود الواقعة في آسيا الصغرى حلا وحيدا يمكن اللجوء اليه[٦٦] ، ويبدو من آراء الامبراطور السابقة وتوصياته انه اراد إقناع قادته وجنده وتابعيه لانجاز واجباتهم طوعاً وبسرور ، وان يسهموا بتجهيز جيش وتسليحه لتمنح تنائجها المهمة المقاتلين جرعات من الشجاعة والالتزام[٦٧].

ومن هنا بدأ الاثر الايجابي في الفن الحربي العربي الاسلامي وتأثيره على الجيش البيزنطي .

اعترف الامبراطور ليو بمهارة المقاتلين العرب المسلمين وبسالتهم وثباتهم وقابلياتهم المتفرقة فهو يقول في هذا المجال « احسن الامم تبصراً وروية في العمليات الحربية والفن الحربي هم العرب وان اي قائد يريد مواجهتهم عليه ان يمتلك القدرة على الفن الحربي « التكتيك » وان يكون جيشه على احسن تدريب وجرأة »[٦٨] .

ولذلك نصح في كتابه المستند الى تجربته وتجربة الصراعات الحربية الطويلة مع العرب المسلمين وفي اقل تقدير طوال مدة حكمه التي قربت من الثلاثين عاماً ، أن يتجنب الجيش البيزنطي المعارك المنظمة في الساحات والحقول المفتوحة ، وعلى البيزنطيين ان يقيموا الكمائن ويشنوا هجماتهم في الاماكن الضيقة والممرات[٦٩] . ووجد من الضرورة التركيز على اصلاح الفرسان والرماة من جديد واصدر اوامره ثم وضع خطة تعبوية في هذا المجال[٧٠] .

وأشار بعجالة الى المعارك البحرية في كتابه ، لانه ألف كتاباً آخر عالج فيه طبيعة تلك المعارك ، وركز فيه على فنون القتال البحري وسماه « المعارك البحرية **Naumochia** »[٧١] ومما حدده في الكتاب الاول هو ان

السفن الحربية صغيرة كانت ام كبيرة يجب ان تصفها بيزنطة بصورة مشابهة لتلك التي يمتلكها العرب المسلمون[٧٢] .

ومما لا شك فيه أن سكان وبحارة قليقية في طرسوس واذنة قد شغلوا مكاناً واسعاً من تفكير الامبراطور فهو يقول عنهم « ان بحارة قليقية عند طرسوس واذنة والساحل الشامي قد تدربوا على القتال البري والبحري بمهارة ، واتبعوا الفنون الحربية نفسها في الحالتين يعني تكتيك الكر والفر[٧٣] . وتميزت دروعهم بانها حسنة الغطاء والحماية ، فهم يتقدمون الى البيزنطيين غير خائفين من سهامهم ويستمرون في التقرب والتقدم ليصلوا الى سفن البيزنطيين .. »[٧٤] . واشارت مصادرنا الى هذا الوصف ولاسيما الوصف الذي قدمه القاضي الطرسوسي المتوفى سنة ٤٠١ هـ لاهل طرسوس واذنة بانهم « كانوا ظاهرين على اعدائهم مظفرين في قلوب اخوانهم المسلمين معظمين مبجلين، ضاقت بهم ارض الروم ، وكثر فيهم منهم الكلام ترأى نيرانهم وتكافح فرسانهم ان دنوا منهم هلكوا وان امعنوا الهرب منهم ادركوا ، تتعرى بنودهم ، وتهزم حشودهم ، وتفل جنودهم ويستباح حريمهم ويستأصل كريمهم ، وتروح اقنيتهم وتعدم امنيتهم وتشن الغارات فيهم زيادة على مائتي سنة حتى منع نقفور بن فوقاس[٧٥] .

وقد اعقبت كتابات ليو مؤلفات حربية بيزنطية اخرى بعد عصر ليو لكنها عدّت كتاباب ليو The Tactica الدليل القاطع على تأثير الفن الحربي العربي الاسلامي في بيزنطة ومنها كتاب وصايا الحرب الذي ألفه الامبراطور نقفور الثاني ٩٦٣–٩٦٩م[٧٦] . بعد ان اوشك الخطر العربي الاسلامي على بيزنطة على التوقف كما يرى ، وعدّ الكتاب المذكور ضرورياً لدينا لانه كشف لنا عن حالة مؤلفه الامبراطور الذي قاد حروبه ضد الثغور والذي بدا خائفا من ان القتال مع العرب المسلمين لم ينته بعد[٧٧] .

نستنتج مما سبق ان المقاتل العربي الاسلامي بشجاعته وامتلاكه المهارة الفائقة ، ومعنوياته العالية المستمدة من العقيدة الاسلامية وقيادته الناجحة وايمانه بالجهاد للدفاع عن ارضه ودينه وتدريباته المستثمرة ودقته في الرمي ، وحسن استعماله لسلاحه وخيله ، كان يحقق تفوقه وانتصاراته على اعدائه ومنهم البيزنطيون وفي الوقت نفسه ، وقد بدت طروحات واراء امبراطور دولة عدوة وملاحظاته ، وهو فيلسوف زمانه عندهم وقائدهم العسكري الاعلى ذات شقين ، تعريف وثقافة بصناعة الحرب وتعبئتها عند العرب المسلمين ومحاولة تسجيله لنقاط القوة والضعف كما يرى ؛ وكان هدفه من ذلك ،تعزيز ورفع معنويات قادته وجنده وكانت مدة حكمه والمدة اللاحقة ، مرحلة اصلاحات حربية واضحة في الجيش البيزنطي استفاد بالدرجة الاولى من فنون العرب فاستعاد جيشه قوته وأتت ثمارها بعد نصف قرن من الزمان عندما اندفع البيزنطيون لبدء مسيرة الحرب الصليبية بزعامة القادة العسكريين الذين أصبحوا اباطرة بيزنطة « رومانوس الاول ٩١٩ــ٩٤٤م تقفوز الثاني فوقاس ٩٦٣ــ٩٦٩م وحنا الاول زمسيسكس ٩٦٩ــ٩٧٦م » فضغطوا على الثغور واضعفوها فاتخذلت وسقطت .

ولم يورد الامبراطور ليو كل الجوانب الدقيقة للفن الحربي العربي لاسباب كثيرة منها:انه لم يسجل الا" الجوانب التي عدّت نقاط التفوق والدليل على هذا تلك الاصلاحات الحربية والبرية او تعدد المراكز العسكرية التي اقامها لها بعد معرفة الفن العربي الاسلامي في سبيل اعادة بناء جيشه وتنظيمه، مما لم يخل من التأثيرات العربية الاسلامية الكبيرة ويهمنا ان اعترافه بتفوق الفن الحربي العربي الاسلامي قد جاء من امبراطور وقائد حربي وشخصية مهمة في تلك المدة .

المصـــادر والهوامـــش

* التعبئة ، مفهوم عسكري ، يعني عملية ترتيب وتنظيم الجيش قبل المعركة واثنائها . للمزيد ينظر : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن الكرم : لسان العرب : « مادة عبأ « . وعن التعبئة عند العرب : السامرائي ، عبدالجبار محمود » فن التعبئة عند العرب » مجلة المورد ، المجلد ٤ بغداد ١٩٨٣ ، ص ٧–١٤ .

١ ـ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ .

عبيد ، طه خضر « مكانة الثغور عند الخلفاء العباسيين ١٣٢–٢٢٧هـ « مجلة التربية والعلم ، الموصل ، العدد ١٧ ، ١٩٩٥ ، ص ١٨٢–٢٠٢ .

٢ ـ الهرثمي ابو سعيد الشعراني صاحب المأمون : مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبدالرزاق عون ، المؤسسة المصرية ، القاهرة .د.ت .

٣ ـ ولد الامبراطور ليو السادس سنة ٨٥٠م ، وتلقى حظا وافرا من التعليم ، واشتهر بالحكيم والفيلسوف **sophos = wise** ، وترجع شهرته الى مؤلفاته وعلمه ، تولى العرش البيزنطي ولم يتجاوز العشرين من عمره ، واهتم بالشؤون الحربية ، والف مجموعة كتب من اشهرها كتاب والي المدينة ، وكتاب فن الحرب ، والمعارك البحرية ، فضلا عن كتب قانونية عديدة ، ويعد من القادة الحربيين والمفكرين في المجال الحربي في الدولة البيزنطية ، ينظر عنه :

Ostrogorsky , G., History of the Byzantine state, (Oxford 1980) , P. 241 , 253-58 .

٤ ـ **Heath, I , Byzantine Armies 886-1118, (London 1988), P. 4.**

اطلق ابن المنكلي ، محمد بن محمود المنَكلي المصري في مخطوطته « الاحكام » على كتاب ليو اسم التدابير الحربية او تراتيب الحروب وسمى مؤلفه الامبراطور لاون ، وردت هذه المعلومات في كتاب ابن المنكلي « التدابير السلطانية في سياسة الصناعة الحربية » تحقيق صادق محمود الجميلي ، مجلة المورد ، المجلد الرابع ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٣٦٣ .

اما مصطلح **Tactica** التكتيك الذي هو عنوان الكتاب ، فهو فن تحريك القوات والتنسيق فيما بينها خلال المعركة وطريقة تنظيمها في الهجوم والدفاع وهي تقابل كلمة « التعبئة » عند العرب المسلمين للمزيد ينظر عون ، عبدالرؤوف الفن الحربي في صدر الاسلام ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٠٦ .

٤ ـ فوزي ، فاروق عمر : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٧٧ ، سليمان ، احمد عبدالكريم : المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط القرن ٣ ـ ٦هـ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٢ـ١٣ .

٥ ـ العريني ، السيد الباز : الدولة البيزنطية ، دار النهضة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٧٩ .

٦ ـ الطبري ، المصدر السابق ، السنوات ٢٦٩ـ٣٠٢هـ في ج١١ ص ٣٢٨ـ٤١٩

٧ ـ عن طرسوس واذنة ينظر :للمزيد : مصطفى شاكر « سير الثغور من خلال مخطوط لابن العديم » . مجلة الاداب ، الكويت، العدد ٨ ،١٩٧٥ ، ص١٧ .
وقد تجاوز مقاتلو طرسوس المئة الف فارس ورابطوا فيها ، ينظر : ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي : صورة الارض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٨ ، وكان في طرسوس وحدها سنة ٢٩٠هـ/

اربع وثلاثون الف دار ، ثلثاها للعزاب وثلثها الاخر للمتزوجين ، وهذا يعني ان مقاتليها تجاوز المئة الف مقاتل ، فقد سكن اربعة رجال من العزاب في دار واحدة . للمزيد ينظر : مصطفى شاكر ، المرجع السابق ص٢٧ .

٨ ـ عون ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ وما بعدها .

٩ ـ تم الاعتماد على النسخة هذه لانها اكثر دقة وحداثة وتحقيق

Leonis Imperatoris, Tactica , ed. R. Vari , (Consit. 1-XIV, 38 - I. 11) Sylloge Tecticorum Graecorum 3 ,) Budapast . 1917-1923, P. 100.

وقورنت مع الترجمة الانكليزية لدى

١٠ ـ **Ibid, XV111. P. 77-78 .**

١١ ـ **Ibid, XV111. P. 142 .**

١٢ ـ **Ibid, XV111. P. 43 .**

١٣ ـ **Ibid, XV111. P. 75-77 .**

١٤ ـ **Ibid, XV111. P. 77-78 .**

وجدير بالقول ، ان الحرب بين الروم البيزنطيين والبلغار قد استأنفت بعد تأليف الكتاب سنة ٩٠٣م واستمرت مدة طويلة من الزمن ، للمزيد ينظر

Ostrogorski : OP. Cit. P. 260-63.

وقد وردت اوصاف جميع الامم في بحث

Kolias, T.G. "The Tectica of Leo VI and the Arab," in Graeco - Arabica, III (Athenes 1984) . P. 130 .

١٥ – Leo , Tactica, OP. Cit. P. 123

١٦ – Ibid, P. 111 .

١٧ – Ibid, P. 133 .

١٨ – Kolias, OP. Cit. P. 131 .

١٩ – للمزيد ينظر قاسم ، قاسم عبده : ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة ١٤٩ ، الكويت ١٩٩٠ .

٢٠ – Leo, OP. Cit. P. 19 .

٢١ –

Christophilopolon, Aik . Byzantine History 887-1081, (Athens 1988) Vol : 3, P. 345 .

٢٢ – Ostrogorsky , OP. Cit. P. 228 .

وعن نقفور الثاني وبداية حروبه الصليبية ينظر

Oman, Ch.A., History of the Art of War in the Middlee Ages, (New York 1924) , Vol : 1.P. 208.

٢٣ – Leo , OP. Cit. P. 114 .

٢٤ – عرف عن الروم البيزنطيين نقضهم للمعاهدات والعهود والهدنة المعقودة مع العرب المسلمين ، كما فعل في تلك المدة ، نقفور الاول ٨٠٢–٨١١م مع الخليفة هرون الرشيد ، وكان الشتاء على الابواب ، وفي سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦–٨٠٧م تكررت الحالة ، وكذلك موقفهم من حملة الخليفة المعتصم لعمورية والشتاء على الابواب ، للمزيد ينظر الطبري ، المصدر السابق ، ج١٠ /٩١ ، ٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ .

٢٥ – قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الخراج ، شرح وتعليق محمد حسن الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٩٢–١٩٣ .

٢٦ – Leo , OP. Cit. P. 126 .

٢٧ –

Kermmer, A.Von, The Oriewt under the caliphs, Arans, by khud a Bukhsh, (Calcuyt , 1290. H.,)

٢٨ – Leo, OP. Cit. P. 124.

٢٩ – Ibid, P. 126.

٣٠ ــ في سنة ١٩٠هـ/٨٠٥ــ٨٠٦م نقض الامبراطور نقفور الاول الاتفاق الذي عقده هرون الرشيد ، وكان من اسباب ذلك ان الشتاء كان قارصا ، غير ان الرشيد قاد جيشه وجعل نقفور يركع لشروطه المشددة ، للمزيد ينظر الطبري ، المصدر السابق ج١٠/٩٩ . وفي سنة ٢٦٦هـ كان برد شديد وتم تنفيذ الحملة على الروم ينظر : الطبري ، المصدر نفسه ، ج١١/٢٥٨ .

٣١ ــ الطبري ، المصدر السابق ، ١١/٤٠٨ .

٣٢ــ Leo., OP. Cit, P. 138 , 140

٣٣ــ Ibid, P. 138

٣٤ــ Ibid. P. 83 .

٣٥ ــ عن هذه المدة ينظر الطبري ، المصدر السابق ، ١١/٢٢٢ .

٣٦ــ Leo, OP. Cit. P. 117 , 121 .

وعن الامدادات هذه ينظر للمزيد عبيد ، طه خضر « الصراع البحري العباسي البيزنطي ٢٩٠ــ٣٠١هـ/٩٠٢ــ٩١٢م » مجلة التربية والعلم ، العدد ...٢ ، الموصل .

٣٧ــ Leo , OP. Cit. P. 134 .

٣٨ــ Ibid, P. 116 .

٣٩ــ Ibid, P. 124 .

٤٠ــ Ibid, P. 122 .

٤١ــ Ibid, P. 123 .

٤٢ــ Ibid, P. 116 .

٤٣ــ Ibid, P. 135 .

وهذه السهام المسمومة ، كانت تتم بسقي نصل السهام بالسم وذلك بادخال السم فيه وعرفه العرب المسلمون . للمزيد ينظر عون ، المرجع السابق ص ١٤١ .

٤٤ــ Oman , OP. Cit. Vol : 2, P. 214 .

٤٥ ــ وحدد ابن المنكلي طبيعة العلاقة بين الفارس وفرسه ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

٤٦ ــ عون ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

٤٧ ــ عن الخيول . صفاتها واسمائها وسيرها وواجباتها ينظر : الاصمعي كتاب الخيل ، تحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد ، المجلد الرابع ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٧ــ٢٢٢ .

٤٨ ــ Leo. OP. Cit. P. 135 .

٤٩ ــ Ibid, P. 115 .

وهم الفرسان الطلائع ، الاشداء ، الشـر يعني والرمـاة الدقيقين للمزيد ينظر : عون ، المرجع السـابق ، ٢٠٩ .

٥٠ ــ Leo. OP. Cit. P. 116 .

٥١ ــ ابن المنكلي ، التدابير ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

٥٢ ــ وعن الكتب التي الفت عن الخيول ينظر مقدمة كتاب الخيل للاصمعي ، ١٨٠ـ١٨٢ .

٥٣ ــ Leo . OP. Cit. P. 112 , 113 .

٥٤ ــ Ibid, P. 113 .

٥٥ ــ Ibid, P. 113 .

٥٦ ــ Kermmer , OP. Cit. P. 329 .

٥٧ ــ مؤلف مجهول ، تاريخ الرهاوي المجهول ، عربه عن الاسبانية الاب البـير ابونا مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٨٦ ، ج٢/٤١ـ٤٥ .

٥٨ ــ استخدمه في البناء وخاصة بناء مدن الثغور كالحدث ، الفي عربـة سنة ٨٨هـ ــ ٨٠٣م ، في عهد الرشيد ، الرهاوي ، المصدر السابق ، ١٤ .

٥٩ ــ Leo, OP. Cit. P. 128 .

٦٠ ــ فوزي ، فاروق عمر ــ النظم العسكرية ، نشأة الجيش النظامي في الاسلام وتطوره حتى منتصف القرن ٣هـ/٩م ، في كتاب ندوة النظم الاسـلامية ، ابو ظبي ١٩٨٤ ، ج٢/٢٢٧ .

٦١ ــ Leo, OP. Cit. P. 130 , 133.

٦٢ ــ سورة الصف ، الآية ١٠ .

٦٣ ــ عن الجهاد والمرابطة في الثغور ينظر : عثمان ، فتحي : الحدود الاسلامية ــ البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٦٤ ــ Leo, OP. Cit. P. 131 .

٦٥ ــ Ibid , P. 133 .

٦٦ ــ العريني ، المرجع السـابق ، ص ٣٥٨ .

٦٧ ــ وعن اصلاحات ليو العسكرية ينظر

Karriaononpolon, I.E. " The History of Byzantium , from Sources, (Thessalonica 1987) . P. 86,

٦٨ ـ Leo, OP. Cit. P. 133 .

٦٩ ـ Ibid, OP. Cit. P. 121, 126, 134

٧٠ ـ عن التطبيق الفعلي والاصلاحات التي تمـــت في الجيـــش البيزنطـــي وتدريبه ينظر :

Karrioanopolon, OP. Cit. P. 79 .

٧١ ـ Leo, V1, Naumachia, ed. A. Dain (Paris 1943) .

٧٢ ـ Leo, Tactica , OP. Cit. P. 138 .

٧٣ ـ Ibid P. 122 .

٧٤ ـ Ibid, P.. 123

٧٥ ـ مصطفى شاكر ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

٧٦ ـ Kolias , OP. Cit. P. 135 .

٧٧ ـ Heath, OP. Cit. P. 9 .

الصورة والبناء الشعري
قراءة في قصيدة للمتنبي

د. ماجدة الجعافرة
جامعة اليرموك

الملخص

تولي هذه الدراسة الصورة الشعرية اهمية كبيرة في بناء القصيدة ، وتنظر الى الصورة على أنها الشيء الثابت في الشعر كلّه ، وأن القصيدة الخالدة صورة كبرى •

وتنتهي الدراسة الى أن الصور المتكررة في القصيدة ، والتي تأخذ طابع الانتشار فيها ، تعبّر عن رؤية مهيمنة على القصيدة ، وهي رؤية الشاعر وأحاسيسه وانفعالاته ، تلك الانفعالات والاحاسيس والمواقف التي يريد ان يوصلها للمتلقي ولا يتمكن من إيصالها كما يريد إلا عن طريق الصورة وحسب •

واتخذ البحث طريقه الى التطبيق من خلال نص للمتنبي •

حظي مفهوم الصورة ، وأثرها في الشعر باهتمام كبير في الدراسات النقدية الحديثة ، رأى إليوت : ان الإلهام الشعري يتميز بموهبتي « الصورة » و « العدد » أي الوزن ، فالبصورة يصبح الشاعر بمثابة رجل صعد الى مكان مرتفع فأصبح الشاعر يشاهد من حوله أفقا أوسع ، فيه تتقرر الاشياء علاقات جديدة ، لا تتحدد بالمنطق او بقانون العلية ، بل بارتباط منسجم لتكوين معنى[1].

ويشير الشاعر الانجليزي المعاصر سي. دي. لويس : الى ان بمقدور دراسة الصورة الشعرية ان تلقى من الضوء على الشعر مالا تلقيه دراسة اي جانب آخر من عناصره[2] ، بل انه يرى : أن الصورة هي الشيء الثابت في الشعر كله ، وكل قصيدة إنما هي في ذاتها صورة[3].

والقصيدة صورة كبرى ، او بناء كلي ناتج من اندماج الذات في الموضوع[4].

والصورة وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق ، تعجز اللغة الاعتيادية عن إدراكه ، او توصيله ، وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف ، والتعرف على جوانب خفية من التجربة الانسانية[5].

---

(١) انظر الصورة والبناء الشعري ، د. محمد حسن عبدالله ، دار المعارف بمصر ، ص ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢ .

(٤) الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، عبدالقادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٠م ، ص ٢١٢ .

(٥) خالد محمد الزواوي ، الصورة الفنية عند النابغة الذبياني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان ، ١٩٩٢ ، ص ١٠١ .

وقد ادرك القدماء أهمية التصوير في الشعر ، فهذا الجاحظ يَتَنَبَّـهُ منذ وقت مبكر الى أهمية الصورة في البناء الشـعري يقول عـن الشـعر « فإنما الشعر صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير » (٦).

بل إنهم اهتموا بالصورة وعدّوها اساسا تقوم عليها شِعْرِيَّة النصوص ولئن لم يفردوا لهذا المفهوم تعريفا اصطلاحيا واضحا ، فان ما ورد في كتاباتهم يوحي بأن الصورة عندهم هي الادراك الحسي(٧).

والصورة الشعرية انبثاق تلقائي حر يفرض نفسه على الشاعر تعبيراً وحيداً عن لحظة نفسية انفعالية تريد ان تتجسد في حالة من الانسجام مع الطبيعة مـن حيث مصدرها البعيد الاغوار(٨).

ويجب تفهم تأثير الصورة في البناء الشعري من خلال سياقاتها في النص بأكمله ، إذ دورها البنائي يأتي متلاحما مع دوال لغوية كثيرة تضيف اليهـا وتشع عليها ، فتزيد من بريقها وايحائها .

وما القصيدة إلا صورة في سياق صور ذات علاقة ، ليس ببعضها وحسب وإنما علاقة مكونات القصيدة ، وهذا يعني ان دراسة الصورة بمعزل عـن دراسة البناء الشعري تعبر عن رؤية جزئية ، مهما كانت عميقة ، او محيطة ، فانها ستظل ناقصة من جهة ما ، ذلك لان الصورة وان تكن لها شخصيتهـا وكيانها الخاص الذي يحدده المصطلح البلاغي ، او الذي يمكن توظيفه ، اذا ما رأينا اننا بحاجة الى اضافة او تعديل في مفهـوم الصورة ، فانها تبقى صـورة ضمن تكوين شامل(٩).

---

(٦) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة، ١٩٦٩ ، الجزء الثالث ص ١٣٢ .

(٧) خالد الوعلاني ، صورة الرحيل ورحيل الصورة ، دار الجنوب للنشـر ، تونس ١٩٩٨ م ، ص ١٩ .

(٨) المصدر السابق ص ١٩ .

(٩) المصدر السابق .

والصورة في الشعر لا تحيا بمفردة عادة ، انها تحيا فقط حين تقترن بأخوات لها ليشكل الجميع سياقا منسقا متحدا هو القصيدة[١٠].

وينبغي ان نلاحظ أن أي تحليل للفن يجب أن يقوم في ضوء العلاقات والارتباطات المتداخلة الملتحمة بين الخطوط المشكلة للنسيج ، والتي لا يمكن لها ان توجد منفصلة بعضها عن بعضها الاخر ، والشعر كبقية الفنون نسيج الشعور والفكر[١١].

والتصوير في الشعر ما هو إلا عملية ضبط للوجود الظاهر والوجود الباطن ، وجعل هذه العوالم تدرك بالحس ، بالحدس ، بالعقل بالرؤيا[١٢].

والصورة في القصيدة تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع ، وهو يتطور في اوجه مختلفة ، ولكنها صور سحرية وهي لا تعكس الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل ، ففي مقدورها ان تجعل الروح مرئية للعيان[١٣].

النص[١٤]

القسم الاول :

١ ــ لِكُلِّ امرىءٍ من دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا

وعاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعْنُ في العِدا

(١٠) د. عبدالقادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، جامعة اليرموك ــ الاردن ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ .

(١١) نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ص ٧٥ .

(١٢) عساف ساسين ، الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع ابي نواس ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م .

(١٣) سي ــ دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة د. احمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ، وسلمان ابراهيم ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٩١ .

(١٤) المعري ، شرح ديوان ابي الطيب المتنبي ، تحقيق د. عبدالمجيد ذياب ، دار المعارف ، جـ٣ ، ص ٣٧٤ .

٢ ـ وان يُكذبَ الإرجافَ عنه بِضِدِّهِ
ويُمسي بما تَنوي أعادِيَهُ أسْعَدا

القسم الثاني :

٣ ـ وربّ مريد ضره ، ضرّ نفسه
وهاد إليه الجيش ، أهدى وما هدى

٤ ـ ومستكبر لم يعرف الله ساعة
رأى سيفه في كفه فتشهّدا

٥ ـ هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا
على الدُّرِّ واحذره اذا كان مزبدا

٦ ـ فاني رأيت البحر يعثر بالفتى
وهذا الذي يأتي الفتى متعمدا

٧ ـ تظلُّ ملوكُ الارض خاشعة له
تفارقُهُ هلكى ، وتلقاه سجّدا

٨ ـ وتحيي له المالَ الصوارم والقنا
ويقتل ما تحيي التبسُّم والجدا

٩ ـ ذكيٌّ تظنّيْه طليعة عينه
يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

١٠ـ وصول الى المستصعبات بخيله
فلو كان الشمس ماء لاوردا

١١ـ لذلك سمّى ابن الدُمستق يومه
مماتا وسمّاه الدُمستق مولدا

١٢ـ سريت الى جيحان من أرض آمد
ثلاثاً ، لقد أدناك ركض وأبعدا

١٣ـ فولّى واعطاك ابنه وجيوشه
جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا

١٤ـ عرضت لـه دون الحيـاة وطرفـه
وأبصـر سـيف الله منـك مجـردا

١٥ـ ومـا طلبـت زرق الاسـنة غـيره
ولكـن قسـطنطيـن كـان لـه الفِـدا

١٦ـ فاصبح يجتـاب المسـوح مخـافة
وقـد كـان يجتـاب الـدلاص المسـردا

١٧ ويمشـي بـه العكّـاز في الـديـر تائبـا
ومـان كـان يرضـى مشـي أشـقر أجـردا

١٨ـ ومـا تـاب حتـى غـادر الكـر وجهـه
جريحـا وخلـى جفنـه النقـع أرمـدا

فـإن كـان ينجـي مـن علـيّ ترهّـب
ترهبـت الامـلاك مثنـى وموحـدا

٢٠ـ وكـل أمـرىء في الشـرق والغـرب بعدهـا
يعـد لـه ثـوبـا مـن الشّـعر أسـودا

القسم الثالث :

٢١ـ هنيئـا لـك العيـد الـذي أنـت عيـدُه
وعيـد لمـن سـمىّ وضحـى وعيّـدا

٢٢ـ ولا زالـت الاعيـاد لبشـك بعـده
تسـلم مخـروقـا وتعطـي مجـدّدا

٢٣ـ فـذا اليـوم في الايـام مثلـك في الـورى
كمـا كنـت فيهـم واحـدا كـان أوحـدا

٢٤ ـ هـو الجـد حتـى تفضـل العيـن أختهـا
وحتـى يكـون اليـوم لليـوم سـيدا

٢٥ـ فـواعجبـا مـن دائـل أنـت سـيفه
أمـا يتوقـى شـفرتـي مـا تقلـدا

٢٦ـ ومن يجعل الضرغام للصيد بازه
تصيده الضرغام فيما تصيدا
٢٧ـ رأيتك محض الحلم في محض قدرة
ولو شئت كان الحلم منك المهندا
٢٨ـ وما قتل الاحرار كالعفو عنهم
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
٢٩ـ إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
٣٠ـ ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضرّ كوضع السيف موضع الندا
٣١ ـ ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة
كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا
٣٢ـ يدق على الافكار ما أنت فاعل
فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

القسم الرابع :

٣٣ـ أزل حسد الحساد عني بكبتهم
فأنت الذي صيرتهم لي حسدا
٣٤ـ إذا شدّ زندي حسن رأيك في يدي
ضربت بنصل يقطع الهام مغمدا
٣٥ـ وما أنا إلا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا
٣٦ـ وما الدهر إلا من رواة قلائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
٣٧ ـ فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا

٣٨ـ أجـزنـي إذا أنشـدت مـدحـا فـإنما
بشـعري أتـاك المـادحـون مـرددا
٣٩ـ ودع كـل صـوت بعـد صـوتـي فإننـي
أنـا الصـائـح المحكـي والاخـر الصـدى
٤٠ـ تـركـت السـرى خلفـي لمـن قـل مـاله
وانعلـت أفـراسـي بنعمـاك عسـجدا
٤١ـ وقيـدت نفسـي فـي ذراك محبّـة
ومـن وجـد الإحسـان قيـداً تقيّـدا
٤٢ـ إذا سـأل الانسـان أيـامـه الغنـى
وكنـت علـى بعـد جعلنـاك مـوعـدا

يبدو ان الشاعر ينظم قصيدته مقطعا مقطعا ، وكل مقطع لا ينبت عن الاخر بل يجعل مقاطعه مترابطة تشد من أزر بعضها بعضا عن طريق الصور وتكرارها بين هذه المقاطع ومن هنا تكون الصور ذات اهمية كبيرة في بناء القصيدة .

إذ يرى بعض النقاد أن الشاعر لا يدع قصيدته بيتا بيتا ، بل يدعها قسما قسما ، فهو يمضي في شكل وثبات وفي كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الابيات دفعة واحدة ، أو تنساب هذه المجموعة من دون ان يتوقف الشاعر قليلا او كثيرا[١٥].

وان كثيرا من النجاح الذي يحرزه الشاعر يتوقف على مهارته في إثارة روابط في أذهان الاخرين ، وفي تنبيه اصداء وصور ومشاعر تتفق وصوره ومشاعره هو الى حد ما[١٦].

---

(١٥) مصطفى سويف ، الاسس النفسية للابداع الفني ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ٢٣٠ ، وانظر الصورة والبناء الشعري ، ص ٨٨ .
(١٦) الصورة والبناء الشعري ص ٥١ .

ما نلاحظه في قسم المطلع ان الشاعر بناه بناء يقـوم على توالي الجمل الاسمية ليقرر من خلالها حقائق ثابتة تخص ممدوحة ، بل انه بنى الشق الاول من البيت الاستهلالي بناء يقترب من الحكمة او المثل ، ليدعم منطقيـا عجز البيت الذي جاء نتيجة حتمية لما تضمنه البيت .

تقوم بنية هذا القسم بشكل رئيس على الجنـاس بـين « ما تعـودا » و « عادات » وبين » العدا « و « اعاديه » وبين « العدا » و « أسعدا » .

وهذا يؤدي الى ارتفاع البنية الايقاعية التي تؤدي الى بنية دلالية ينبغي أن تكون ذات صوت مسموع تتمثل في « عادات » سيف الدولة وهي الطعن في العدى ، وتكذيب الإرجاف ، وإمساء الممدوح سعيدا بما تنوي أعاديه .

والجذر الاشتقاقي للعادات والتعود يُذَكّر بالجو العام الذي سيسيطر على القصيدة وهو جو « العيد » كما ان قول الشاعر : وعادات سيف الدولـة تذكر تلقائيا المتلقي بـ « وأعياد سيف الدولة » وبدون ان يختل الـوزن ، ولكن يبدو ان الشاعر اجل الحديث عن العيد الى القسم الثالث ، واكتفـى بهذا القسم الاستهلالي بالايحاء اليه عن طريق ذكر لكلمة « العادات » لان العادة مما يعتاده الناس ، وتقوم على مبدأ التكرار ، والعيد يعود الناس كـل سنة فهو متكرر ايضا .

وفي العيد تذبح الاضاحي تقربا الى الله ، وعادات سيف الدولة تقوم على ذبح الاعداء أيضا تقربا الى الله لانه جهاد في سبيله .

وتستند العادة الثانية لسيف الدولة وهي « وان يكذب الإرجاف عنـه بضدّه » الى مرجعية دينية تذكرنا بقوله تعالى : « لئن لم ينتهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لَنغرَينّك بهم »(١٧).

أن كلمة « الإرجاف » بحد ذاتها ذات صورة « تقوم بوظيفة استدعائية

(١٧) القرآن الكريم ، الاحزاب ٢٣ .

ذات مرجعية دينية تتلاءم مع الاجواء الدينية التي تحملها ويرمز اليها اللقب الذي يلتصق بالممدوح وهو « سيف الدولة » ذلك السيف المسلول ، لان من عاداته « الطعن في العدا » ، فهو بالمحصلة يساوي سيف الله المسلول •

وكلمة » الإرجاف « تحمل في دلالاتها : الاضطراب والخوف ، وإثارة الفتن والإشاعات السيئة ، وما من شك في ان هذه الحرب النفسية تعد مُدمّرة لنفسية القائد وسببا من اسباب الهزيمة والهلاك اذا لم ينتبه اليها •

ومن هنا كان التحذير واضحا في الآية الكريمة للمنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في المدينة ، فإذا لم ينتهوا تكون نهايتهم « لنغرينّك بهم » وهذا الإغراء سنجد الشاعر يَسْتغلّه في اقسام القصيدة خيراستغلال، فنلاحظه يُغْرِي ممدوحه بأعدائه ، ويغريه بمحاربة الخليفة ويغريه بكبت حساده •

ومن هنا نلاحظ طابع الانتشار كيف امتد الى أقسام القصيدة منطلقا من هذه الصورة التي حملتها كلمة « الإرجاف » ، إذ قد تؤدي الصورة وظيفتها مباشرة بالإيحاء او الاستدعاء ، وتأثيرها المباشر يكمن في صورة الكلمات التي يطلب منا ان نتأملها ، وحتى يكمن ان نتذوق مثل هذه الصور الشِّعْرِيّة لابد من ان نسلم انفسنا للقوة الاستدعائية في صورة الكلمة هذه(١٨)•

والصورة المهيمنة على هذا القسم هي صورة سيف الدولة البطل المجاهد في مواجهة الكافرالمكابر المعاند ، صورة في مواجهة الكفر ، ويأتي تكرر هذه الصورة على هذا النحو حين يقول :

ومستكبر لم يعرف الله ساعة رأى سيفه في كفه فتشهّدا

فالكفار يعلنون الشهادة على يديه من مجرد رؤيتهم لسيفه في كفّه • اي وهو مسلول •

---

(١٨) الصورة والبناء الشعري ص ٣٨ •

وتتكرر على نحو آخر حيث يقول :

عرضت لـه دون الحياة وطرفـه　　وأبصـر سيف الله منـك مجردا

وإضافة السيف الى لفظ الجلالة توحي بأنه سيف الله المسلول على الاعداء بشكل دائم . إن الشاعر يريد ان يرسم لممدوحه صورة دينية مشرقة ويتمثل هذا في هذه الصورة الجهادية في البيتين الثاني عشر والثالث عشر .

وصورة الدمستق الخائر القوى ، الضعيف الذي اصبح تحمله العكاز ، بعد ان كان يتأبى على شقر الخيل ، ولزومه الدير ذليلا تائبا عن المواجهـة والحرب ، هي صورة مواجهة تماما لصورة سـيف الدولة الهـازم للكفـر ، وصورة الإسلام المنتصر الذي لا يمكن ان يهزم وفيه علي ، سيف الدولـة ، بل سيف الله المسلول ، وهي الصورة نفسها تتكرر في قوله : « تظل ملـوك الارض خاشعة له » .

وتعلق د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش على تصوير المتنبي للدمستق . حيث يقول :

ويمشـي به العكاز في الدير تائبا　　وما كان يرضي مشي أشقر أجردا

بقولها : « أما هروب الدمشتق مـن ارض المعركة وانسحابه الى الدير ، أي استبدال مسوح الدير بدروع الحرب ، فيعني التخلي عن الإقدام الفعال في صالح الاستسلام الخامد ، وهكذا فان المتنبي على صواب تماما في تقييـم هذا الفعل على انه من افعال الجبن والهزيمة لا يتصل بالاخلاص الدينـي (المسيحي) ، والحقيقة ان المصادر البيزنطية تخبرنا انه كان من العار ان يلجأ القائد في الحرب او في السياسة الى الاديرة ويعتزل فيها »[19].

---

(١٩) د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش ، ادب السياسة وسياسة الادب ، ترجمة وتقديم د. حسن البنا عز الدين ، الهيئة المصـرية العامة للكتـاب ، ١٩٩٨م ، ص ١١٧ .

وفي القسم الثالث من القصيدة ينجح الشاعر في تعميق الصورة الدينية التي وجدناها في القسمين الاول والثاني لممدوحه من خلال استغلاله ليـــوم العيد وهو عيد الاضحى الذي يحمل في دلالته معاني دينية ، فيجعل ممدوحه عيدا لهذا العيد ، بل انه عيد لكل من ذكر الله وكل من ضحى وكل مَنْ عَيَّده

وفي هذه الصورة تنصيب من الشاعر لممدوحــه بأن يكــون خليفـــة للمسلمين ، او قل إنه إيماء من خلال الصورة بأنه الخليفة الشرعي ، الوحيد ، والمتفرد ، والسيّد ، كسيادة هذا اليوم ، يوم الاضحى على بقية الايام •

صورة التوحيد والتفرد والتميّز تسيطر على الشاعر ، على مثل هـــذا النحو المتلاحق :

فذا اليوم في الايام = مثلك في الورى
كما كنت فيهم واحدا = كان اوحدا
هو الجدّ = حتى تفضل العين أختها
وحتى يكون اليوم = لليوم سيدا
إن العيد هو اليوم الاوحد بين أيام السنة :
= سيف الدولة الاوحد بين الحكـــام
= المتنبي الاوحد بين الشعراء

إن هذه الصورة تتكرر في شعره ، فسيف الدولة واحد والشـــاعر لا مثيل له ، يقول :

خليليّ إني لا أرى غـير شــاعر فكم منهم الدّعوى ومني القصائد
فلا تعجبـا إن السـيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحـد

وإذا كان سيف الدولة متفردا بين السيوف ، متميزا مـــن بينها لانـــه بالمحصلة الاخيرة ، سيف الله المسلول على اعدائه ويتفوق على الناس في الرأي والحكمة والحال والنفس والنسب ، فإنه يجرّد الخليفة من نسبه الرفيع ومـــن شرعيته الدينية لانه لا يجاهد في سبيل الله وليس سيفا من سيوفه ، ومن هنا

تعطى الصورة التي يرسمها الشاعر للخليفة إحساسا بانه ضعيف الرأي ، لا حول له ولا قوة ، وهي صورة تذكرنا بصورة الدمستق الذي راح يمشي به العكاز خائر القوى ، لا يفكر في الرجوع الى القتال ..

إن الضعف الذي يسنده الشاعر الى الخليفة يتبين من خلال هذه الصورة التي يتعجب فيها حينما يجعل الخليفة الممدوح سيفا لها كيف يمكن التوقي من شفرتي هذا السيف القاطع ؟. إن تقلد سيف بهذا المضاء من الممكن ان يقطع رقبة من يتقلده في أي لحظة .

فواعجبا من دائل أنت سيفه ... أما يتوقى شفرتي ما تقلدا
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه ... تصيده الضرغام فيما تصيدا

إن الصورة الثانية جعلتنا نتحسس ضعف الخليفة ، وكأنه ماثل للعيان ، من خلال هذا الضرغام الذي يتخذ بازيا للصيد فتكون النتيجة ان الضرغام يجعل مَن اتخذه وسيلة للصيد في جملة صيده وتجعلنا الصورة نستنتج ان أقرب مثل ينطبق على الخليفة هو : « الجاهل عدو نفسه » ، واذا كان الخليفة على مثل هذا الموضع فهو ليس الرجل المناسب في المكان المناسب ، ومن هنا نرى ان الترابط او التداعي هو اساس الصور البلاغية ، والمجاز بصفة عامة[٢٠]

وهذا ما نراه في الصور التي تلي الابيات :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت اكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندّى في موضع السيف بالعلا ... مضرّ كوضع السيف في موضع الندا

إن الشاعر يغري ممدوحه بالخليفة ، كي يكون خليفة المسلمين ، وعندها سيتسنى للشاعر ان يكون شاعر الخلافة الاسلامية وهو حلم ظل يداعب خيال المتنبي ومات قبل ان يتحقق فيمتدح الخليفة البويهي في بغداد فيما بعد .

ولكي يؤكد الشاعر متانة صوره ، راح يدَعمّها بالسّرد كما هو الحال في الابيات :

---

(٢٠) الصورة والبناء الشعري ص ٥١ .

ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا
يدقّ على الافكار ما انت فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

وذلك لان السرد يخدم الصورة ويزيدها متانة وتأكدا[٢١]

وفي القسم الرابع يطلب الشاعر من ممدوحه ان يزيل عنه حسد الحاسدين فيستخدم لفظة معبرة ، ومصورة وهي « بكبتهم » ومعنى ان يكبتهم أي أن يُخمل ذكرهم فلا يظهر لهم صوت، ويكون صوت شاعره فوق كل صوت، وفي هذا تأكيد ما جاء في القسم الثالث من التوحد والتميز في الابيات ٢٣ ، ٢٤ ، لان الشاعر كان يرى نفسه في ممدوحه ، ومما يؤكد هذا التماهي البيت ٣٤ ، حينما يظهر الشاعر من خلال شعره بشكل يفزع الشعراء الاخرين ويرعبهم بل يخملهم مدعما بحسن ظن الممدوح فيه ، وتوحي استعارة قطع الرؤوس بالنصل المغمد الى تدفق شاعرية الشاعر وخشية الاخرين منها •

وصورة التماهي بينهما تظهر في قوله :

وما انا إلا سمهريّ حملته فزينّ معروضا وراع مسدّدا

إن الشاعر لا يريد ان يتساوى مع شعراء البلاط ، ويتهم ممدوحه بانه بحسن معاملته لهم جعلهم في منزلته وهذا بمثابة وضع الكرم في غير محله[٢٢] إنها الصورة التي تكررت في القصيدة ككل مما يؤكد اهمية الصورة في البناء الشعري لان في تكررها تأكيدا على الرؤيا التي يريد ان يعبرّ عنها الشاعر في القصيدة •

ولكي يحافظ الشاعر على منزلة التوحد والتفرد التي رآها في ممدوحه ورأى نفسه من خلالها راح يكرر الصورة نفسها من خلال تفرده بشعر : رواتُه الدّهرُ بأكمله ، وسيرورته لا مثيل لها ، يغرّد به من لا يعرف الغناء ،

---

(٢١) حسين الواد ، مدخل الى شعر المتنبي ، دار الجنوب للنشر ، تونس ص٩١

(٢٢) د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش ، ادب السياسة وسياسة الادب ، ص ١٢٦ •

ويشمر به مسرعا من لا يقوى على المسير ، انه التفرد والتميز الذي حملته الابيات ٢٣ ، ٢٤ في القسم الثالث .

ويكرر في الابيات ٣٨ ، ٣٩ ما جاء في البيت ٣٣ ، حينما يشير الـــى ان الشعراء يسرقون شعره فعلى الممدوح ان يجيزه اذا انشدوه ، كما ان قوله :

وَدَعْ كل صوت بعد صوتي فإنني   أنا الصائح المحكيّ والاخر الصدى

وينهي القصيدة بقوله :

إذا سأل الإنســان إيامه الغنـــى   وكنت على بعد جعلنــاك موعـدا

إنها صورة الدهر العاجز عن إغناء الإنسان ، ويحيله الى الممدوح الذي على الرغم من بعده يكون معه على موعد لإغنائه

وهكذا تسهم الصورة الشعرية في بناء الشعر حينما نلاحظها متكــررة مبثوثة في القصيدة تنتشر في ارجائها ، لتعبر من خلال التكرار عن الرؤية التي يريد الشاعــر ان يوصلها وعن الفكــرة التي ينبغي التعبــير عنها ، إن طبيعة الصورة في تحديدها تمردت على كل تعبير ، فهي التشبيه والاستعارة والكناية، وهي صورة رسمت بكلمات وهي الوصف بكلمات شحنت عاطفة وانفعالا ، وهي التعبير ذو الدلالات الحسية ، وهي التجسيد للمجرد(٢٣).

وهكذا تبين لنا ان الصورة افسحُ ميادين الحوار حول المعنى في الشعر، وكيفية اكتشافه ، باعتبار ان ذات الشاعر تتحقق موضوعيا من الصورة اكثر مما تتحقق في أي عنصر من عناصر البناء الشعري(٢٤).

(٢٣) الصورة والبناء الشعري ص ١٦ .

(٢٤) المصدر نفسه ص ١١٢ .

الجهد العسكري العربي الاسلامي
لتحرير منطقة الانبــار

الاستاذ الدكتور عبدالواحد ذنون طه
كلية التربية / جامعة الموصل

(١)

على الرغم من ان التقسيمات الادارية الفارسية القديمة لمنطقة الانبــار تضعها ضمن احد طساسيج[١] ، كورة اسنان العال ، الذي يشــمل الانبار ، وقطرّبل ، وبادوريا ، ومسكن[٢] ، الا ان هذه الدراسة لا تتقيد بهذا التقسيم الاداري الضيق لطسوج الانبار ، الذي كان يضم خمسة رساتيق فقط[٣] . به تشمل مناطق اوسع تحيط بالانبار من جهاتها المختلفة ، فتمتد الى الغــرب

(١) الطسوج وحدة ادارية من تقسيمات العراق قبل التحرير ، حيث كـان مقسما الى اثنتي عشرة وحدة تسمى كل منها كورة او ستاق ، ويتكون كل منها من وحدات اصغر تسمى الطساسيج ، وهي ستون طسوجا . ويحتوي كل طسوج على عدد من الرساتيق . ينظر : ابو علي احمد بـن عمر بن رستة ، الاعلاق النفسية ، نشر ، دي غوية ، ليدن ـ بريـــل ، ١٨٩١ ، ص ١٠٧ ؛ ويقارن : صالح احمد العلي ، دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولــى ، بغداد ، مطبعــة المجمــع العلمــي العراقــي ، ١٩٨٩ ، ص ١٧٩ .

(٢) ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، نشر ، دي غوية ليدن ـ بريل ، ١٨٨٥ ، ص ١٩٩ ؛ ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، نشر ، دي غوية ، ليــدن ـ بريــل ، ١٨٨٩ ، ص٧ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ ، ص ٣٦١ .

(٣) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٨ .

والشمال لتتصل بتخوم الشام والجزيرة ، كما تمتد شرقاً الى المنطقة التي أنشأت فيها بغداد فيما بعد . اما في الجنوب ، فيبدو ان تأثير الانبار كان يصل الى أُلَيْس التي تعد اول ارض العراق من جهة البادية .[٤] حيث كانت تعرف بانها قرية من الانبار[٥] . والظاهر ان هذا التأثير له علاقة الى حد ما بوظيفة الانبار في العصر الساساني ، حيث انها كانت تضم مخازن الحبوب او الاهراء الرئيسة للارزاق في المنطقة[٦] ، ومنها كانت توزع على سائر هذه الاماكن المحيطة بها التي ربما ارتبطت بها اقتصادياً ، وأصبحت تعد ضمن القرى التابعة لها ، واشار اليها الاخباريون والجغرافيون ضمن هذا السياق ، لكن من دون ان يصرحوا بطبيعة هذه العلاقة .

لهذا فإن الانبار كانت تحتل موقعاً سوقياً مهماً على نهر الفرات ، جعل منها ومن المنطقة المحيطة بها موضع اهتمام بالغ من القادة العسكريين العرب المكلفين بمهمة تحرير العراق في مراحله المبكرة ، لاسيما خالد بن الوليد ، القائد العام لهذه الجبهة ، الذي كان محاطاً بمجموعة من الزعماء والقادة الميدانيين البارزين ، من امثال المثنى بن حارثة الشيباني والقعقاع بن عمرو ، والزبرقان بن بدر ، وعبدالله بن جرير البجلي ، وبشير بن سعد الانصاري ، والاقرع بن حابس ، وغيرهم .

---

(٤) ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ : ٢٤٨/١ .

(٥) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر ، دي‌غوية ليدن ـ بريل ، ١٨٧٩ـ١٩٠٣ : ٢٢٠٢/١ ؛ ياقوت ، المصدر السابق : ٢٤٨/١ .

(٦) ينظر : ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق ، رضوان محمد رضوان ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٤٧ ؛ ياقوت ، المصدر السابق : ٢٥٧/١ ؛ محمد بن عبدالمنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق ، احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

وتركز هذه الدراسة بشكل مباشر على الروايات المتقدمة الاولى التي وردت عن التحرير ، لاسيما رواية سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) التي وصلت الى الطبري عن طريق السري بن يحيى ، وهي رواية مفصلة الى حد ما ، ومقارنة احداث هذه الرواية بما اورده البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) على وجه الخصوص ، الذي لا يشير الى مصادره في غالب الاحيان . وقد قدمت بعض روايات أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) في كتابه الخراج اضافات قيمة الى كل من روايتي سيف والبلاذري ، وأيدتهما في سياقها العام . أما ما أورده قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) ، فكان في الغالب تكرارا لرواية البلاذري . وعلى الرغم من تعرض الكثير من الباحثين المحدثين لدراسة تاريخ الفتح والتحرير ، لاسيما العسكريين الذين تناولوا هذه المواقف بالشرح والتفصيل ، الا ان الباحث حاول ان يجد له طريقاً مغايرا في العرض والتحليل ، وذلك بالابتعاد عن التفصيلات العسكرية التي اسهب فيها الاخرون ، محاولا اضفاء الصفة العلمية البحتة على عناصر البحث ، للتوصل الى فهم طبيعة الجهد العسكري العربي لتحرير الانبار ومنطقتها من خلال الروايات التاريخية المتيسرة .

(٢)

كان للفرس قوات كبيرة منتشرة في منطقة الانبار ، موزعة في اماكن مختلفة ، منها ثلاث على وجه الخصوص ، وهي : العيّن ، والفراضُ ، والانبار[٧] . ويقصد بالعين بالعراق ، عين التمر ، وهي بلدة قريبة من الانبار[٨] أما الفراض ، فهي تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات[٩] . فكان من الضروري مهاجمة هذه المناطق الثلاث للتخلص من

(٧) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٥٦/١ .
(٨) ياقوت ، المصدر السابق : ١٧٥/٤ ، ١٧٦ .
(٩) المصدر نفسه : ٢٤٤/٤ .

القوات الفارسية المتمركزة فيها . يضاف الى ذلك ضرورة التخلص من بقية الحاميات والمسالح الاخرى المنتشرة في المنطقة ، لاسيما في أليّس[10] ، التي كانت تُعد ـ كما اسلفنا ـ احدى قرى الانبار ، وهي اول ارض العراق من جهة البادية[11] . وقد تمكن المسلمون من السيطرة عليها بعد معركة حامية اشترك فيها الى جانب الفرس بعض نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضُبَيْعَة ، وعرب الضاحية من اهل الحيرة . وقد عين بهمن جاذويه القائد الفارسي جابان ، وامره بالتقدم وعدم القتال حتى يلحق به . فسار جابان حتى اتى أُليّس ، فنزل بها وقد اجتمعت اليه المسالح التي كانت بازاء العرب . وتشير رواية سيف بن عمر ،[12] الى محاولة خالد بن الوليد في التعجيل بضرب هذا التجمع المعادي والانتصار عليه ، وكان عدد قتلاهم كبيراً بحيث جرت دماؤهم في نهر الفرات ، فسمي ذلك المجرى بنهر الدم .

أما رواية البلاذري ، فتجعل هذه المعركة من نصيب المثنى بن حارثة الشيباني الذي وجهه خالد بن الوليد لمعالجة الامر ، فتذكر ان خالداً « اتى أُليّس فخرج اليه جابان عظيم العجم فقدّم اليه المثنى بن حارثة الشيباني فلقيه بنهر الدم ، وصالح خالد أهل أُليّس على ان يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس وادلاء واعواناً »[13] . ولا تشير هذه الرواية الى تفصيلات المعركة أو طبيعة القوات المعادية المشاركة فيها . وكان عدد هذه القوات كبيراً جداً

---

(١٠) ينظر : ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، تحقيق ، القاضي محمود الباجي ، تونس ، دار بو سلامة الطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٤ .

(١١) ياقوت ، المصدر السابق : ٢٤٨/١ .

(١٢) الطبري : المصدر السابق : ٢٠٣١/١ـ٢٠٣٦ ؛ وينظر ايضا : ابو الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٩ : ٣٨٨/٢ـ٣٨٩ .

(١٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ؛ وينظر : قدامة ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

حسب رواية سيف بن عمر ، حتى ان الرواية تبالغ فتجعل عدد القتلى فقط في حدود سبعين الف رجل ، الامر الذي كان يتطلب بالفعل مشاركة خالد ومن معه جميعاً بالمعركة ، لا الاكتفاء بتقدم المثنى بن حارثة اليها . كذلك فإن فتح أُلَيْس عنوة يؤكده ارسال خالد بن الوليد بخبرها الى الخليفة ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، مع الفيء والسبي المأخوذ من المعركة ، وحصة الخلافة من اخماس الغنائم .(١٤)

(٣)

وكان تحرير الحيرة في شهر ربيع الاول سنة ١٢هـ/٦٣٣م قد شكل مرحلة حاسمة من مراحل تحرير العراق ، لاسيما بعد ان توصل المسلمون الى عقد الصلح مع أهلها ، الامر الذي هيأ ارضية جيدة للتفاهم مع بقية اهالي المنطقة ودهاقينها الذين جاءوا الى خالد بن الوليد لعقد الصلح معه ، والانخراط في النظام الجديد الذي مثله العرب المسلمون . فقد كانت الحيرة اول عاصمة من عواصم الاقاليم التي تحكمها الامبراطورية الساسانية تسقط بايدي المسلمين ، ولهذا فإن سقوطها يشكل عاملا معنويا اثر بشكل ايجابي على نفوس المسلمين وبصورة سلبية على الفرس . وكانت الحيرة بموقعها السوقي في العراق تمثل موطىء قدم مناسب للتقدم في قفزة هجومية اخرى الى الانبار ، وبقية مناطق غرب الفرات ، فضلا عن مزيتها لوقوعها على تخوم الصحراء ، فهي طريق انسحاب آمن ، وخط رجعة اذا لزم الامر .(١٥) وقد أقام خالد بن الوليد في الحيرة سنة تقريباً يراقب الموقف في العراق ، ونتيجة عمليات عياض بن غنم الى الشمال منه(١٦) . وكان الخليفة أبو بكر الصديق ،

---

(١٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٣٦/١ .

(١٥) يقارن : احمد عادل كمال ، الطريق الى المدائن ، ط٣ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦٣ .

(١٦) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٥٦/١ .

رضي الله عنه ، قد عهد اليه بعدم القيام بهجوم اقتحامي على قوة الفرس الرئيسة الا بعد الانتهاء من القضاء على المسالح التي بين العرب والفرس وحماية ظهر المسلمين ، وتأكيد بقاء احد القائدين ، خالد او عياض ، بالحيرة في حين يقتحم الاخر قوة العدو ويجالده .[١٧]

وقد أُرسلت في هذه الاثناء قوة للقضاء على احدى المسالح الفارسية المتمركزة في قرية بانقيا ، وهي من نواحي الكوفة على الفرات .[١٨] ويشير البلاذري[١٩] الى ارسال خالد لبشير بن سعد ابا النعمان بن بشير الانصاري الى بانقيا ومقاتلة الفرس هناك ، كما يذكر رواية اخرى تنسب قيام خالد نفسه بالتوجه الى المنطقة ، الامر الذي تؤكده رواية أبي يوسف ،[٢٠] وانه افتتح الحصن وأحرقه وهدمه ، ثم صالح أهله على دفع الجزية . كما أرسل جرير بن عبدالله البجلي الى قرى اخرى بالسواد ، فصالحهم على مثل ما صولح عليه أهه الحيرة وبانقيا .[٢١]

والواقع ان الروايات تختلف بشأن بانقيا كثيرا ، ففي حين يورد البلاذري الروايات التي اشرنا اليها من دون ان يذكر سنده ، يشير ايضا الى قيام خالد بن الوليد بارسال جرير بن عبدالله البجلي الى اهل بانقيا ، حيث اتفق مع احد زعمائها « بصبهرى بن صلوبا » على الصلح وعدم القتال ، وتعهد اهل بانقيا على دفع الف درهم وطيلسان[٢٢] . ويؤكد ابن اعثم[٢٣] ، هذه الرواية فيشير

---

(١٧) المصدر نفسه : ٢٠٥٧/١ .
(١٨) ينظر : ابو يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ ؛ ياقوت ، المصدر السابق : ٣٣١/١ .
(١٩) فتوح البلدان ، ص ٢٤٥–٢٤٧ .
(٢٠) الخراج ، ص ١٤٧ .
(٢١) المصدر نفسه ، ص١٤٧ .
(٢٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
(٢٣) ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي ، الفتوح ، بيروت ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ : ٨٠/١ .

الى ان خالد بن الوليد ارسل جرير بن عبدالله البجلي على رأس الف رجل من المهاجرين والانصار لمقاتلة القائد الفارسي داذويه بن فرخان في بانقيا . ولما وصل جرير الى شاطيء النهر واراد عبوره ، جاءه رجل من القرية وعرض عليه الصلح مقابل مئة الف درهم ، فرضي جرير بذلك ، وكتب له كتاب الصلح ، وقد هرب داذويه بعد ذلك الى يزدجرد . ولكن رواية سيف بن عمر لدى الطبري(٢٤) ، اوضح وأشمل من هذه الروايات جميعا ، وهي تؤكد قيام خالد بن الوليد بعقد الصلح مع الزعيم « صلوبا بن نسطونا بن بصبهرى » الذي جاء الى خالد بنفسه بعد صلح الحيرة ، فصالحه على بانقيا وبسما ، وضمن له ما عليهما وعلى أراضيهما من شاطيء الفرات جميعاً ، وعقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، وكتب لهم كتابا بذلك شهد عليه بعض قادته من أمثال هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وحنظلة بن الربيع ، وجرير بن عبدالله . وكان تحرير بانقيا وانضمامها الى الدولة العربية الاسلامية الجديدة خطوة اخرى ساعدت في التقدم الى الانبار .

وقد اتخذ خالد بن الوليد اجراءات ادارية عاجلة لضبط المناطق التي تم تحريرها بعد السيطرة على الحيرة ، لاسيما الاقاليم التي تقع بين الفلاليج الى اسفل السواد . والفلاليج هي قرى السواد الشمالية ، واحداها الفلوجة .(٢٥) واصبحت سواد الحيرة من مسؤولية كل من القادة ، جرير بن عبدالله البجلي ، وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذي العنق ، وأط بن ابي أط ، وسويد وضرار ، كما اقر المسالح على ثغورهم .(٢٦) وكانت الثغور في زمن خالد بالسيب ، وهو كورة من سواد الكوفة(٢٧) ، حيث ارسل ضرار بن

(٢٤) تاريخ الرسل والملوك : ٢٠٤٩/١ـ٢٠٥٠ .
(٢٥) ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٢٧٠/٤ .
(٢٦) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٥٧/١ـ٢٠٥٨ .
(٢٧) ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٢٩٣/٣ .

الازور ، وضرار بن الخطاب ، والمثنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، وغيرهم ، فكانوا يقومون بالهجمات على العدو في تلك الاصقاع الى شاطىء دجلة .[٢٨]

ومن اجل العمل على نجدة عياض بن غنم الذي كان يقاتل في الجزيرة ، اضطر خالد الى مغادرة الحيرة التي استخلف عليها القعقاع بن عمرو ، ووضع على مقدمته الاقرع بن حابس . وتشير رواية البلاذري[٢٩] ، الى ان المثنى بن حارثة الشيباني كلفه خالد بن الوليد مع حنظلة بن الربيع بن رباح الاسدي بتتبع القائد الفارسي جابان ، الذي كان في جمع عظيم في تستر . وقد هرب الاخير بعد سماعه بقدوم هذين القائدين . ومن المحتمل ان يكون المثنى قد رجع بعد ذلك والتحق بقوة خالد الرئيسة ، حيث يشير البلاذري الى قيامه ببعض الاعمال العسكرية التي كلفه بها خالد في اثناء تحرير الانبار .[٣٠]

(٤)

ويبدو أن خالداً ارتأى التخلص من القوات الفارسية الموجودة بالانبار بعد ان أرسل مقدمته التي عليها الاقرع بن حابس . وتقدم رواية سيف التي يوردها الطبري[٣١] ، تفصيلات دقيقة عن حملة خالد بن الوليد على الانبار ، فتشير الى تحصن اهلها وخندقتهم على انفسهم ، كما تشير الى دور عرب الانبار غير المتحمس للقتال[٣٢] ، الامر الذي اربك الحامية الفارسية فيها ،

---

(٢٨) الطبري ، المصدر السابق : ١/٢٠٥٢ـ٢٠٥٨ .

(٢٩) فتوح البلدان ، ص ٢٤٧ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ ؛ ويقارن : محمود عبدالله ابراهيم العبيدي ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الاسلامي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٣ـ١٩٤ ، الذي يشير الى بقاء المثنى في منطقة المدائن ومنها وجه حملاته التي كلفه بها خالد على سوق بغداد وغيرها .

(٣١) تاريخ الرسل والملوك : ١/٢٠٥٩ فما بعدها .

(٣٢) ينظر : محمد ضيف الله البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٨٩ .

واضطر حاكمها شيرزاد صاحب ساباط للتفكير في طلب الصلح . ولكن وصول خالد بن الوليد على اثر مقدمته ، عجل في نشوب القتال بين الطرفين . وكان في جيش خالد فرقة من الرماة ، الذين وجهوا من قبله برمي عيون الاعداء قائلا : « اني أرى اقواماً لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففقيء ألف عين يومئذ فسميت تلك الوقعة ذات العيون ... »[٣٣] . وحاول شيرزاد بعد ذلك التوصل الى الصلح مع خالد ، فلم يرض الاخير بشروط شيرزاد ، واستمر في تضييق الخناق على الحامية ، فجاء الى أضيق مكان في الخندق المحيط بالمدينة ، ونحر فيه الابل الضعيفة حتى امتلأ ، ثم عبره ، فاجتمع المسلمون والفرس في الخندق ، حيث دارت معركة حامية . اضطر على اثرها قائد القوة الفارسية الى طلب الصلح على ما أراد خالد ، فصالحه على ان يطلق سراحه ، ويلحق بمأمنه في جريدة من الخيل بلا متاع او مال ، فخرج شيرزاد الى بهمن جاذويه .[٣٤]

ومن الجدير بالذكر الاشارة الى موقف عرب الانبار الذين اظهروا ميلا واضحاً لعدم الدخول في القتال الى جانب الحامية الفارسية ، متعللين بتخوفهم وتشاؤمهم من رؤية الجيش العربي الاسلامي وقد جاءوا الانبار ركبانا حاملين صغار جمالهم على امهاتها لحداثة ولادتهم ، فتصايحوا من فوق السور : « صبّح الانبار شر جمّل" يحمل جُمَيْلَهُ ... »[٣٥] . ومن الواضح ان هذا الموقف كان يحمل ابعد من مجرد التشاؤم ، وعدم الرغبة في القتال ، وهو يدل على حسهم القومي وشعورهم بالانتماء الى الفاتحين القادمين لتحريرهم. وقد ادرك هذا الامر القائد الفارسي شيرزاد الذي كان كما يصفه الطبري

---

(٣٣) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦٠/١ ؛ وينظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٣٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦٠/١ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٣٩٤/٢ .

(٣٥) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٥٩/١ .

« أعقل أعجمي يومئذ واسوده واقنعه في الناس العرب والعجم »[٣٦] . لهذا لم يرَ جدوى من المقاومة وآثر السلامة والانسحاب .

ويظهر أن هذا الحس العربي لدى اهل الانبار قد تأصل بتحضرهم ، وتعلمهم الكتابة ، وشعورهم بالانتماء ، ويدل على ذلك اتقانهم للكتابة العربية التي تعلموها عن أياد . وقد انشدوا خالداً حين سألهم عن مصدر تعلمهم الخط قائلين :

قومي أيادٌ لو أنهم أُمَمٌ ... أو لو أقاموا فتهزل النَّعَمُ

قومٌ لهم باحةُ العراق اذا ... ساروا جميعاً والخط والقلم .[٣٧]

ولا نجد هذا الشعور لدى بعض عرب البوادي والاطراف ، الذين كانت نظرتهم اضيق من نظرة اهل الانبار ، ولم ينظروا الى الفاتحين الجدد تلك النظرة القومية ، بل نجد ان بعضهم ينضم الى صفوف الفرس ، طمعاً ، او عصبية لمن قتل منهم في معارك سابقة نتيجة مقاومتهم للمسلمين ، كما سنرى ذلك بوضوح في معارك عين التمر ، والحصيد ، والخنافس ، والمُصيخ وغيرها .

ويورد البلاذري رواية تحرير الانبار باختصار ، من دون ذكر رواته ، لكنها تتميز بوجود عناصر اخرى تختلف عما اورده سيف . فتشير رواية البلاذري الى وجود للمثنى بن حارثة الشيباني ، ليس في احداث الانبار بالذات ، انما على هامشها واطرافها . فبعد ان وصل خالد الى الانبار ، تحصن منه اهلها « ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة فبعث خالد المثنى بن حارثة فاغار عليه فملأ المسلمون ايديهم من الصفراء والبيضاء وما خف حمله ثم باتوا في السيلحين الى الغرب من بغداد ، واتو الانبار وخالد بها فحصروا اهلها وحرقوا في نواحيها ... فلما رأى اهل الانبار ما نزل بهم صالحوا خالد على شيء رضي به فأمرهم ... »[٣٨] .

(٣٦) المصدر نفسه : ٢٠٥٩/١ .
(٣٧) المصدر نفسه : ٢٠٦١/١ .
(٣٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ؛ قدامة ، المصدر السابق ص ٣٥٦

كذلك وجه خالد بن الوليد المثنى بن حارثة الشيباني للاغارة على سوق اخرى تقع الى الشمال من الانبار ، فيها تجمع لكلب بن وائل وطوائف من قضاعة . في حين افتتح جرير بن عبدالله البجلي بوازيج الانبار ، وأسكن بها قوماً من مواليه .(٣٩) وقد مهد تحرير الانبار وما حولها من اهل البوازيج الى دخول مناطق اخرى في حماية الجيش العربي الاسلامي ، مثل كلوأذى القريبة من موقع مدينة بغداد على الشاطىء الشرقي لدجلة شمالي المدائن بنحو ٢٥ كيلومترا .(٤٠) وقد ارسل اهل لكواذى الى خالد ليعقد لهم ، فكاتبهم ، فكانوا عيونا له من وراء دجلة .(٤١)

وهناك خلاف بشأن عهد الانبار الذي تم مع خالد بن الوليد وقادته ، فيورد البلاذري ،(٤٢) رواية عن الشعبي أنه قال : « لاهل الانبار عهد وعقد » في حين يذكر قدامة ،(٤٣) رواية اخرى لا يشير الى راويها تقول: « ليس لشيء من السواد عهد الا الحيرة وأليس وبانقيا » ولكن مما يؤيد عهد الانبار وصلحهم ما يذكره البلاذري ايضا نقلا عن « مشايخ من اهل الانبار » ، انهم صالحوا على طسوجهم ، على اربعمئة الف درهم والف عباءة قطوانية في كل سنة ، وتولى الصلح جرير بن عبدالله البجلي ، ويقال : صالحهم على ثمانين

---

(٣٩) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧-٢٤٨ ؛ وينظر ايضا : الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦١/١ ؛ كمال ، المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ؛ وبوازيج الانبار موقع قربها ، ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٥٠٣/١ .

(٤٠) يقول عنها ياقوت : انها طسوج قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوت ، بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر (الفرسخ = ٣ اميال) ، المصدر نفسه : ٤٧٧/٤ .

(٤١) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦١/١ .

(٤٢) فتوح البلدان ، ص ٢٤٧ ؛ واسناد الرواية : « حدثني الحسين بن الاسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم . حدثنا الحسن بن صالح عن جابر عن الشعبي » .

(٤٣) الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٥٦ .

الفاً.[٤٤] ولكن هذه الرواية تشير الى أن الصلح تم في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وهذا غير محتمل، لان المتفق عليه ان خالداً صالحهم مباشرة بعد التحرير سنة ١٢هـ/٦٣٣م.[٤٥]

(٥)

استخلف خالد على الانبار الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمي، وتوجه الى عين التمر، وهي بلدة قريبة من الانبار، تقع غربي الكوفة،[٤٦] وكانت تعد من الحصون العسكرية القوية التي يتجمع فيها الفرس. وقد اشار البلاذري[٤٧]، الى وجود مسلحة عظيمة للاعاجم فيها، في حين يذكر ابو يوسف،[٤٨] ان بها مرابطة لكسرى. وعلى أي حال فقد كان جمع الفرس كبيرا بقيادة مهران بن بهرام جوبين، يساعده بعض نصارى العرب من النمر وتغلب واياد بزعامة عقة بن ابن عقة. وتفصل رواية سيف في احداث تحرير عين التمر، فتشير الى تشجيع القائد الفارسي مهران لعقة بن ابي عقة على مواجهة خالد دون الفرس الذين ظلوا في داخل الحصن بالعين. وسرعان ما اخذ خالد عقة اسيراً، وانهزم جمعه. وقد فر مهران وغالبية جنده، واحتمى الباقون في داخل الحصن. ولكن خالداً والمسلمين تمكنوا من الاستيلاء على هذا الموقع. وأعدم عقة بن ابي عقة نتيجة خيانته وانضمامه الى الفرس، كما قتل ايضا جميع من اصر على المقاومة في داخل الحصن[٤٩]. وصالح خالد

---

(٤٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٤٥) ينظر: الطبري، المصدر السابق: ٢٠٦٠/١؛ ياقوت، المصدر السابق: ٢٥٨/١.

(٤٦) ياقوت، المصدر السابق: ١٧٦/٤.

(٤٧) فتوح البلدان، ص ٢٤٨؛ وينظر: قدامة، المصدر السابق، ص 356.

(٤٨) الخراج، ص ١٤٧.

(٤٩) الطبري، المصدر السابق: ١٠٦٢/١–١٠٦٤؛ وينظر: ابن الاثير، المصدر السابق: ٣٩٤/٢–٣٩٥.

أهل عين التمر ، وفرض عليهم الجزية ، كما فعل مع بقية المواقع الاخرى التي تمت السيطرة عليها من قبل الجيش العربي الاسلامي .(٥٠)

ووجه خالد بن الوليد من عين التمر بعض السرايا للاستيلاء على بعض المناطق التي يتواجد فيها مجموعات عربية من بني تغلب ، وبني ربيعة ، مثل حملة النسير بن ديسم بن ثور الى الاماكن المحيطة بالعين ، فتمت بنجاح .(٥١) كما ارسل سعد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين الى منطقة تسمى صندوديا ، او صَنْدوداد ،(٥٢) بها قوم من كندة واياد والفرس ، فقاتلهم ، ثم صالحهم على الجزية ، وقد اسلم منهم مجموعة من نصارى العرب .(٥٣) ويبدو ان هذه العمليات قُصد منها تأمين الوجود العربي الاسلامي في المناطق المحيطة بالانبار ، وعين التمر ، ومحاولة ضم العناصر العربية القاطنة في تلك الانحاء الى سلطة الدولة العربية الاسلامية الجديدة ، وتعريفها بتغير ظروف المنطقة وانتهاء السيطرة الفارسية في العراق .

(٦)

لما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عُويم بن الكاهل الاسلمي ، وخرج في تعبئته التي دخل فيها العين الى دومة الجندل ، لنجدة عياض بن غنم .(٥٤) وحاول الفرس نتيجة ابتعاد خالد التعرض للانبار ، فجاء القائدان زرمهر وروزبة من منطقة بغداد ، وحاولا مهاجمتها ، وتواعدا على اللقاء في منطقتي

---

(٥٠) ابو يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ ؛ البلاذري ، المصدر السابق ص ٢٤٩ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩–٢٥٠ .

(٥٢) هكذا وردت عند ياقوت ، المصدر السابق : ٤٢٥/٣ ، ولم يحدد موقعها بالضبط ، انما جعلها في الطريق بين العراق والشام ، وجاءت عند ابي يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٧ على انها صندوديا .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٧–١٤٨ .

(٥٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦٤/١ ، ٢٠٦٥–٢٠٦٦ .

حُصَيْد والخنافس ، وهما موضعان في اطراف العراق قرب الانبار •[55] فكتب الزبرقان بن بدر ، وهو على الانبار الى القعقاع بن عمرو ، وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ، يعلمه بالامر ، فبعث القعقاع ابا ليلى أعبد بن فدكي السعدي الى الحُصيد ، وعروة بن الجعد البارقي الى الخنافس • ويدل هذا الاجراء على سرعة اتخاذ القادة المسلمين لقراراتهم وحركتهم في تنفيذها ، فمنذ خرج الفرس من منطقة بغداد ، وبلوغ خبرهم الى الزبرقان بن بدر بالانبار ، ثم الى القعقاع بالحيرة ، سار هذا الخبر نحو ٢٥٠ كيلومترا ، ثم ارسل القعقاع القائدين ابا ليلى بن فدكي ، وعروة بن الجعد الى مواقع تبعد نحو اكثر من ١٧٠ كيلومترا ، في حين لم يبلغ الفرس الانبار التي لا تبعد كثيرا عن منطقة بغداد •[56]

سارت قوات المسلمين لمجابهة التجمع الفارسي الذي اتجه الى عين التمر ، فسبقه القائدان ابو ليلى وعروة ، وحالت حركتهما بين العدو وبين قطع الطريق عن الجيش العربي الاسلامي من البادية • ولما رجع خالد من دومة الجندل ، اطلعه القعقاع بن عمرو على الموقف ، فأمره خالد باللحاق بالقائدين المسلمين الى عين التمر ، ثم استخلف خالد على الحيرة عياض بن غنم ، وسار بجيشه وعلى مقدمته الاقرع بن حابس ، فوصل بدوره الى عين التمر ، واشرف على تجمع القوات العربية الاسلامية فيها • ومن هناك ارسل القعقاع الى الحُصيد ، حيث نشبت معركة اشترك فيها القائدان الفارسيان زرمهر وروزبة، وانتهت بمقتليهما ، وهرب القوات الفارسية الى منطقة الخنافس • وقد تولى القائد ابو ليلى بن فدكي مطاردة هؤلاء في الخنافس ، وكانوا بقيادة المهبوذان

(٥٥) ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٢/٢٦٦ ، ٣٩١ .

(٥٦) ينظر : كمال ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

الذي هرب مع فلوله الى المُصَيَّخ[٥٧] ، واستولى المسلمون على الخنافس .[٥٨]

وعلى الرغم من عدم تمكن الفرس من التعرض المباشر للانبار ، لكنهم كانوا يهدفون بالتأكيد الى زعزعة القوات العربية الاسلامية فيها ، وذلك عن طريق ضرب حصار حولها من جهة الغرب ، وقطع الطريق على اي مدد يمكن أن يأتي من الجزيرة العربية . لذلك عبروا الفرات ورابطوا على شاطئه الغربي . ولكن عدم تنظيمهم واخفاقهم في التجمع في مكان واحد مع حلفائهم من بعض العناصر العربية ، ادى الى تمكن القوات العربية الاسلامية من الانتصار عليهم ، وتشتيت شملهم ، وافشال مخططهم في تطويق الانبار .

(٧)

وصلت الاخبار الى خالد بن الوليد بتجمع قبائل معادية من تغلب بقيادة الهذيل بن عمران في المُصَيَّخ ، فضلا عن القوات الفارسية المندحرة في الحُصيد والخنافس ، فكتب الى القعقاع بن عمرو وقائديه ابي ليلى وعروة بن الجعد ، بالتوجه الى تلك المنطقة ، وواعدهم ساعة معينة من الليل ، ثم خرج هو اليهما من عين التمر ، فوصل في الوقت ذاته ، فأغاروا جميعا على تلك القوات المعادية بثلاثة ارتال ، الاول بقيادة القعقاع ، والثاني بقيادة ابو ليلى بن فدكي ، والثالث بقيادة خالد نفسه . وتمت احاطة العدو ليلا ، والقضاء على قوته .[٥٩] ثم لوحقت فلوله الى الفِراض التي تقع على تخوم الشام

---

(٥٧) المصيخ : مكان بين حوران والقلت ، ويقع شمال غرب هيت ، ويعرف بمصيخ بني البرشاء ، ينظر : الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦٩/١ ؛ ياقوت ، المصدر السابق : ١٤٤/٥ .

(٥٨) الطبري ، المصدر السابق (برواية سيف) : ٢٠٦٧/١–٢٠٦٩ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٣٩٧/٢ .

(٥٩) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٦٩/١–٢٠٧٢ ؛ وينظر : عبدالجبار محمود السامرائي ، معارك خالد بن الوليد ضد الفرس ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٤ ، ص ١١٤–١١٥ .

والعراق والجزيرة في شرقي الفرات •[٦٠] وتعد هذه العملية الاخيرة خارجة عن وصية الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، الى كل من خالد بن الوليد وعياض بن غنم القاضية بتحرير العراق من المُصيَّخ الى الحيرة • ولكن تقدم خالد الى ما بعد المُصيخ حتى الفراض ، كان لظروف عسكرية قاهرة ،[٦١] اضطرته اليها الحالة الامنية ، لازالة الموقف المعادي للقوات الفارسية وبعض المتحالفين معها من النصارى ، وذلك للحفاظ على ما انجز من عمليات في منطقة الانبار •

ولا تشير رواية البلاذري ،[٦٢] الى هذه التفصيلات ، وتجعل مسير خالد من الحيرة ، او من عين التمر الى الشام لنجدة ابي عبيدة بن الجراح • وقد خلّف على العراق المثنى بن حارثة الشيباني[٦٣] ، الذي خرج في وداعه ، فقال له خالد : « ارجع رحمك الله الى سلطانك فغير مقصر ولا وانٍ » •[٦٤] وكان المثنى مؤهلا للقيام بهذه المسؤولية ، فقد اقام بالحيرة ، ووضع المسالح ، واذكى العيون[٦٥] ، وساهم في عمليات حربية عديدة ضد القوات الفارسية ، كان اشهرها معركتي الجسر والبويب • وعلى أثر المعركة الاخيرة اضطر الفرس الى ترك السواد جميعه بين نهري دجلة والفرات • وقد ابتدأ المثنى بتنظيم القوات العربية الاسلامية واعادة السيطرة على الاماكن التي انسحب

---

(٦٠) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠٧٣/١ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٣٩٩/٢ .

(٦١) يقارن : شاكر محمود رامز ، تحرير العراق ـ القادسية ، بغداد ، مديرية المطابع العسكرية ، ١٩٨٤ ، ص١٩١ .

(٦٢) فتوح البلدان ، ص ٢٥٠ـ٢٥١ .

(٦٣) الطبري ، المصدر السابق : ٢١٢٢/١ (برواية ابن اسحق) ؛ وينظر : احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار صادر ، توزيع دار صعب (د.ت) : ١٣٣/٢ .

(٦٤) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ؛ وينظر : محمود شيت خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، القاهرة ، دار القلم ، (د.ت) ، ص ٣٠ .

(٦٥) ابن الاثير ، المصدر السابق : ٤١٥/٢ .

منها بسبب العمليات العسكرية مع الفرس . فعين على الحيرة بشير بن الحضاضية ، وتهيأ للمسير الى أليس والانبار ، فسيطر على الاولى ، وتسمى معركتها بغزاة أليس الاخرة .(٦٦)

ولما كان الجيش العربي الاسلامي بحاجة الى ما يتقوى به لمواجهة الاعداء ، فقد قرر المثنى مهاجمة الاسواق الموسمية التي كانت تعقد في المنطقة، الامر الذي سبق ان مارسه ايام عمله تحت قيادة خالد بن الوليد في اثناء تحرير الانبار . وقد دله احد الانباريين على سوق الخنافس ، كما دله احد اهل الحيرة على سوق بغداد . فهاجم الخنافس يوم سوقها ، ثم جاء الى الانبار ولكن دهاقنيها تحصنوا منه لعدم معرفتهم اياه ، فلما عرفوه ، فتحوا له ابواب
ولكن دهاقينها تحصنوا منه لعدم معرفتهم اياه ، فلما عرفوه ، فتحوا له ابواب

وتقديراً لاهمية الانبار وموقعها السوقي، فقد اتخذها المثنى قاعدة متقدمة لتنفيذ حملاته من اجل اعادة السيطرة على المناطق المجاورة ، فكان المسلمون يمخرون السواد ، وهو بالانبار ، وشنوا الحملات فيما بين كسكر واسفل الفرات ، وجسور مثقب الى عين التمر وما والاها من المناطق في ارض الفلاليج والعال (الانبار وقطربل وبادوريا ومسكن)(٦٨) . أما بالنسبة للمثنى ، فبعد تنفيذ حملته على سوق بغداد ، سار مباشرة الى السليحين على بعد نحو خمسة وثلاثين كيلومترا الى الغرب من بغداد ، ومنها انتهى الى الانبار ، فرحب به اهلها ودهاقينها ثانية ، واستبشروا بسلامته ، وقد وعدهم بالاحسان اليهم اذا ما استقاموا على الطاعة . وارسل من الانبار قوة بقيادة المضارب العجلي ، باتجاه عين التمر والفلاليج ، والقرى الى الكبات للاغارة

---

(٦٦) الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٠٢/١ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٤٤٥/٢ .
(٦٧) الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٠٣/١ .
(٦٨) المصدر نفسه : ٢٢٠٣/١-٢٢٠٥ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٤٤٥/٢-٤٤٦ .

على سوق لبني تغلب فيها • وزيادة في استكمال هذه العمليات خرج المثنى بنفسه من الانبار ، بعد ان استخلف عليها عمرو بن ابن سلمة الهُجَني ، واتجه صوب صفين ، حيث عبر الفرات الى الجزيرة لمتابعة احياء من تغلب والنمر •(٦٩)

وهكذا هدفت هذه العمليات الى تخليص منطقة الانبار وغرب الفرات من القوات الفارسية والقبائل المتعاونة معها ، تمهيدا للسيطرة الكاملة على العراق العربي وتحريره من حكم الامبراطورية الفارسية • ومما لاشك فيه ان هذه العمليات التي ابتدأها خالد بن الوليد في المنطقة ، واستمر بها المثنى بن حارثة ، قد مهدت الظروف العسكرية الملائمة لانتصار الجيش العربي الاسلامي في الموقعة الفاصلة بين المسلمين والفرس في القادسية •

(٦٩) الطبري ، المصدر السابق : ٢٢٠٤/١ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق : ٤٤٦/٢–٤٤٧ •

جريدة المصادر والمراجع

ا ـ المصادر الاولية :

* ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .
١ ـ الكامل في التاريخ ، بيروت دار صادر ، ١٩٧٩ .

* البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٢ ـ فتوح البلدان ، تحقيق ، رضوان محمد رضوان ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩ .

* الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م) .
٣ ـ الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق ، احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

* ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت نحو ٣٠٠هـ/٩١٢م) .
٤ ـ المسالك والممالك ، نشر دي غوية ، ليدن ـ بريل ، ١٨٨٩ .

* ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (كان حيا في ٢٩٠هـ/٩٠٢ـ٩٠٣م) .
٥ ـ الاعلاق النفيسة ، نشر دي غوية ، ليدن ـ بريل ، ١٨٨٥ .

* الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
٦ ـ تاريخ الرسل والملوك ، نشر دي غوية ، ليدن ـ بريل ، ١٨٧٩ـ١٩٠٣

* قدامة ، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٤م) .
٧ ـ الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق ، محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ .

* الهمداني ، ابو بكر احمد بن محمد المعروف بابن الفقيه (ت نحو ٢٨٩هـ/٩٠٢م) .
٨ ـ مختصر كتاب البلدان ، نشر دي غوية ، ليدن ـ بريل ، ١٨٨٥ .

* ياقوت ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .
٩ ـ معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .

* اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧) .
١٠ ـ تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار صادر ، توزيع دار صعب (د.ت) .

* ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) .
١١ ـ كتاب الخراج ، تحقيق ، القاضي محمود الباجي ، تونس ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ .

ب ـ المراجع الثانوية :

* البطاينة ، محمد ضيف الله .

١٢ـ العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ .

* خطاب ، محمود شيت .

١٣ـ قادة فتح العراق والجزيرة ، القاهرة ، دار القلم (د.ت) .

* رامز ، شاكر محمود .

١٤ ـ تحرير العراق ـ القادسية ، بغداد ، مديرية المطابع العسكرية ، ١٩٨٤ .

* السامرائي ، عبدالجبار محمود .

١٥ـ معارك خالد بن الوليد ضد الفرس ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٤ .

* العبيدي ، محمود عبدالله ابراهيم .

١٦ ـ بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الاسلامي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٤ .

* العلي ، صالح احمد .

١٧ـ دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٩ .

* كمال ، احمد عادل .

١٨ـ الطريق الى المدائن ، ط٣ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٧٧ .

الــرؤية النقديــة للشــعر

الدكتور : ماهر مهدي هلال
كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الملخــص

يقرر البحث ان النقد رؤية تستند الى صنوف المعرفة الانسانية للوصول الى نتائج يطمئن اليها الباحث ، وتجعلنا نفرق بين ما يُعد اساسياً في النــص الشعري وما يُعد ثانوياً .

وتتميز الرؤية النقدية بأنها موضوعية في الاستقراء والوصف من اجــل صياغة القوانين العامة التي تحكم الظاهرة الادبية وبذلك فهي اقرب الــى نظرية الادب .

اما الموقف النقدي فذاتي يستثمر جانباً من المعرفة للاقناع فهو اقــرب الى النقد المعياري ، بينما الشعر في منظور الرؤية النقدية كل لا يتجزأ إلا في حدود قوانين الرؤية الموضوعية التي تسمح بوصف النص وتحليله .

وتمثل البحث في جانبه التطبيقي برواية موقف الاصمعي من شــعر حسان ، وتقويمها .

تعني الرؤية في مفهومها الاصطلاحي : تصوراً معينا يستطيع ان يعبر عند اديب او ناقد او فيلسوف ، متخذاً مواقف معينة من قضايا تشغل عصره ، معبراً عن ذلك باساليب وطرق مختلفة لها قيمتها الاجتماعية والتاريخية والانسانية ، حيث تحقق اقصى حد ممكن من التلاحم بين اجزاء التصور الكلي الذي يجانس العصر[1] ، « فهي تجميع لمختلف وجهات النظر حول حدث ما »[2] يمكن ان يكون نصاً نقدياً او ظاهرة ادبية .

فالنقد رؤية تستند الى المعرفة « وان علماء اللغة المحدثين يستعينون بتلك الرؤية في تطبيقاتهم اللغوية على الادب »[3] وشأن النقد الادبي في استعانته بصنوف المعرفة واستخدام نتائجها هو شأن كثير من رجال الفكر . يقول (أليوت) : « ان التأمل النقدي هو كالتأمل الفلسفي والبحث العلمي ... ومع ذلك فاننا لا يمكن ان نتوقع من العمل النقدي لاي انسان او اي عصر ان يتمثل طبيعة الشعر كلها او يستنفد استخداماته المختلفة ، لذلك فان النقاد يقومون باستجابات خاصة نحو مواقف خاصة »[4] . وعلى هذا يمكن ان نقول : « ان الرؤية النقدية تشكل وسيلة عمل للوصول الى نتائج يطمئن اليها الباحث تجعلنا نفرق بين ما يُعدُّ اساسياً في عمل الشعر وما يُعدُّ ثانوياً »[5] .

وتتميز الرؤية بأنها موضوعية تعتمد الاستقراء والوصف من اجل صياغة القوانين العامة التي تحكم الظاهرة الادبية فهي اقرب الى نظرية الادب ، اما الموقف : فذاتي يستثمر جانباً من المعرفة للاقناع ، فهو اقرب الى النقد المعياري : الذي يصدر احكامه عن معايير تتصل بالنص الادبي نفسه ، فتكون

---

(١) الرؤية البيانية عند الجاحظ ، ١١-١٢ .
(٢) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، ١٠٧ .
(٣) الرؤية النقدية ، ٦ .
(٤) فائدة الشعر وفائدة النقد ، ١٣٦-١٣٧ .
(٥) الرؤية البيانية عند الجاحظ ، ١٤ .

معايير جمالية ، واما انها تتصل بواقع الحياة ـ من خارج النص كالاعـراف والتقاليد والقيم السائدة او التي يرغب الناقد ان تسـود ، وفي هذا المنظور فأن اغلب النشاط النقدي القديم « هو نقد معياري ... تخللته حالات قليلـة من العمل الوصفي »(٦) .

فقد كان النقاد يحكمون على شاعرية الشاعر في بيت او ابيات يعدّونها هي المعيار حد الجودة او الرداءة ، القوة او الضعف . في حين ان الشـعر في منظور الرؤية النقدية كل لا يتجزأ ، الا في حدود قوانين الرؤية الموضوعية ، التي تسمح باتخاذ مواقف للوصف والتحليل .

ولعل من ادل الشواهد على تمثل الرؤية النقدية والموقف النقدي ذلـك الذي جرى بين الشيخ ابي عمرو الشيباني والجاحظ في نقد قول الشاعر :

لا تحسـبنَّ المـوت مـوت البلـى
فإنمـا المـوت سـؤال الرجـال
كـلاهمـا مـوت ولكـن ذا
افظـع مـن ذاكَ لـذُل السـؤال

فقد ذهب الشيخ الى استحسان المعنى ، وجعله قيمة تدل على جـودة البيتين ، والمعنى جزء من كون الشعر العام ، والجزء لا يشكل قيمة حتـى ينتظم في السياق ، لان الشعر بنية لا ينظر في نقده الى المضمون قبل البنية ، ولا الى المدلول قبل الدال(٧) . لذلك انبرى الجاحظ يقاطع هذا الموقـف برؤية تنتظم فيها العناصر المكونة للبنية الشعرية ، وهي العناصر ذاتها التـي تحتكم لها الرؤية النقدية ، فليس شأن النقد عند الجاحظ استحسان المعنـى حسب ، لان المعاني مشاعة بين الناس « مبسوطة الى غير غاية ، وممتدة الـى

---

(٦) مجلة فصول ، ١٦ ، م١ ، العدد (٥) .
(٧) بنية الخطاب الشعري ، ٦ .

غير نهاية »[٨] وانما الشأن « في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »[٩]. وبذلك تمثل الجاحظ الشعر بنية تقوم على ملاحظة لغة النص الفنية ونظام علاقاتها التي تربط عناصر « النسج والتصوير » في حين « كان النقاد من معاصريه وسابقيه ينظرون الى الشعر كأنه نتاج فلسفي ، النظر فيه الى المعنى اكثر من النظر الى البنية الخارجية »[١٠] وفي ضوء الدراسات الحديثة ، يرى الدكتور عبدالملك مرتاض في دراسة (بنية الخطاب الشعري) : « ان الرؤية النقدية للجاحظ هنا حديثة جداً — وقد سبقت عصرها باكثر من عشرة قرون ، فالمدرسة النقدية الجديدة هي وحدها الان التي فصلت في هذه القضية — جدلية هل المضمون اولى في العملية الابداعية او الخطاب — بعنايتها القصوى بالشكل الخارجي للنص وهو الخطاب »[١١] الذي اومأ اليه الجاحظ بـ : « ضرب من النسج » وهذا المصطلح من اقدم المصطلحات النقدية في العربية ، وقد تعمد الجاحظ اصطناع « النسج » لانه تمثل « الكلام بنى وهذه البنى تضاف الى بعضها لتؤلف نسجاً له سطح وله في ذاته عمق فيكوّن مضموناً ، فالنسج هنا يشكل كل خصائص الخطاب الخارجية ، وذاك هو موضوع النقد الحديث في النص الادبي »[١٢] .

فالشعر في رؤية الجاحظ النقدية « بنية » تحكم أنساقها اللغوية شبكة من العلاقات الدّالة على « جنس من التصوير » تمنح الشاعر مزيته الابداعية . فالنسج من خصائص الخطاب « والتصوير » من خصائص الصورة الشعرية عبر المضمون « فالخطاب عام في سطح الاسلوب ، اما الصورة فهي

(٨) البيان والتبيين ، ط ٧٦ . (٩) الحيوان ، ط٣ ، ١٣١ .
(١٠) بنية الخطاب الشعري ، ٣٤ . (١١) المصدر نفسه ، ٣٥ .
(١٢) نفسه ١ — ١٦ .

لا تشمل الا حيزا معيناً من هذا الخطاب »[12] وان المـدار ابداً على كيفيـة النسج في الشعر والادب عامة •

ولان الشعر الذي يفتقد عناصر الرؤية النقدية ، لا يمكن ادخالـه او دمجه فيها[13] فقد وجـد الجاحظ ان مصفاة الرؤيـة النقديـة تجرد هذيـن البيتين من سمة الشاعرية ، فتطرف في تقاطعه مع موقف « الشيخ » حتى قرر القول : « ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابداً »[14] ، وبذلك احتوى الجاحظ موقف الشيخ وافرغه من قيمته النقدية ، لانه قاصر عن اكتنـاه بنية الشـعر •

وفي مثل هذا تتقاطع الرؤية النقدية مع كل المواقف التي تنطلق مـن تصورات مجتزأة تحكم بما اصطلح عليه : أشعر بيت او احسن بيت ، فقد روى الحاتمي مثلا : ان احسن ما قيل في وصف الكرم قول امرىء القيس :

وتعرف فيه مـن أبيـه شـمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ
سـماحة ذا ، وبرذا ، ووفـاء ذا ونائل ذا اذا صـحا واذا سكِرْ

وروى قول : احمد بن عيينة معلقاً على هذا الاختيار : « ظن العرب مثل هذين البيتين كأنهما حديث وليسا بشعر »[15] • وكأنه في هذا القول قـد احتكم الى رؤية الجاحظ وقصْدَه ، فسلك هذين البيتين مسلك النثـر • ويندرج في هذا السياق موقف دعبل الخزاعي من شعر ابي تمام فقد كان يقول « لم يكن ابو تمام شاعراً ، انما كان خطيباً ، وشعره بالكلام اشبه منـه بالشعر »[16] • بحجة أن ابا تمام « كان يطلب المعاني حتى اعتقد بعضهم ان

(١٢) نفسه ، ١ـ١٦ . (١٣) الرؤية البيانية عند الجاحظ ، ١٤ .
(١٤) الحيوان ، جـ٣ ، ١٣٣ . (١٥) حلة المحاضرة ، جا ، ٣٦٢ .
(١٦) اخبار ابي تمام ، ٢٤٤ .

شعره من قبيل الفلسفة »[١٧] على ان قوماً يزعمون ان ابا تمام « أشعر الناس طرا»[١٨] حتى اذا احتكم الناس الى « عمارة بن عقيل» في هذا الخلاف قال انشدوني له ، فانشدوه :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتاداً عندها كل مرقد

الى ان يقول :

فاني رأيت الشمس زيدت محبة   الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة : إن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني، واطراد المراد ، واستواء الكلام ــ فابو تمام ــ اشعر الناس ، وان كان بغيره فلا ادري[١٩]. وبذلك اختزل الموقف بأن وضع شعر ابي تمام في منظور رؤية نقدية ، تترابط فيها عناصر البنية الشعرية بشبكة من العلاقات ــ التي يمكن وصفها لمعرفة قيمتها ــ وهي توافق رؤية الجاحظ وتتواصل معها في احتواء المواقف النقدية وتوجيهها توجيهاً ادبياً باقرار ان الشاعر والناقد كليهما في الفضل في خلق « الرؤية الشعرية » وهذا الالتقاء جعل النقد الحديث يعدل عن المفاضلة والحكم بالجزئيات ، فلم يعد همّ الناقد ان يرفع شاعراً او يضع غيره ، وانما اصبح همّه ان يشرك الشاعر في رؤيته ليقول لنا عن مكامن الجمال في شعره[٢٠] ، ويتأتى للناقد هذا السبيل بأن يتمثل النظرية الشعرية ومقومات بنيتها وعلاقات عناصرها اللغوية ، فاللغة الشعرية هي : « لغة ضمن اللغة ، اي انها لغة لها شكلها المستقل تمام الاستقلال »[٢١] لغة تكسر طوق المواضعة وتتحرر من قيد المعجم ، ولذلك فأن المقوّم اللغوي للشعر يظل اسير موقفه

---

(١٧) نظريات الشعر عند العرب ، جـ١ ، ٢١٧ .
(١٨) اخبار ابي تمام ، ٥٩ .
(١٩) نفسه ، ٦٠-٦١ .
(٢٠) دراسات في الادب والنقد ، ٤٦-٤٧ .
(٢١) مفاهيم نقدية ، ٤٧٨ ، رينيه ويلبك ، سلسلة عالم المعرفة .

في النقد ، بينما الناقد الادبي اذا اشرك الشاعر في الرؤية فان الخلاف ينحصر في العمل والوظيفة « فالناقد قادر على الرؤية »[٢٢] والشاعر قادر على التعبير ، ومن اعمال آلية الرؤية في وصف التعبير تتكشف خصائص اللغة الشعرية ومكامن قيمها الجمالية . واوضح مسالك هذه الرؤية النقدية المباشرة فيما قرره قدامة بن جعفر « معرفة حد الشعر الجائز عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك ابلغ ولا اوجز مع تمام الدلالة من ان يقال فيه : انه قول موزون مقفى يدل على معنى ... ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض في كل صناعة اجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ... واذ كان الشعر ايضا جاريا على سبيل سائر الصناعات ، مقصودا فيه وفي ما يحاك ويؤلف منه الى غاية التجويد ، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء انما هو من ضعف صناعته فاذا قد صح هذا ... فلنذكر صفات الشعر الذي اذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة ، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء..»[٢٣].

ويهدف قدامة في هذا الى تجنيس الشعر عما ليس بشعر ولم يهدف الى تعريفه ، انه يترسم عناصر بنية الشعر ، ليؤطر رؤيته النقدية باوصافها ، ويستنبط احكامه من طبيعة التحولات المؤثرة في البنية ذاتها ، لذلك قال : « لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفى يدل على معنى ، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه عن غيره ، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه كما يوجد في كل محدود معاني جده ، لان الانسان مثلا يحد بأنه ناطق ميت ، فحيّ بمعنى الحياة التي هي جنس الانسان الموجود فيه وهو التحرك والحس ... وكذلك معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه ، وهو حروف خارجة بالصوت ، متواطأ عليها ، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية ومعنى ما يدل عليه اللفظ ... فالشعر انما هو ما اجتمع من هذه الاسباب التي يحيط بها حدّه ولما كان كل

(٢٢) دراسات في الادب والنقد ، ٤٦–٤٧ .
(٢٣) نقد الشعر ، ٦٤ .

مجتمع وكل مؤلف من امور ، فالامور مؤلف من بعضها مع بعض ، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الامور وقلتها ، وجب ان يكون الشعر ايضا لما كان مجتمعا من اسباب ان تكون اقسام تأليف هذه الاسباب بعضها الى بعض جارياً هذا المجرى »(٢٤) فعناصر الشعر الاربعة تأتلف مع بعضها فتتفرع عنها عناصر اربعة هي : ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف المعنى مع القافية وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى مع القافية . فصارت اجناس الشعر ثمانية قال : « ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها ، واحوال يعاب من اجلها ، وجب ان يكون جيد ذلك ورديئه لاحقين للشعر اذ كان ليس يخرج شيء منه عنها ... على من اعمل الفكر واحسن سبر الشعر »(٢٥) وعلى هذا يمكن القول ان رؤية قدامة النقدية تتشكل من طبيعة العلاقات الموضوعية بين عناصر بنية الشعر التي تحقق جنسه الادبي ، وهي التي سمّاها : « الاربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حدّه ــ اللفظ ، المعنى ، الوزن ، القافية ــ والاربعة المؤلفات منها ، معتمداً في وصفها اصول النقد في تنظير صنعة الشعر ، « اذ الشعر جارياً على سبيل ... الصناعات»(٢٦) ــ على حد قول ابن سلاّم : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم بها ، كسائر اصناف العلم والصناعات ... »(٢٧) وبذلك مكّن رؤياه النقدية من وضع الشعر بين حدّي الجودة والرداءة : « اذا كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات فله طرفان ، احدهما غاية الجودة ، والاخر غاية الرداءة ... وكان كل قاصد لشيء من ذلك فانما يقصد الطرف الاجود ... وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات »(٢٨) وليس لقدامة بعد هذا الا ان يبلور معرفته بطبيعة الصنعة الشعرية بان يدل

---

(٢٤) نفسه ، ٦٩ . (٢٥) نفسه ، ٧١ .

(٢٦) نفسه ، ٧٠ . (٢٧) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ٥ .

(٢٨) نقد الشعر ، ٦٤ .

على عناصر بنيتها القابلة للوصف ، وفاعليتها على مستوى التنظير في تشـــكيل الرؤية النقدية التي تجعل الصورة قابلة للتصوّر • قال : « ومما يجب تقدمته وتوطيده ••• ان المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله ان يتكلم منها في ما احب وآثر ، ومن غير ان يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، اذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من انه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة وعلى الشاعر اذا شرع في اي معنى ــ كان ــ من المعانـــي الحميدة او الذميمة ، ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغايـــة المطلوبة »[٢٩] وعليه فأن التجويد مقصد الناقد ، لذلك فهو صفة يجب ان تعم مفردات البنية الشعرية : الالفاظ والمعاني الدال عليها الشعر ، والتراكيب التي تؤلف بينها ، والوزن والقافية ، وبقدر اطراد صفة الجودة حسب مقاييس الرؤية ، تخصص قيمة الشعر • ولذلك فان قدامة يعد المواقف النقدية التـــي لا تعمل بآلية الرؤية : مقاييس خارجية لا تقدح في جودة الشعر ، كمواقف النقاد من مناقضةالشاعر نفسهفي غرضيناو قصيدتين ، بأن يصف شيئاً وصفا حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسنا ، قال : «ولا معيب من فعله ، اذا احســـن المدح والذم بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته ، واقتـــداره عليها »[٣٠] • وفي مثل هذا نظر قدامة الى كل موقف يتقاطع مع وصف عناصر الرؤية النقدية التي ترتكز في آليتها الفنية على مفردات الصناعة الشعرية ، ولعل من المفيد القول : ان التواصل المعرفي للنشاط النقدي الذي تبلور في منهـج قدامة ، حدد اصول الرؤية النقدية التي اتضحت معالمها الموضوعية في التطبيق عند الآمدي في موازنته بين الطائيين الذي استطاع ان يحتوي صراع المواقف المتطرفة برؤيته النقدية التي تصف المكونات الشعرية وتبين حـــد الجودة بمقاييسها الموضوعية ، التي هي مقاييس اهل العلم بالشعر : « وليـــس الشعر

(٢٩) نفسه ، ٦٥-٦٦ • (٣٠) نفسه ، ٦٦ •

عند اهل العلم به الا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها ـ وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لا يكتسي البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف »[٣١] ولما كان تنظير صنعة الشعر بسائر انواع الصناعات ، مطرد بين النقاد ، تظل الجودة جوهر الرؤية وغاية النقد ، وعليه كان اجماع شيوخ اهل العلم بالشعر كما يقول الآمدي : « ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا باربعة اشياء وهي : جودة الآلة ، واصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء الى نهاية الصّنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها ... فهذا قول جامع لكل الصناعات فان اتفق الان لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربعة ان يُحدِث في صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حُسن صنعته وجودتها »[٣٢] . وهذه الدعائم الاربعة هي مقومات الرؤية النقدية التي اجمع عليها شيوخ اهل العلم بالشعر وأقر الآمدي صحة الاحتكام اليها في موازنته بين ابي تمام والبحتري ، على انه استدرك فأضاف : « فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي اقوى دعائمه بعد صحة المعنى ـ فكل من كان اصح تأليفاً كان اقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه »[٣٣] . وفي هذا القول الذي ختم فيه الآمدي موازنته جعل عناصر البنية الشعرية تتفاوت في أهميتها ، وهو اقرار بتحكم بعض مقومات الرؤية النقدية ببعضها الاخر ، للوصول الى غايته في ايجاد حدّ تتمايز فيه شاعرية الشعراء ، وهو بذلك يومىء الى قول القائل من اهل العلم بالشعر : « وينبغي ان تعلم ان سوء التأليف ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعمّيه حتى يحتاج مستمعه الى طول تأمل ،

---

(٣١) الموازنة ، ٣٨٠ .
(٣٢) نفسه ، ٣٨١ .
(٣٣) نفسه ، ٣٨٣ .

وهذا مذهب ابي تمام في عظم شعره ـ بل ـ هذا مذهب جلّ من يراعي مما يراعيه من امر الشعر ، ودقيق المعاني ، ودقيق المعاني موجود في كل امة ، وفي كل لغة »(٣٤) . وهذا تجريد حاذق لعمل الناقد الذي يُغيّب احكامه في ضمير الاخرين « لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ... لان الناس لم يتفقوا على اي الاربعة اشعر في امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى ، ولا في جرير والفرزدق والاخطل ... فان كنت ـ ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري اشعر عندك ضرورة ، وان كنت تميل الى الصنعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لا محالة »(٣٥) . وفي منظور هذه الرؤية يقرر الآمدي القول : « اما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الاخر ، ولكني اوازن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى فاقول: ايهما اشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ، ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علماً بالجيد والرديء »(٣٦) .

فوضع بذلك حداً بين ذاتية الموقف النقدي ، وموضوعية الرؤية النقدية التي تعتمد الاستقراء والوصف للاحاطة بطبيعة البنى الشعرية وتمايز مستوياتها . وبذلك حدد السمة الاسلوبية لشعر ابي تمام والبحتري . وعليه فان الموقف النقدي هو كالرأي كما يقول عبدالقاهر الجرجاني : « يراه قوم وينكره آخرون »(٣٧) اما الرؤية النقدية فتستند الى المعرفة باختلاف الاراء وتباين المذاهب للاحاطة بسمة الشعر الاسلوبية ، اذ « لابد من ان يكون هناك نقد معرفي للادب ، والا فان العمل الادبي يفقد جزءاً حاسماً من قيمته »(٣٨) .

---

(٣٤) نفسه ، ٣٨١ .
(٣٥) نفسه ، ١١ .
(٣٦) نفسه ، ١٢ .
(٣٧) الرسالة الشافية ، ٥٩٥ .
(٣٨) ماهو النقد ١٦٠ .

ولذلك عمد « قدامة » في اجراءاته التطبيقية الى بلورة المواقف المتباينة للتعبير عن ماهية الرؤية فيما يتفق من « اغراض الشعراء وما هم عليه اكثر حوماً ، وعليه اشد روماً »[٣٩] اذ وجد « الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : الغلو في المعنى اذا شرع فيه والاقتصار الى الحد الاوسط فيما يقال منه »[٤٠] . ووجد في حاق المعرفة ان الفريقين يخبطون في ظلماء « فمرة يعمد احد الفريقين الى ما كان من جنس قول خصمه فيعتمده ، ومرة يقصد ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ، ويعتقد نقضه »[٤١] . وشاهده على ذلك ان قوماً يقولون ان قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريح اسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكور

خطأ ، من اجل انه كان بين موضع الرقة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جداً ، وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

ابقى الحوادث والايام من نمر   أشباه سيف قديم إثره بادي
تظل تحفر عنه ان ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادي

قال : ثم رأيت هؤلاء باعينهم في وقت اخر يستحسنون ما يرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقالوا : فلو قال « البيض » لكان اكثر من الغرة ، لان الغرة بياض قليل في لون آخر غيره ، وفي قوله : « يلمعن بالضحى » ولو قال « بالدجى » لكان احسن ، وفي قوله « يقطرن » ولو قال « يجرين » لكان احسن وقال : « فلو انهم يحصلون مذاهبهم لعلموا ان هذا المذهب في الطعن على شعر

---

(٣٩) نقد الشعر ، ٩١-٩٢ .   (٤٠) نفسه .
(٤١) نفسه .

حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الانكار على مهلهل والنمر ، لان المذهب الاول انما هو لمن انكر الغلو ، والثاني لمن استجاده »[٤٢] فان النابغة لم يرد من حسان الا الافراط والغلو بتصيير كل معنى وضعه الى ماهو فوقه وزائد عليه . وعلى ان من انعم النظر علم ان هذا الرد على حسان من النابغة كان من غيره، خطأ وان حسان مصيب، اذ كان المعنى الذي اداه مطابقاً للغرض ، فهو لم يرد بقوله « الغر » ان يجعل الجفان بيضاً وانما اراد بها « المشهورات » كما يقال يوم « اغر » «ويد غراء» وليس يراد البياض في شيء من ذلك بل يراد الشهرة والنباهة . واما انه لو قال «بالدجى» لكان احسن من قوله « بالضحى » اذ كان كل شيء يلمع بالضحى ، فهذا خلاف الحق ، لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء ، فاما الليل فاكثر الاشياء مما له ادنى نور وايسر بصيص يلمع فيه ، فاما لو قال في السيوف « يجرين » خير من قوله « يقطرن » لان الجري اكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة وانما ذهب الى ما اعتاده الناس من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بان قالوا « سيفه يقطر دماً » ، ولم يسمع سيفه يجري دماً ، ولعله لو قال يجرين دماً ، لعدل عن المألوف الى ما لم تجر عادة العرب ويوجهها بما يوافق رؤياه في طبيعة البنية الشعرية . قال : « ومن انكر على
ويوجهها بما يوافق رؤياه في طبيعة البنية الشعرية . قال : « وما انكر على
مهلهل والنمر قولهم المتقدم ذكره فهو مخطىء ، لانهم وغيرهم ممن ذهب الى الغلو انما ارادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ... ويعني بذلك ما يصطلح عليه اليوم بـ « العدول » فانما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت »[٤٢] . وعليه قرر القول : « ان الغلو عندي اجود المذهبين وهو ما ذهب اليه اهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً .. وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم »[٤٣] .

---

(٤٢) نفسه . (٤٣) نفسه .

بعد هذا يمكن ان نخلص الى القول : ان عمل الناقد الموضوعي الـذي يحتكم الى رؤية نقدية واضحة المعالم ، يمكن ان يستوعب في اجـــــراءاته التطبيقية تباين المواقف والمذاهب النقدية ويقرر وجهتها الصحيحة بما يتلاءم وطبيعة البنية الشعرية . وعليه يمكن ان نضع في هذا السياق مواقف النقـاد التي شكلت ظاهرة في تاريخ النقد اصطلح عليها بـ : « ضعف الشعر » وقد ارتبط شعر حسان بن ثابت الاسلامي بها . ولما كانت « طبيعة الظاهرة الادبية تفرض لها وجوداً خاصاً لانها جمّاع في شبكة من العلاقات بالغة التعقيـــد ، تضم الذاتي والموضوعي والفرد المبدع والجمهور المتلقي ، ومستويات الوعي، والمناخ الاجتماعي ، والبعد التاريخي وكلها عناصر مرنة تتبادل اماكنها مـــن حيث الفاعلية من حالة الى اخرى »[٤٤] فعلى الناقد ان يعي مهمته في تجريـب قراءة ثانية لمواقف النقد بما يوائم مســتجدات حقول المعرفـة في اسـتقراء حيثياتها النظرية والحجج التي تدعمها في التطبيق ، لبناء تصور منهجي يمكــن ان يطرد فيه الوصف . وفي هذا الاتجاه نضع قول الاصمعي الذي رواه ابــن قتيبة ، قال : « هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية ، فلما جـــاء الاسلام سقط شعره ، وقال مرّة اخرى : شعر حسان في الجاهلية من اجـود الشعر ، فقطع متنه في الاسلام لحال النبي ــ صلى الله عليــه وسلم ــ »[٤٥] وحجة الاصمعي حسب ابن قتيبة : « الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل في الخير ضعف »[٤٦] وقد نقل المرزباني رواية ابن قتيبة هذه مغيّراً لفظة الضــعف بـ « اللين » قال : قال الاصمعي : « طريق الشعر اذا ادخلته في باب الخـير لان ، ألا ترى ان حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير ــ من مراثي النبي (صلى الله عليه وسلم) وحمزة وجعفر رضــوان الله عليهما ــ لان شعره ، وطريق الشعر هي طريق الفحول ، مثل امرىء القيس

---

(٤٤) مجلة فصول ، ٢٣ .

(٤٥) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ٣٠٥ . (٤٦) نفســه .

وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرّحل ، والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والاقفار . فاذا ادخلته في باب الخير لان »[٤٧].

وتعد مقولة الاصمعي هذه المهاد النظري الذي استند اليه الباحثون في مواقفهم من ظاهرة ضعف الشعر في صدر الاسلام بل هي التي هيأت الاذهان لهذا التصور ، لان الاصمعي هو الاسبق في السياق التاريخي للنقد ، وكتابه « فحولة الشعراء » هو ايضا يقع في سياق السبق بين كتب النقد المدوّنة . ولذلك فان توثيق النص يقتضي العودة الى كتاب الفحولة ، ومن ثم مقابلة هذا النص بمواقف النقاد من شعر حسان ، وبتوافق تلك المواقف وتقاطعها تشكل رؤية واضحة تبلور قيمة شعر حسان الاسلامي باقرار « ان قيمة النقد تكمن في تكريس تجربة القراءة للواقع الانساني لا ان تتعارض مع الواقع الذي شكل القيمة الشعرية »[٤٨] .

وفي هذا الصدد يذكر الاصمعي حسان بن ثابت في موضعين : الاول يجلي فيه قيمة حسان الشعرية ، عندما سأله ابو حاتم عنه (قال : فحل)[٤٩] ولم يزد ولو كان للاصمعي رأي في شعره الاسلامي لذكره في موضعه من الفحولة ، واما الموضع الثاني فيجلّي قيمة حسان ناقداً ، قال الاصمعي : « أنشد حسّان شعر عمرو بن العاص ، فقال ماهو شاعر ولكنه عاقل»[٥٠] . وقال في موضع آخر : « قيل لحسان من اشعر الناس ، قال : اشعرهم رجلا ام قبيلة قيل : قال : بل قبيلة : ال : هذيل»[٥١] ووافق الاصمعي قوله هذا وزاد : « فيهم اربعون شاعراً مفلقاً ... قال ابو حاتم : سألت الاصمعي فمن اشعرهم رجلا واحداً ، قال : أما حسان فلم يقل في الواحد شيئاً وانا اقول اشعرهم

(٤٧) الموشح ، ٨٥ .
(٤٨) ما هو النقد ، ١٣٧ .
(٤٩) فحولة الشعراء ، ١١ .
(٥٠) نفسه ، ١٩ .
(٥١) نفسه .

واحداً النابغة الذبياني »(٥٢) . وكان الاصمعي يفضل النابغة على سائر شعراء الجاهلية من « ذلك ما روي عنه ان رجلا سأله : اي الناس طراً أشعر ، قال : النابغة قال : نقدم عليه احداً ؟ قال : لا ولا ادركت العلماء بالشعر يفضلون عليه احداً »(٥٣) ولكن يبدو ان طبيعة المواقف النقدية عند الاصمعي متغيرة بتغير المقام او الحالات ، فقد روى تلميذه ابو حاتم انه سأل الاصمعي آخر ما سأله قبل موته : من اول الفحول ؟ قال : النابغة الذبياني ، ثم قال : ما ارى في الدنيا لاحد مثل قول امرىء القيس :

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم وبالاشقين ما كان العِقابُ

قال ابو حاتم : فلما رآني اكتب كلامه ، فكر ثم قال : بل اولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس له الخطوة والسبق وكلهم اخذوا من قوله واتبعوا مذهبه »(٥٤) وهكذا نقض الاصمعي موقفه ، ولم يعلل تقديمه للنابغة ، وجرى مجرى عامة النقّاد واهل الطبقات في تقديم امرىء القيس واحتج بحجتهم ، وهذا دليل على ذاتية الموقف وخصوصيته ، وموضوعية الاجماع وقدرته على المحاجة والتعليل لاحتواء المواقف وافراغها في رؤية الجماعة التي تقرر القيمة النقدية ، وفي مثل هذا التغير اتسم موقف الاصمعي من الشعر الاسلامي شأنه شأن لغويي عصره ، فقد كان يقول : « جلست الى ابي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي »(٥٥) . وكان ابو عمر يقول : « لو ادرك الاخطل من الجاهلية يوماً واحداً ما قدمت عليه جاهلياً ولا اسلامياً »(٥٦) « على ان الاصمعي قد يبدو اشد تزمتاً من غيره »(٥٧) في موقفه من الشعر الاسلامي حتى انه اجاب اباحاتم عندما سأله عن جرير والفرزدق والاخطل بقوله : « هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ، ولا اقول فيهم شيئاً

(٥٢) نفسه .
(٥٣) نفسه ، ٩ .
(٥٤) نفسه .
(٥٥) البيان والتبيين ، جـ١ ، ٣٢١ .
(٥٦) فحولة الشعراء ، ١٣ .
(٥٧) جهد الاصمعي النقدي ، ٢٠٨ .

لانهم اسلاميون »[٥٨] • وليس من شك في ان هذه المواقف المتطرفة تنم عن ذاتية حادة تفقدها الموضوعية « ولا تخدم النقد الادبي بقدر ما تسيء اليه ، ولا تهيء لتقدم الشعر بقدر ما تصيبه بالشلل الفكري والفني »[٥٩] لانها تحول دون تطور الشعر ومسايرته لتحولات الحياة في كل جوانبها بحجة توثيق اللغة وقيمة الشواهد اللغوية • ومن سمات هذا التطرف اللاموضوعي وقوع الاصمعي نفسه في تناقض المواقف فقد حكي عن اسحاق الموصلي انه قال: انشدت الاصمعي :

هل الى نظـرة اليك سـبيل   فيبلُّ الصدى ويشـفى الغليل

إن ماقل منـك يكثـر عندي   وكثيرٌ ممن تحِبُّ القليـلُ

فقال : والله هذا الديباج الخسرواني لمن تنشدني ؟ فقلت انهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله إن اثر التكلف فيهما ظاهر[٦٠] • ولابد من الاشارة هنا الى ان استقراء مواقف الاصمعي النقدية لا يعني علمه بالشعر ، فعلم الاصمعي لا جدال فيه ، ولكن العلم بالشعر غير نقده ومن قبل اشار الجاحظ الى ذلك بقوله : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لايتقن الا اعرابه ، فعطفت على ابي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار ، وتعلّق بالايام والانساب ، فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب ، كالحسن بن وهب ، ومحمد بن عبدالملك الزيات »[٦١] • وقال في موضع اخر : « ولم أرَ غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم ار غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج، ولم ارَ غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل ورأيت عامتهم — فقد طالت مشاهدتي لهم — لا يقفون الا على الالفاظ المتخيّرة والمعاني المنتخبة ••• ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتب اعم ،وعلى

(٥٨) فحولة الشعراء ، ١٢ .
(٥٩) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ، ٦٩ .
(٦٠) الوساطة ، ٥٠ ، الموازنة ، ٢٤ . (٦١) العمدة ، جـ١ ، ١٠٥ .

السنة حذّاق الشعراء اظهر »[٦٢] . فنقدُ الشعر وتمييزه صناعة اخرى كما يقول البحتري « انما يعلم ذلك من دفع في مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته »[٦٣] . ولذلك اخذ ابن قتيبة على الاصمعي اختياره قول المرقش :

هل بالديار ان تجيب صمَمْ   لو ان حياً ناطقاً كلَمْ
يابى الشباب الاقورينَ ولا   تغبط اخاك ان يقال حكم

قال « والعجب عندي من الاصمعي اذ ادخله في متخيره . وهو شعر ليس بصحيح الوزن . ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ولا لطيف المعنى »[٦٤] . فقاطع ابن قتيبة الاصمعي في ضوء رؤية نقدية واضحة تقتضي صحة الوزن وحسن الروي ، وتخير اللفظ ولطيف المعاني ، فلم يسلم له الاختيار ، وقد اقرّ ابو هلال العسكري تقاطع رؤية ابن قتيبة النقدية مع موقف الاصمعي ، وعقّب على ذلك بقوله : « وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله ، كما ان شعره قطعة من علمه وما اكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة ، ومنهم الاصمعي في اختياره قصيدة المرقش ... ولا اعرف على اي وجه صرف اختياره اليها ، ما هي بمستقيمة الوزن ، ولا موثقة الروي ، ولا سلسلة اللفظ ولا جيدة السبك ، ولا متلائمة النسج»[٦٥] . فاغلق دائرة الرؤية على اختيار الاصمعي وافرغ موقفه من قيمته النقدية . لانه لم يستند في اختياره الى مقومات الشعر التي تميزه ، وتجعل منه مثالا في غرضه يحتذى . من هنا يمكن ان تتبين طبيعة الموقف النقدي عند الاصمعي ، وطبيعة الشعر الذي يحكم اختياراته ويتحكم في مواقفه ، وهو شعر اهل الصنعة من اللغويين ولذلك فان رواية ابن قتيبة لموقف الاصمعي من شعر حسان الاسلامي

---

(٦٢) البيان والتبيين ، جـ٤ ، ٢٤ .
(٦٣) دلائل الاعجاز ، ٢٠٣ واعجاز القرآن ، ١١٦ــ١١٧ وفيه قول بشار : « انما يعرف الشعر من يضطر الى ان يقول مثله » .
(٦٤) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ٧٢ . (٦٥) كتاب الصناعتين ، ٩ .

تضعه في هذا الاتجاه الملتزم بعصر الشاهد اللغوي ـ وعليه فلابد من مقابلته بمواقف نقدية تخصص قيمة الشعر في مواكبة التحول الاجتماعي وتطوره ، وتجلّي اسهامه الفاعل في خلق حيز يرتكز عليه الانسان في احداث الاثر ، وبذلك نقترب من بناء نظرية قيمية للنقد اذ « لا يمكن ان نتصور واقع اي انسان هو واقع مستقل عن القيم او خال منها ، فعالم كل انسان هو وحدة متجانسة »[٦٦] مع قيمه التي يتبناها . وهذا ينطبق تماماً على واقع الشعر في الجاهلية والاسلام . ولعل من اشدّ المقولات الدّالة على ذلك قول ابن قتيبة نفسه : « ان الله تعالى رفع بالشعر اقواماً في الجاهلية والاسلام »[٦٧] . وكذا هي قيمة شعر حسان متوازنة في نظر شيخ اللغويين ابي عبيدة الذي يقول : « فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام »[٦٨] . ووضعه ابن رشيق موضع امرىء القيس في الجاهلية قال : « وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن : في الجاهلية بامرىء القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت »[٦٩] . فهو فحل حسب الاصمعي ، واحتل مكان الصدارة في طبقته عند ابن سلاّم ، ووصف شعره بقوله : « وهو كثير الشعر جيده »[٧٠] وعندما أستخدم الشعر في المناجزة بين المسلمين والمشركين وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حسان اقدر الشعراء على ذلك فقد روى ابن سلام ان عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك لم يستطيعا مقارعة قريش بلغة الشعر فدعا النبي (صلى الله عليه وسلم) حسان فقال : « اهجهم او هاجهم وجبريل معك ، ـ وفي موضع ـ اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل »[٧١] فأيُّ شعر هذا الذي هو نظير النبال في الحرب ، ومن اين يأتيه اللين في جحفل الهجاء

(٦٦) ما هو النقد ، ١٣٦–١٣٧ .
(٦٧) المتع في صناعة الشعر ، ٢٤ .
(٦٨) الاستيعاب ، جـ١ ، ٣٤٥ .
(٦٩) العمدة ، جـ١ ، ٨٩ .
(٧٠) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ٢١٥ .
(٧١) نفسه ، جـ١ ١ ٢١٧ .

والهيجا . ويدلل ابن سلاّم على ذلك بقول حسان للحارث بن عوف المُرّي :

وأمانة المُرّي حيث لقيته — مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فصور « عدم امانة» المري بهذا التشبيه الدقيق بان جعلها شرخاً في ذاته لا يرجى شفاؤه فشخّص المشبه المعنوي بحسية المشبه به ــ صدع الزجاجة الذي لا يُجبر ــ حتى أستجار « المُرّي » بالنبي قائلا : يا محمد اجرني من شعر حسان ، فوالله لو مُزج به ماء البحر مزجه »(٧٢) وهذا الموقف يضعنا امام حقيقة جوهرية في العمل النقدي هي ان النقد يجب ان يتخطى ردود الفعل الانية الى القيمة البنائية لجمالية النص الذي احدث الفعل ورد الفعل ، فهي حالة متجددة في كل قراءة للنص ، فهل يمكن والحالة هذه ان تتوافق صفة « اللين » مع لغة شعرية « لو مُزج بها ماء البحر مزجته « ؟

اما رواية المرزباني لمقولة الاصمعي فقد قرنت الليونة بالمراثي ، والعجيب ان قصائد حسان في الرثاء يعدها النقاد من غرر شعره فقد رثى حسان النبي (صلى الله عليه وسلم) وبكاه بشعره بكاءً مؤثراً وبلغة خطابية صادقة اللوعة والحسرة ، قال(٧٣) :

تا الله ما حملت انثى ولا وضعت — مثل الرسول نبي الامة الهادي

حتى يقول :

يا افضل الناس اني كنت في نَهَر — اصبحت منه كمثل المفرد الصادي

ورثى حمزة عم النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال(٧٤) :

اتعرف الدار عفا رسمها — بعدكَ صَوْبُ المُسبِلِ الهاطلِ

---

(٧٢) نفسه ، ٢١٩ .

(٧٣) ديوان حسان ، ١٥٥ ، السيرة النبوية ، ٤ــ٣٢٢ .

(٧٤) ديوانه ، ٣٨٥ ، السيرة ــ ٣ ، ١٦٣ .

حتى يقول :

دع عنك داراً قد عفا رسمها   وابك على حمزة ذي النائل

وتجمع المصادر ان لحسان في كل مناسبة اسلامية عاصرها قصيدة او قصائد ، ومن جياده التي كان لها وقعها في معركة بدر ـ ميميته التي يقول فيها(٧٥) :

تبلت فؤادك في المنام خريدة   تسقي الضجيع ببارد بسّام
كالمسك تخلطه بماء سحابة   او عاتق كدم الذبيح مدام
أقسمت انساها واترك ذكرها   حتى تغيّب في الضّريح عظامي

الى ان يقول :

وبنو أبيه ورهطهُ في معرك   نصر الاله به ذوي الاسلام
بيض اذا لاقت حديداً صمّمت   كالبرق تحت ظلال كلّ غمام

وعلى الرغم من ان القصيدة تدخل في باب الخير الا ان بنيتها بنية الفحول من الشعراء ولغتها تطوّع الحدث بدلالة هيكل القصيدة الجاهلية . اما في معركة احد فله قصيدة عدّها ابن هشام احسن ما قيل ومطلعها(٧٦) :

منع النومَ بالعِشاء الهمومُ   وخيال اذا تَغورُ النُّجوم

حتى يقول :

يا لقومٍ هل يقتل المرءَ مثلي   واهن البطش والعظام سؤُومُ

ثم يلتفت التفاتاً بلاغياً في ذكر اصحاب اللواء يوم احد :

لم تُطق حملَه العواتِقُ منهم   أنّما يحمِلُ اللّواء النُّجوم

والقصيدة كما يصفها الباحثون : « محافظة على النمط الجاهلي بكل

(٧٥) ديوانه ، ٤١٨ و ٤٣٢ ، السيرة ــ ٣ ، ١٧ .
(٧٦) نفسه .

تفصيلاتها »[٧٧] . ومن قصائده التي جوّد فيها وابدع فكان لها اثر يُذكر بين النقاد ، وهي قصيدته في فتح مكة ، يقول فيها[٧٨] :

عفت ذات الاصابع فالجواءُ   الى عذراءَ منزلها خلاءُ

ومطلعها يؤصل انتمائها الى قصائد الفحول وبنيتها ترسم دواخل القصيدة العربية ، وقد كانت العرب اذا ارادت الخروج من معنى الى اخر قالت : فدع ذا، فكان تخلص حسان بقوله[٧٩] :

فدع هذا ولكن من لطيف   يؤرّقني اذا ذهب العِشاءُ

ويتذكر ايام لهوه عند الغساسنة بالشام فيقول :

كأن سبيئة من بيت رأس   يكون مزاجها عسل وماء
عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كَداءُ
يُبَارين الاعنّة مصعداتٍ   على اكتافها الاسَلُ الظّماءُ
تظل جيادنا متمطّرات   تلطّمهُنّ بالخُمُرِ النّساءُ
فإما تُعرِضُوا عنا اعتمرنا   وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

وعلى الرغم من طبيعة البنية التقليدية التي اتسمت بها مقاطع القصيدة فقد احسن التخلص الى المقاطع الاسلامية ... واجاد صياغتها ، وليس غير الحذق الفني والتمكن من ناصية اللغة الذي مكّن حسان من تطويع لغة الشعر حتى « سما حسان سموا لم يلحقه شاعر اسلامي اخر»[٨٠] في احداث الاثر . وهو في حقيقته اثر ادته طبيعة اللغة التي خاطب بها المشركين ، والادب في حقيقته « لغة قيمها في ذاتها »[٨١] وبمقتضى ما حققه شعر حسان من قيمة يمكن ان يُمنح مكانته الادبية وسمته الفنية التي بلغت شأواً في تفاعلها

---

(٧٧) شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ، ٦٨ .
(٧٨) ديوانه ، ٥٧ ، السيرة — ٤ ، ٦٤ .
(٧٩) كتاب الصناعتين ، ٤٧٤ .   (٨٠) شعر المخضرمين ، ٧٠ .
(٨١) العرب والفكر العالمي (مجلة ، ١٠٧) .

مع وقع الحياة حقق للشعر غايته ، فقد روى ابن رشيق ان حساناً تفاءل للنبي (صلى الله عليه وسلم) بفتح مكة في كلمته المشهورة :

عدمنا خيلنا ان لم تروها ... الابيات

وقال : « ورأيت من يستحسن « يلطمهن » من لطمت الخبزة اذا نفضت عنها الرماد ، فلما كان يوم الفتح اقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن الغبار عنها بخُمُرِهن ... وروى قوم ان الناس امروا بالسير الى « كداء » تفاؤلا بهذا البيت ليصح ، فكان الامر كما قال »[٨٢] . وليس غير حسان الذي حقق للشعر مكانته في صدر الاسلام فقد روي ان النبي (صلى الله عليه وسلم) « بنى لحسان ــ في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر »[٨٣] وان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان « يحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه اذا انشده »[٨٣] . وعلى هذا جاء قول ابن خلدون ان النبي (صلى الله عليه وسلم) « سمع الشعر واثاب عليه »[٨٤] بوصفه مثالا للشعر الواقعي الذي اقحم مناوئيه ، ولذلك فان على الباحث ان يحسم الخلاف عن طبيعة ذلك الشعر بان يعتمد القيمة المتحققة في الاستجابة له وهي قيمة تتقاطع مع المواقف التي تنظر اليه في سياق الشعر الجاهلي ونظيرا له ، دون خصوصية التلقي على اساس ان القيمة المتحققة للشعر هي « انتاج وتلق في آن واحد »[٨٥] فاذا كان انتاج حسان الشعري قبل الاسلام قد جعله من الفحول ، فان لغة التوصيل والابلاغ في شعره الاسلامي والاثر الذي احدثه في متلقيه ، قد احلت شعره مرتبة لا يعلوه بها شاعر اخر ، فقد عدّه ابن سلاّم رأس طبقته من فحول شعراء القرى[٨٦] وتبقى بعد هذا قيمة الخير والشعر نسبية[٨٧] ما

---

(٨٢) العمدة ، جـ١ ، ٦٧ . (٨٣) نفسه ، جـ١ ، ٢٧ .
(٨٤) مقدمة ابن خلدون ، ٥٨١ . (٨٥) العرب والفكر العالمي ، ١٢٦ .
(٨٦) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ٢١٥ .
(٨٧) مبادىء النقد الادبي ، ٧٩ ، الحديث عن الخير والشر .

دمنا لا نعطي في تحليلنا للشعر الجاهلي مفهوماً مطلقاً للشر ، وكذلك لدلالة « اللين » الذي يقابل الخير في الشعر الاسلامي ، ولكن الذي يمكن ان نستخلصه في طبيعة شعر حسان انه حافظ على تكافؤ القيمة الشعرية في الاداء والتلقي ، وتواصل في احداث الفعل ورد الفعل ، حتى جعل من لغته الشعرية قوة مؤثرة تتحكم في مواقف النقاد ، وهو الناقد البصير الذي يعرف مسالك الشعر ومعاييره التي تحكم جودته ويدلل على هذا ما رواه عبدالقاهر الجرجاني ان ابنه عبدالرحمن جاءه وهو صبي يبكي ويقول : « لسعني طائر » فقال حسان : صفة يابني فقال : « كأنه ملتف في بردي حبرة» وكان لسعه زنبور ، فقال حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة . قال عبدالقاهر : افلا تراه جعل هذا التشبيه بما يُستدل به على مقدار قوة الطبع ، ويجعله عيارا في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له ... وانما اعجبه قوله : « ملتف » وحُسن هذه العبارة ، اذ لو قال : « طائر فيه كوشي الحِبرة » لم يكن له هذا الموقع ، اذ في قوله « ملتف » دلالة على الفطنة[٨٨] .

ولعلم حسان بالشعر ، كان يُحكَّم فيما يشجر من خلاف في دلالة الشعر وتفسيره[٨٩] . وليس من شك فهو يعرف مكامن القوة والضعف في الشعر وهو يدرك تماما معنى ان يكون الشاعر ملتزما ، ومعنى ان يكون ذاتي الغرض والمقاصد ، فعنه اخذ النقاد سمات الشعر حيث يقول[٩٠] :

تغن بالشعر اما كنت قائله … ان الغناء لهذا الشعر مِضْمار

يقابله حيث يقتضي المقام قوله[٩١] :

وان احسن بيت انت قائله … بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(٨٨) اسرار البلاغة ، ١٧٥ .

(٨٩) فحولة الشعراء ، ١٩ ، طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ١٣١ ، الشعر والعمدة ، جـ١ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ .

(٩٠) العمدة ، جـ٢ ، ٣١٢ نظريات الشعر عند العرب ، ٦٢ .

(٩١) نظريات الشعر عند العرب ، ١٥٠ .

وعليه فان امكانات حسان الشعرية وطبيعة شعره الموصوفة بالتسيّد في الجاهلية والاسلام[92] يشكل رؤية نقدية تتقاطع وموقف ابن قتيبة في روايته عن الاصمعي ، وليس للباحث الا ان يقرر في ضوء ذلك : ان رواية ابن قتيبة متناقضة في صياغتها ، فقول الاصمعي : ان الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل في الخير لان ـ قول يعم الشعر ، والذي خصص حسان هو راوي المقولة ، والا لـم حسان مخصوص بالدخول بباب الخير دون غيره من الشعراء المخضرمين وشعرهم اقل شأناً من شعره الاسلامي ؟ والاصمعي نفسه عندما سئل عن حسان قال : « فحل » دون الاضافة التي ذكرها ابن قتيبة ، كما عدّه ابن سلاّم رأس طبقته من فحول شعراء القرى ، ولو كان الاصمعي قد خصّ حسان بالضعف واللين ، لكان ابن سلاّم اولى برواية ذلك لانه الاقرب زماناً ومكاناً الى الاصمعي من ابن قتيبة والاسبق في تدوين النقد ورواياته .

ويبدو ان « الموقف من الشعر سواء كان ايجابياً أم سلبياً هو دوماً موقف من الشاعر ـ وان المهم في مثل هذا الموقف ليس الموقف ذاته ـ بل المقاييس التي تحركه وتتحكم في صياغته »[93] .

وقد تبين لنا فيما سبق موقف الاصمعي من رواية الشعر الاسلامي وتقويمه ، واذ جعل حسان شعره الاسلامي متكافئاً في قيمته لشعره الجاهلي ، فقد اوجد المثال الذي يتعارض وتحكمّ اللغويين في الرواية ـ وحتى لا يجد هذا المثال طريقاً الى الفحولة اقتضى « قطع متنه » وهكذا كان ، ويعزز هذا الرأي قول الاصمعي نفسه عن حسان : « تنسب اليه اشياء لا تصح عنه »[94] ويؤكد ذلك ابن سلاّم بقوله : « وقد حـُمل عليه ما لم يُحمل على احد »[95]. ولكن ابن قتيبة لا يذكر ذلك عن الاصمعي ويغض الطرف عنه لانه يناقض

---

(٩٢) قضية الاسلام والشعر ، ادريس الناقوري ، ٤٨ .

(٩٣) نفسه ، ٢٧ـ٢٨ . (٩٤) الاستيعاب ، جـ١ ، ٣٤٦ .

(٩٥) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ٢١٥ .

روايته ، وقد تأول الدكتور شوقي ضيف ذلك بقوله : ان شعر حسان الاسلامي كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الاشعار المنسوبة اليه .. لا لان شعره لان وضعف في الاسلام كما يزعم الاصمعي »[٩٦] وقد ادرك الدكتور احسان عباس التناقض في صيغة هذه الرواية فقال : « وظني ان هذه الرواية غير دقيقة . وانها متأخرة بعض الشيء لمفهوم قول الاصمعي »[٩٧] .

عليه ، تخلص من كل هذا الى القول : ان دراسة الظواهر الادبية ومواقف النقاد منها في ضوء رؤية نقدية تستند الى مقومات البنية الشعرية ذاتها ، تخلّص النقد من اضطراب مفاهيمه وغموض مصطلحاته ، فمشكلة النقد تكمن في دلالة مصطلحاته التي يُسلّم بعض الباحثين بظاهر معانيها واساس ذلك ، هو اختلاف المواقف التي رافقت السياق التاريخي للنقد الادبي فقد اتاح تدوين اللغة ــ منذ وقت مبكر ــ المجال لجعل مواقف اللغويين مؤثرة في الرؤية النقدية ومتداخلة معها . ذلك ان اللغويين يرون : ان اللغة جوهر الاثر الادبي ، لكون الشعر في رواية اللغة احد الشواهد التي يستند اليها علم اللغة ، بينما تستند العملية النقدية على رؤية : ان لكل اثر بنية لغوية خاصة ، والجوهر لا يعني البنية ، ومن هنا « تختلف المفاهيم وتتصارع وجهات النظر »[٩٨] فتتباين المواقف النقدية . وعليه فالنظرية النقدية تبدو في امس الحاجة الى الرؤية لتحديد مفاهيمها ومصطلحاتها بموضوعية علمية تقرّب النقد الادبي من سائر العلوم الانسانية .

---

(٩٦) العصر الاسلامي ، ٨١ . (٩٧) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ٥١ .

(٩٨) قضايا النقد الادبي المعاصر ، ١٣١ .

مصـــادر البحث ومراجعــه :

١ ــ اخبار ابي تمام ، الصولي ، ت/خليل عساكر ومحمد عبدة عزام ونظـــير الاسلام الهندي ، المكتب التجاري ، بيروت .
٢ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ابن عبدالبر ، ت / علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر .
٣ ــ اسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني ، ت/هـ . رتير ، استانبول ١٩٥٤ .
٤ ــ بنية الخطاب الشعري ، عبدالملك مـرتاض ، دار الحداثـة ، بـيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
٥ ــ البيان والتبيين ، الجاحظ ، ت/عبدالسلام هارون ، ط٤ ، القاهرة .
٦ ــ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، د. احسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٨
٧ ــ جهد الاصمعي النقدي ، فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي ، د. محمود الجادر ، ٤ ، المجلد ٣٤ .
٨ ــ حلية المحاضرة ، الحاتمي ت /د. . جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشـــر ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٩ ــ الحيوان ، الجاحظ ، ت/ عبدالسلام هارون ، ط٢ ، مطبعة الحلبـــي ، مصر ، ١٩٦٥ .
١٠ــ دراسات في الادب النقدي ، د. حلمي علي مرزوق ، الثقافة الجامعيـة ، الاسكندرية .
١١ ــ دلائل الاعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، ت / محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٨٤ .
١٢ــ الرؤية البيانية عند الجاحظ ، ادريس بلمليح ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٤ .
١٣ ــ الرؤية النقدية ، محمود منقذ الهاشمي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٨٠ .
١٤ــ الرسالة الشافية في الاعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، ملحقة بدلائل الاعجاز
١٥ــ السيرة النبوية ، ابن هشام ، حققها مصطفى السقا واخرون ، ١٩٣٦ .
١٦ــ شرح ديوان حسان بن ثابت ، حققه عبدالرحمن البرقوني ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٠ .
١٧ــ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ت/احمد شاكر ، دار المعارف ، مصـر ، ١٩٦٦ .
١٨ــ شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ، د. يحيى الجبوري ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١ .
١٩ــ طبقات فحول الشعراء ، ابن سلاّم ، ش/محمود محمد شاكر ، مطبعـة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٢٠ـ العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر .
٢١ ـ العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق ، ت / محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٢٢ـ فائدة الشعر وفائدة النقد ، ت/س . اليوت ، ت/يوسف نور عوض ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٢٣ـ قضية الاسلام والشعر ، ادريس الناقوري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد .
٢٤ـ قضايا النقد الادبي المعاصر ، د. سمير حجازي ، الفكر الحديث ، الدار البيضاء ، ١٩٨٣ .
٢٥ـ كتاب الصناعتين ، ابو هلال العسكري ، ت/علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، البابي الحلبي وشركاؤه ، مصر ، ١٩٧١ .
٢٦ـ كتاب فحولة الشعراء ، الاصمعي ، ت ـ ش/توري ، ط١ ، ١٩٧١ .
٢٧ـ ما هو النقد ، بول هير ، ت/سلافة حجازي ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٩ .
٢٨ـ مبادىء النقد الادبي ، إارتشاردز ، ت/مصطفى بدوي ، مطبعة مصر ، ١٩٦٣ .
٢٩ـ مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر .
٣٠ـ الممتع في صنعة الشعر ، عبدالكريم النهشلي ، ت / محمد زغلول سلام ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
٣١ـ الموازنة ، الآمدي ، ت/محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٣ ، مصر ١٩٥٩
٣٢ـ الموشح ، المرزباني ، ت/علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ .
٣٣ـ نظريات الشعر عند العرب ، الدكتور مصطفى الجوزو ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ .
٣٤ـ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ت/محمد عبدالمنعم خفاجي ، بيروت، لبنان
٣٥ـ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ، د. عبدالسلام عبدالحفيظ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
٣٦ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، ت / محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦ .

المجلات

١ ـ العرب والفكر العالمي ، بيروت ، العدد ٣ ، ١٩٨٨ .
٢ ـ فصول ، مجلة النقد الادبي ، المجلد الاول ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الفجـــوة النقديــة
الواقع الراهن وحسابات المستقبل*

الدكتور مظهر محمد صالح
رئيس الدائرة الاقتصادية
امانة مجلس الوزراء

الملخـص

يهدف البحث الى تقديم نموذج بديل لاحتساب الفجوة النقدية وعلى وفق طبيعة المرحلة التي يمر بها الاقتصاد العراقي . وقد خلصت الدراسة الى نتائج يمكنها ان تحدد ابعاد الفجوة النقدية بصورتها (الكامنة) وتحت ظرفين مختلفين في آن واحد ، سواء في ظل الضغوط التضخمية التي ولدتها ظروف الحصار الاقتصادي أم في ظروف واعدة ومستقرة لا سيما بعد رفع الحصار .

كما جاءت منهجية البحث لتضع امام صناع السياسة الاقتصادية تصورات واقعية تجعل من هدف تحقيق التوازن الاقتصادي الداخلي اكثر اقترابا .

---

* دراسة اعدت مسوداتها من قبل الباحث في مطلع عام ١٩٩٤ لحساب الفجوة النقدية بأدوات تقليدية ومبتكرة بغية التحري عن فرص الاستقرار والتوازن النقدي في الاقتصاد العراقي في ظل ظروف واعدة .

١ ـ مقدمة : الفرضيات والاهداف

تقتضي التطبيقات المعتمدة في احتساب الفجوة النقدية طبقا للتغييرات التي شهدها نظام الصرف في العراق خلال سنوات الحصار الاقتصادي ، النظر قليلا في الاسس الحسابية والفنية اللازمة لتقدير تلك الفجوة ، التي تعد مصدرا مهما من مصادر التضخم النقدي ، سواء من حيث تطور مكوناتها أم طبيعة عناصرها بما فيها الاضطرابات السعرية الخارجية المؤثرة عليها التي أفرزتها السوق الموازنة للصرف على حسب درجة تنامي السيولة المحلية وتعاظم اتجاهاتها ومناسيبها(*) .

(*) من الزاوية (النظرية) هناك تعريف يتناوله الفكر النقدي الكمي (الكلاسيكي) يسمى (بحيادية النقود Neutrality of Money) والذي يعني ان تأثيرات التغير في عرض النقد تقتصر آثارها على المتغيرات الاسمية في الاقتصاد وبشكل خاص المستوى العام للاسعار ، وليست لها اية تأثيرات على الناتج القومي ـ أي بمعنى ان المتغيرات الحقيقية هي تلك التي تتحدد في الجانب المادي للاقتصاد Real Side (اي سوق السلعية) تاركة التغيرات الاسمية Nominal تتحدد في الجانب المالي (أي السوق النقدية) . وان الظروف الماضية التي عاشها الاقتصاد العراقي قد تنسجم مع الفروض الكلاسيكية وبشكل خاص تأثير محدودية الانتاج في الامد القصير وضعف مرونته ، مضافا اليها ظاهرة جديدة هي ظاهرة (الاحلال النقدي Currency Substitution) المتسارع، وان ثمة محاولة فكرية سنقدمها في مناسبة اخرى للتعرض لمفهوم الازدواجية الكلاسيكية The Classical Dichotomy التي خضعت للجدل الاكاديمي طويلا لتحديد الرابطة بين الاسعار النسبية التي تتحدد في الجانب الحقيقي للاقتصاد والمستوى العام للاسعار الذي يتحدد في الجانب النقدي . وستقوم المحاولة الفكرية على اساس اعتماد (العملة الاجنبية) في التعاملات الداخلية ، باعتبارها وسيطا للتبادل ووحدة حساب ، وسنطلق عليها بـ (وحدة القياس Numeraire) لتمثل السعر النسبي للنقود . وذلك تحت افتراض ان التأثيرات الناجمة عن ارتفاع السيولة المحلية (والتي تولد فائضا في الطلب على السلع والخدمات) ستنصب بصورة فائض طلب على ذلك الوسيط او الـ Numeraire من خلال ظاهرة الاستبدال النقدي ، اذ ان الاخير يطبع آثاره على المستوى العام للاسعار مسببا في الوقت نفسه علاقة مباشرة بين المستوى العام للاسعار والاسعار النسبية بفعل تأثير القيمة التبادلية للـ Numeraire مع السلع والخدمات . مع العرض ان موضوع الازدواجية (السعرية) الكلاسيكية كانت محط الجدل الاقتصادي وما زالت على الرغم من محاولة Hicks في ايجاد رابطة مشتركة بينهما في عام ١٩٣٧ .

يعتمد مؤشر السيولة النقدية كما هو معروف في الادب النقدي ، على أساس افتراض وجود علاقة ثابتة بين مقدار الطلب على الارصدة النقدية من جهة وحجم المعاملات الجارية او مستوى النشاط الاقتصادي الحقيقي من جهة أخرى • فعلى سبيل المثال ، أن زيادة حجم النشاط الاقتصادي او حجم المعاملات معبر عنها بالناتج القومي الاجمالي الحقيقي بمقدار ١٪ تزيد من الطلب على النقود بالنسبة ١٪ نفسها (وهو ما يطلق عليه بالمرونة الاحادية للطلب على النقود لاغراض المعاملات وعلى وفق ما سار عليه الفكر الكمي في الاقتصاد) •

واذا ما حافظ النمو في الناتج القومي الاجمالي الحقيقي على مستوى واحد أو انخفض نسبة معينة فأن مقدار الطلب على النقد لاغراض المعاملات سيبقى هو الآخر على مستوى مماثل او ينخفض بالنسبة ذاتها وبالاتجاه نفسه .• وبغية المحافظة على استقرار المستوى العام للاسعار ، فان النظرية النقدية تفترض من جانبها بأن تكون التغيرات في معدلات النمو في عرض النقد في مستوى يناسب دوما وتطابق مستوى النمو بين الطلب على النقود ومستوى النمو في الناتج القومي الحقيقي وهو ما يطلق عليه بـ (استقرار السوق النقدية وتوازنها) • وخلاف ذلك فأن تعاظم مناسيب السيولة المحلية وتزايد عرض النقد وعلى نحو يفوق احتياجات الطلب عليه ، لا يقود الا الى الفروض الكمية الكلاسيكية المتمثلة بارتفاع المستوى العام للاسعار وتدني القوة الشرائيـة للنقود واختـلال السوق النقدية مما يضغط علـى عناصر الاستقرار النقدي طالما تتخطى تلك الزيادة الحاصلة في عرض النقد درجة التوافق والتلاؤم المطلوبة بين نمو الطلب النقدي ونمو الناتج القـومي الحقيقي •

ومن جانـب آخر ، اذ كان الانفتـاح الاقتصادي (Openness) يعني تلك الدرجة التي يعتمد فيها الاقتصاد المحلي في تطوير أنشطته علـى قطاع التجارة الخارجية وعلى وفق ما تؤشره السلع والخدمات موضوع

التجارة الى الناتج القومي الاجمالي ، فان درجة انفتاح الاقتصاد المحلي على الخارج ستكون بدون أدنى شك المرتكز المؤثر في تحديد درجة استقرار نظام الصرف وقدرته في مواجهة الاهتزازات الخارجية ، فضلا عن أن طبيعة الاقتصاد في مثل هذه الظروف لا يمكن ان توفر مستوى عاليا من الاستقرار من دون أخذ الظروف الاقتصادية بعين الاعتبار وان توجهات الاقتصاد ستكون ضد الانغلاق وهو اقتصاد في كل الاحوال سيكون موجها نحو الخارج •

وإزاء ما تقدم ، فأن أسعار السلع المتاجر بها على المستوى الدولي (استيرادا وتصديرا) ستشكل بالنتيجة أساس المكونات السعرية لذلك الناتج او الدخل القومي • وان التغييرات السعرية الدولية ستترك آثارها الواضحة على الاسعار المحلية، مما يعني ان التغييرات في معدلات الصرف ستترك آثارها بشكل مباشر على عموم الاسعار المحلية (باعتبار ان سعر الصرف يمثل الرابطة بين البنائين السعر بين الداخلي والخارجي) • وبهذا تجد البلدان المنفتحة على العالم أنها مضطرة الى اتباع سياسات ثابتة او مستقرة في سوق الصرف لمواجهة الضغوط التضخمية الخارجية التي تشكل عبئا مباشرا على هيكل تكاليف انتاجها القومي ، وان تدهور معدلات الصرف من دون الدفاع عن استقرارها او ثباتها لا يعني سوى نقل مباشر للترتيبات السعرية ومتغيراتها الحاصلة في العالم الى داخل الاقتصاد القومي للتأثير في مقومات الاستقرار الاقتصادي(*) •

لقد آلت الظروف التي خلفها الحصار الاقتصادي الى ضمور سياسة الصرف الثابت في النظام النقدي القائم ليحل محله نظام مرن للصرف أدت فيه السوق الموازية دور الوسيط الناقل والسريع للمؤثرات السعرية الدولية على الاقتصاد المحلي وعلى نحو يتناسب وشدة استجابة الاقتصاد الوطني للقوى والمؤثرات الخارجية •

(*) راجع على سبيل المثال

Heller, H.R. "Determinants of Exchange rate Practices" Journal of money Credit and Banking Vol. 10. PP. 333-45.

فالتضخم بمستوياته او معدلاته العالية ، بات نتاجا مباشرا وبدون شك لطبيعة الاختلالات السعرية التي أصابت جانب العرض في الاقتصاد الكلي قبل الحديث عن الطلب الكلي ، وذلك لارتباط العرض الكلي بشكل تلقائي بالقوى الاقتصادية الخارجية وآثارها السلبية المتمثلة باضطراب معدلات الصرف وتقييد المركز المالي الدولي للعراق بسبب قرارات الحصارالاقتصادي وانعدام مصادر التمويل التقليدية في العملة الاجنبية التي يعد استقرارها شرطا في تأمين مدخلات الانتاج وتوفير الظروف الاقتصادية والمالية المطلوبة لاستمرار النمو الاقتصادي وخلق التراكم الرأسمالي واشاعة الاستقرار والتوازن الخارجي والداخلي على وفق ما تقتضيه الظروف الاقتصادية الطبيعية .

وعليه اذا كان التضخم بشكله النقدي يقترن دائما بفيض من التيارات النقدية في الاقتصاد الكلي فلابد من ادراك واحدة من الحقائق المهمة بأن ذلك الفيض Excesses الذي يشهده جانب الطلب الكلي (او الانفاق الكلي) جاء في معظمه استجابة تلقائية للافرازات الضارة التي ولدها جانب العرض الكلي . فمنذ ان توقفت صادرات القطر النفطية بأعتبارها المصدر الرئيس والممول الاساسي للنشاط الانتاجي ، ظهرت أنماط انتاجية قلقة اتسمت بخصائص تضخمية في مستوى البناء والتركيب ، ارتبطت ارتباطا مباشرا في كثير من جوانبها بسوق الصرف ، اذ أصبحت فيها أسعار العرض واسعار الصرف لكثير من السلع وجهين لعملة واحدة وهذا ما نطلق عليه بدولرة الاقتصاد Dollarization . كما أن الخصائص المستجدة التي شهدها جانب العرض قد أملت على الجانب المالي Financial Side بالتكييف القسري والمساير صوب تنمية العوامل التوسعية في الكتلة النقدية لمعادلة التصاعد في مستويات الطلب على الارصدة النقدية لاغراض المعاملات تحت تأثير (تضخم) أسعار العرض او أسعار الناتج القومي الاجمالي . فالنمو الكبير في مستوى السيولة المحلية خلال السنوات الاولى على فرض

الحصار الاقتصادي ، جاء منسجما مع تضخم تكاليف الانتاج واسعار العرض الكلي ومجاريا للارتفاعات الحادة في مستوى الاسعار النسبية ومسايرا لقيمة الارصدة النقدية المطلوبة للمحافظة على مستوى احتياجات المجتمع لتمويل معاملاته وحمايتها من التآكل بسبب التضخم المتصاعد .

وتأكيدا لهذه المقدمات والفروض ، أظهرت الفجوة النقدية عند احتسابها مؤشرا (سلبيا) وهو خلاف ما كان يعتقد به(*) .

فباعتماد معادلة الحساب العامة في تقدير الفجوة النقدية :

$$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta Y}{Y_t} M_t$$

حيث M = عرض النقد بمعناه الضيق

Y = الناتج القومي الاجمالي بالاسعار الثابتة

لوحظ ان ثمة عجزا كامنا في السيولة المحلية يقدر بحوالي (٥٥,٥) مليار دولار لعام ١٩٩٢ ، مقابل المستويات الموجبة التي اظهرتها الفجوة للاعوام السابقة وعلى النحو الآتي :

$$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta Y}{Y_t} M_t$$

Years	M_t	ΔM	Y_t	$\frac{\Delta Y}{Y}$	$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta Y}{Y_t} M_t$
1990	15309.3	3491.1	23704.7	0.201	413.93
1991	24670.3	9361	21959.1	-0.07363	11177.71
1992	43908.8	19238.5	59348.2	1.702669	-55523.69

(*) راجع في هذا الخصوص المصدر الاتي :

Hansen, B(1972) "Quantity Theory and Gap Analysis in short — term planning " in, Hansen, B, ed. " long — and short — term planning in underdeveloped countries North Holland Pub. Co. Ch 3.

وان ما يفسر التحول (السلبي) في مظاهر الفجوة النقدية في ظل الظروف التضخمية السائدة ، لا يمثل سوى حالة فريدة من حالات اشتداد الطلب على النقد لاغراض المعاملات يتفق والآثار التضخمية الهيكلية في القيمة والاتجاه وبشكل يفوق معدلات التسارع في نمو الكتلة النقدية .

كما آلت محدودية العرض وعدم مرونة دالته وتدني مستوى انتاجية بعض عناصر الانتاج في بعض قطاعات الاقتصاد وقصوره (فضلا عن الدور الذي لعبته السوق الموازية للصرف في تقويم هيكل تكاليف دالة الانتاج) الى أن يشتد الطلب على النقود ويصبح دالة تقع تحت التأثير الايجابي والمباشر للظاهرة التضخمية التي يفرزها قطاع الانتاج او العرض في الاقتصاد .

في ضوء ما تقدم ، فان محاولة هذا البحث جاءت للتوصل الى ما يأتي :

أ ـ تقديم نموذج بديل للفجوة النقدية للمرحلة التي مر بها الاقتصاد يفسر الآثار التضخمية على سلوك الطلب النقدي من خلال ترتيبات الصرف القائمة في السوق الموازية .

ب ـ تقدير الكميات النقدية الفائضة (الكامنة) التي يقدر لها ان تصبح قوة شرائية فاعلة بعد توجه الاقتصاد للعودة الى حالة الاستقرار في مرحلة ما بعد رفع الحصار الاقتصادي وذلك بما يساعد السياسة النقدية على وضع تصوراتها بخصوص تحقيق التوازن الداخلي وتوفير فرص الاستقرار النسبية .

٢ ـ الفجوة النقدية : الاشتقاق الرياضي وتطبيقاته

أ ـ اشتقاق الفجوة بصورتها التقليدية :

بأستخدام معادلة التبادل الشهيرة والمسماة بمعادلة (Fisher) التي تعكس التطابق بين التيار الحقيقي والتيار النقدي أي :

$$MV = Y \text{ ----------- } (1)$$

يمكن افتراض ان حالة التوازن في السوق النقدية ، تعبر عن الوضع الذي تصبح فيها قيمة الفجوة النقدية مقاربة الى (الصفر) . فباستخدام التفاضل اللوغارتمي للمعادلة (1) وبافتراض ثبات سرعة تداول النقود (V) التي هي مقلوب الطلب على النقود عبر الزمن (t) يمكن التوصل الى ان توازن سوق النقد وعلى النحو الآتي :

$$d\log M + d\log V = d\log Y$$

$$\frac{dM}{M}.\frac{1}{t} + zero = \frac{dY}{Y}\frac{1}{t}$$

$$\frac{\Delta M}{M}.\frac{1}{t} = \frac{\Delta Y}{Y}.\frac{1}{t}$$

OR

$$\ell_1 = o = \Delta M - \frac{\Delta Y}{Y_1} M_1 \text{ -----(2)}$$

ان الاختلال في السوق النقدية سيقود بـ(ℓ_1) الواردة في المعادلة (٢) لتكون على النحو الآتي:

$\ell_1 > 0$ (في حالة الفائض)

$\ell_1 < 0$ (في حالة العجز)

ب ــ اشتقاق الفجوة على وفق افتراضات ظروف الحصار الاقتصادي :

تحت افتراض تضاؤل معدلات النمو الحقيقية في الناتج القومي الاجمالي خلال فترة الحصار الاولى ، وإزاء تعاظم مستويات الاسعار ، يصبح من المناسب اخضاع التطورات الكمية في الناتج القومي الاجمالي (y) الى قاعدة او حالة الثبات المستمر او ما يسمى اصطلاحا بالـ Steady-State Assumption أي بمعنى أن :

$$y_t = y_{t-1} = y_{t-2} = \text{ - -- - - -}$$

واستنادا الى ما تقدم ، فانه يمكن اعادة اشتقاق الفجوة النقدية كما تعكسها حالة السوق النقدية وعلى وفق مبدأ الثبات المذكور آنفا مستخدمين المعادلة (٢) بالشكل الآتي :

$$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta Y}{Y_t} M_t$$

$$= \Delta M - (y_t.P_t - y_{t-1}.P_{t-1}).\frac{M_t}{y_t P_t}$$

حيث ترمز (P) الى المستوى العام للاسعار ، وباستخدام حالة الثبات في مستوى كميات الناتج القومي الاجمالي (y) يمكن الوصول الى :

$$= \Delta M - (y_t.P_t - y_t.P_{t-1}).\frac{M_t}{y_t p_t}$$

$$= \Delta M - (P_t - P_{t-1}) y_t.\frac{M_t}{y_t P_t}$$

$$= \Delta M - \Delta P.y_t.\frac{M_t}{y_t P_t}$$

$$\therefore \ell_t = \Delta M - \frac{\Delta P}{P} M_t \text{--------}(3)$$

وبغية ابراز دور السوق الموازية في نظام الاسعار في العراق يمكن اعتماد معادلة سعر الصرف المسماة (بنظرية تعادل القوة الشرائية Purchasing Power Parity) التي مفادها ان الاسعار في بلد كالعراق (P^*) تطابق الاسعار في بلد أجنبي كبير في اقتصاده(*) (على سبيل المثال) مضروبا بسعر صرف الدينار العراقي في السوق الموازية (ζ_t)

$$P_t = \zeta_t.P_t^* \text{--------}(4)$$

(*) في تصورنا ان اثر السعر Price Effect في الحالة التضخمية السائدة وتأثيره في ارتفاع مستويات الطلب على النقد ستبقى بالتأكيد اكبر من اثر الدخل الحقيقي Real Income Effect في حالة رفع الحصار ، ويعود ذلك الى ضعف مرونة دالة العرض في الامد القصير وازاء التكيفات الحادة التي ستحدث في سوق الصرف والمستوى العام للاسعار فان الامر سيؤول الى فجوة نقدية (موجبة) على الرغم من ارتفاع قيمة النقود .

وبافتراض ان الاسعار في العالم هي في حالة استقرار نسبي ، وبتعويض المعادلة (٤) في معادلة (٣) يمكن الحصول على ما يأتي :

$$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta \zeta_t . P_t^*}{\zeta_t . P_t^*} M_t$$

$$\ell_t = \Delta M - \frac{P_t^* . \Delta \zeta}{P_t^* . \zeta_t} M_t$$

$$\therefore \ell_t = \Delta M - \frac{\Delta \zeta}{\zeta_t} M_t \text{ ----------(5)}$$

تشير المعادلة (٥) الى ان ارتفاع الطلب على النقد او انخفاضه سيصبح حالة ملازمة لارتفاع او انخفاض سعر صرف الدينار العراقي في السوق الموازية ازاء العملة الاجنبية • وأن أي انخفاض سيطرأ على سعر صرف الدينار العراقي، سيقود الى ارتفاع نسبي مماثل في حجم الطلب على النقود (وذلك بفعل الارتفاع الذي سيطرأ على المستوى العام للاسعار وانخفاض القوة الشرائية للنقود) كما ان مبررات ذلك الارتفاع في الطلب على النقود غالبا ما تعبر عن احتياجات الفرد لتمويل الحزمة السلعية نفسها بسبب تضخم أسعارها ، ويمكن ان يحدث العكس في حالة استقرار المستوى العام للاسعار وتعاظم مستويات الدخل الحقيقي الى حد ما وتحسن معدلات صرف الدينار في السوق الموازية •

ج ـ التطبيقات الحسابية :

بينت التطبيقات الحسابية للمعادلة (٣) او رديفتها المعادلة (٥) بشكل واضح وصريح ان الطلب على النقد يتزايد طردياً مع التضخم (سواء معبراً عنه بالرقم القياسي لاسعار المستهلك أو الرقم القياسي لسعر صرف الدينار في

السوق الموازية) وذلك للحفاظ على القوة الشرائية للأرصدة النقديــة المطلوبة لتمويل تلك السلة او الحزمة مع السلع والخدمات التي نوهنا عنها آنفاً كسلوك للطلب على النقد لإغراض المعاملات •

كما أظهر احتساب الفجوة النقدية خلال سني الحصار الاولى مؤشرات سلبية ، سواء باستخدام المعادلة (٣) ام بأجراء التطبيقات على المعادلة (٥) المماثلة لها من حيث المضمون ، مؤشرة ، انه على الرغم من الحالة التضخمية التي كانت تعصف بالاقتصاد ، إلا ان هنالك حاجة مستديمة الى السيولة تتناسب وتعاظم احتياجات التمويل ولحجم ثابت من السلع والخدمات مع التغــير المستمر لقيمة النقود وتدني قوتها الشرائية • فباستخدام المعادلة (٣) اشر العجز النقدي خلال السنوات ١٩٩١ ــ ١٩٩٣ مبلغ قاربت (٣٦ر٧) ، (١٧ر٥) ، (١٣٧) مليار دينار على التوالي • في حين أظهرت نتائج الفجوة النقدية عجزا ايضا وللفترة ذاتها ، باستخدام المعادلة (٥) ، اذ بلغ (ــ٢ ر ٣٢) ، (ــ٧ر٢٨) ، (ــ٩ر١٧٤) مليــار دينار على التوالي • يلاحظ ان الارتفاع الجزئي في مؤشرات العجز والناجمة عن تطبيق المعادلة (٥) يعود الى استخدام مؤشر التضخم • ففي المعادلة (٣) تم استخدام الرقم القياسيلاسعار المستهلك في حين تم استخدام أسعار الصرف في السوق الموازية في المعادلة (٥)• وعليه يمكن ان نشخص بعض العوامل المسببة لهذه الفروقات ، التي يعود أولها إلى ثمة تباطؤ او (فاصل) زمنــي Time-lag في تكيف سوق السلع ازاء التقلبات السريعة والمباشرة في أسعار سوق (الصرف)، كما يعود السبب في ذلك الى الصفة التعاقدية التي تتمتع بها معاملات الســوق السلعية والتي تأخــذ أسعارها في العادة وقتاً مناسباً كي تظهر تكيفاتها مــع تقلبات الاسعار في سوق الصرف ، فضلا ان بعض أسعــار السلع التي تشكل الرقم القياسي لاسعار المستهلك لا تتأثر بشكل كامل ومباشر بالتقلبات الجاريــة في أسعار سوق الصرف وبشكل خاص تلك الحزمة السلعية التـــي يطلــق عليها بالــ (Non-Tradable) أي السلع التي لا تأخذ أي حيز في التجارة الدولية مضيفين الى ذلك ما تشكله ظاهرة دعم الاسعار التي تحظى بها الكثير

من السلع المكونة للرقم القياسي لاسعار المستهلــك أيضا وعليــه يمكن عرض نتائج المعادلتين (٣) ، (٥) بالشكل الآتي :

المعادلة (٣)

Year	M_t	ΔM	P_t	$\Delta P/P_t$	$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta P}{P_t} M_t$
1991	24670.3	9311.0	461.9	186.5	63699.1(-)
1992	43908.8	19238.5	848.8	83.8	17557.1(-)
1993	86430.1	42521.3	2611.1	207.6	136907(-)

المعادلة (٥)

Year	M_t	ΔM	ζ_t	$\frac{\Delta \zeta}{\zeta_t}$	$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta \zeta}{\zeta_t} M_t$
1991	24670.3	9311.0	10.12	1.682	32184.4(-)
1992	43908.8	19238.5	21.16	1.92	28709.9(-)
1993	86430.1	42591.3	74.42	2.516	174936.8(-)

٣ ـ الفجوة النقدية في ظروف مستقرة / مخطط اعادة التقدير

إن استخدام المنهج الجديــد او البديل الممثــل بالمعادلة (٣) عند اجراء تقدير الفجوة النقدية وحسابها كمياً خــلال بعض معطيــات سنوات الحصـــار الاقتصادي ، يقتضي مخططا آخر لتقدير الكميات النقديــة التي تولــدت في ظروف الحصار ولكن كما لو كانت في مرحلة مستقرة لاحقة (أي مرحلة رفي الحصار) ، ان هذا الأمر يقتضي بالتأكيد شيئاً من المناورة الحسابية من خلال استخدام الرقم القياسي الممثل للأسعار بما يتــلاءم مع الوقــوف على الكميات النقدية الفائضة التي تحققت خــلال مرحلة الحصار ومضاعفات قوتها الشرائية التي ستواجهها السياسة النقدية في مراحل لاحقة ، ولاسيما ان القوة الشرائية للنقود ستشهد ارتفاعاً حقيقياً وهو ما يطلق عليه بأثر الأرصدة النقدية الحقيقية Real Cash Balance Effect .

فاللجـوء الى المخفض الضمنـي (لاسعار) الناتـج القومـي الإجمالي GNP-Deflator يعـد الاختبار المناسـب للتوصـل الى الكميـات النقديـة الفائضة الكامنة داخل التيار الاقتصادي ومعاملاته . فالمخفض المذكور يمثـل الاسعار الحقيقية موزونةبسلة متحركة من السلع ، في الوقتالذي نجد فيه ان الرقم القياسي لاسعار المستهلك قد يتحرك بسلة ثابتة من السلع عند اعتمـاد الاوزان المطلوبة لتقدير ذلكالرقم(*) بعبارة أخرى فان(المخفضالضمني) (K) الذي هو حاصل قسمة الناتج القومـي الاجمالي بالدينار الجاري على ذلك الناتج بالدينار الثابت ، لايعد بنفسه رقما قياسيا خالصا للاسعار بأوزان ثابتة، لذلك فانه خليط من التغيرات السعرية والتغيرات الكمية في ان واحد لاسيما عند اعتماد السلاسل الزمنية السنوية في احتسابه . وعلى هذا الاساس يمكن احتساب الفجوة النقدية من خلال استخدام المخفض الضمني للناتجالقومـي ليتسنى الوصول الى الكميات النقدية الفائضة او مانسميه بالفجـوة الموجبة (وهي تمثل قوة شرائية كامنة فعالة تفوق من حيث القيمة التدفقات الاسميـة لعرض النقد في حال استمرار تحسن سعر صرف الدينار ازاء العملة الأجنبية) ، التي ستبقى تطفو على سطح المعاملات الاقتصادية في مرحلـة ما بعـد الحصار وتزيد من أعباء الاختـلال في تلك الفترة . فبافتـراض ثبـات الطلب النقدي واستقراره وتأثره ايجابياً بالدخل الحقيقي خلال تناول معطيات فترة الحصار ، فأن التقديرات تظهر (فجوة نقدية موجبة كامنة Potential) تقـدر أقيامهـا قوة شرائية مضاعفة خلال السنوات ١٩٩٠ ــ ١٩٩٢ قد تبلغ قرابة (١٨ر٨) ، (٢ر٧) ، (٧٦ر٥) مليار دينار على التوالـي فيما لو قـدر للحصـار ان يرفع واقتضى الأمر اعادة تقييم الفجوة النقديةفي ظل الظروف الاقتصادية المستجدة.

(*) راجـع Joel Popkin (1982) "Implicit Price Deflator" in Encyclopedia of Economics, by Greenwald. D. PP-495-98 MicGraw-Hill Book Co.

ويمكن ايضاح ذلك في الجدول الآتي : ــ

Year	M_t	$\triangle M$	K_t	$\triangle K/K_t$	$\ell_t = \Delta M - \frac{\Delta K}{K_t} M_t$
1990	15309.3	3491.1	0.542	0.408 -	18850.4(+)
1991	24670.3	9311.0	0.152	2.566 -	7269.8(+)
1992	43908.8	19238.5	0.066	1.303 -	76453.0(+)

٤ ــ الاستنتاجات

إزاء التدهور المتسارع في مستويات الاسعار وارتفاع القوة الشرائية للسلع والخدمات ، فانه لابد للطلب على النقود من ان يأخذ منحى متزايــدا صوب تمويل الارصدة النقدية لاغراض المعاملات ، لذا فان دراسة الفجــوة النقدية في ظروف التضخم السابقة كانت ، قد أظهرت عجزاً نقديا على النحو الذي تبينه المؤشرات السلبية للفجوة مما يعني ان الطلب على النقد (الفعلــي والمرغوب) هوأوســع من معــدلات النمو في عرض النقد الفعلي على وفق الظروف المؤسسية (المالية والنقدية)السائدة في القطر خلال السنوات الماضية .

كما ان ارتباط النمو في الكتابة النقدية بالانفاق العام عن طريق ظاهرة التمويل بالعجز والمغطى بحوالات الخزينة وممارسة سياسة تنقيد الديــــن العام Public Debt Monetization (أي الاصدار النقدي المؤطربحوالات الخزينة) ، لايمثل سوى طلب حكومي متزايد على النقد لمواجهة التدهــــور في القوة الشرائية للموازنــة العامــة وقت ذاك . وعليه يصبح الارتفاع في

مستويات الانفاق العام متأثرا بالتضخم بأعتباره عنصرا مسببا Cause Element لذلك الانفاق (*) .

لذا فأن الاشتقاق البديل الذي أظهرته الدراسة في المعادلة (٣) والمعادلة (٥) ، والتطبيقات الحسابية عليهما ، أوضحت ان الحديث عن فجوة نقدية موجبة في الظروف الاقتصادية القاسية التي خلفها الحصار قضية ليست ذات معنى مادام مصدر التضخم يرتبط بالاختلالات الهيكلية في بعض القطاعات الاقتصادية التي تتمتع بدرجة عالية من الانفتاح والتأثر بالاهتزازات الخارجية،

وتأسيسا على ماتقدم، توصي الدراسة بأهمية الوقوف على الكتلة النقدية الفائضة (الكامنة) التي تعد من مخلفات الحصار الاقتصادي عند رفعه وزوال الظروف الاستثنائية وبما يمكن راسمي السياسة الاقتصادية من وضع الاطار الكمي والتنفيذي اللازم لمعالجة السيولة الفائضة على وفق الوسائل والسياسات التي قد يعتمدها النظام النقدي في هذا الخصوص لبعث حالة الاستقرار في السوقين النقدية والسلعية وبما يتوافق ومتطلبات النمو والتنمية الاقتصادية المتسارعة في العصر الاقتصادي العراقي الجديد .

* * *

(*) د. مظهر محمد صالح / فرص الاستقرار واعادة التوازن الى الاقتصاد العراقي في مرحلة ما بعد الحصار / دراسات اقتصادية / العدد الثاني ١٩٩٩ بيت الحكمة ــ بغداد .

دراسة تحليلية لانشطة التحريات المعدنية
عن الخامات الفلزية في حضارات وادي الرافدين

الدكتور موسى جعفر العطية
الشـركة العـامة
للمسح الجيولوجي والتعدين

الملخـص

تعد سبيكتا البرونز والبراس اللتان توصل الى صناعتها انسان وادي الرافدين من السمات المميزة لحضاراته وهو انجاز بارز انعطفت به مسيرة الانسان الحضارية نحو الرقـي واصبح عصـر البرونز من عصـور التاريخ الحضاري للبشرية .

الدراسة تتناول عرضا وتحليلا للنهج الاستكشافي لانسان وادي الرافدين في البحث عن مصادر الثروة المعدنية لتلبية متطلباته من الخامات الفلزية مثل النحاس والقصدير والنيكل لاغراض صناعته الرائدة وقد توصلت الدراسة الى ان جيولوجي وادي الرافدين قد بذل جهدا استكشافيا واسعا في مناطق استيطانه في أرض الرافدين للبحث عن المعادن الفلزية المطلوبة واستطاع العثور على خامات النحاس واستخرجها في منطقة (ارجني مادين) القريبة من الحدود العراقية التركية والتي تعد امتدادا طبيعيا لارض الرافدين وكذلك عثوره على ترسبات اخرى في منطقة وادي برواري شمال العمادية .

لقد تناولت الدراسة ايضـا عرضا للجهـد العالي والمثابرة في المسوحات الاستكشافية لانسان وادي الرافدين بحثا عن الخامات الفلزية خارج مناطق استيطانه وفي مختلف الاتجاهـات وقد حقق نجاحـات في استثمار ترسبات النحاس في مناطق عديـدة استعرضتها الدراسة منها جزيرة قبرص ذات الاسم الاشوري الـذي يعني النحاس وكذلك استثمار ترسبات النحـاس في عمان وغيرها من المواقع ولكن يبقى القصدير من اسرار صنعته التي لم تعرف بعـد المواقع التي حصل منها على هذا الفلز ؟

مقـــدمة :

من الحقائق المعروفة أن حضارات وادي الرافدين تميزت بالرقي بين حضارات الامم الاخرى ولسنا بحاجة لعرض كل سمات ذلك الرقي في هذه الدراسة التي تتناول ابداعات انسان وادي الرافدين في مجال الصناعة التعدينية وبالتحديد انشطته الاستكشافية والاستخراجية للحصـــول على متطلباته من بعض الخامات المعدنية الفلزية كالنحاس والقصدير والنيكل الذي توصل أول مرة في تاريخ الانسان الى استخدامها في صنع سبيكتي البرونز والبراس وهو فتـــح علمي وثقته البشرية في سجلها علامة بارزة في تاريخهـــا الحضاري وأصبح « عصر البرونز » احد عصور حضارات الانسان الذي امتد للفترة من ٣٠٠٠ قبل الميلاد الى ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد .

لقد اهتم الباحثون بدراسة حضارات وادي الرافدين وتحليل آثارها وأسفارها وتحقيق الشيء الكثير في الكشف عن أبعاد رقي تلك الحضارات في المجالات التشريعية والاجتماعية والعلمية الا أنه لم يتحقق كثيرا في بعض المجالات ومنها مجال الصناعة التعدينية وبالتحديد في مجال أنشطة التحري عن المعادن وهو ما تحاول هذه الدراسة بحثه واستقصاءه وتحليله اسهاما في قراءة صفحات شاردة من تاريخ حضارتنا التديمة لما للموضوع من أهمية تاريخية واقتصادية وفي الوقت نفسه سنتطرق اليها بأقتضاب استكمالا للبحث.

الابعاد الحضارية والاقتصادية للدراسة :

هنالك بُعدان في دراسة أنشطة التحريات المعدنية في حضارات وادي الرافدين او الحضارات القديمة بصورة عامة وهذان البعدان « حضاري واقتصادي » .

بالنسبة للبعد الاول فأنه لا يحتاج الى اسهاب حيث أن دراسة التاريخ بجميع صفحاته تعد نزعة بشرية وان وجود الاثر يستدرج الاهتمام لتتبع اصوله وكشف مدلولاته وان دراسة النشاط المعدني في حضارات وادي الرافدين يضيف بعدا علميا في كشف معالم تلك الحضارات ويتبع أثر المعرفة البشرية ورسم أبعادها ومعالمها لا سيما أن استخدام المعادن كان سمة أساسية من سمات حضارات وادي الرافدين .

اما البعد الاقتصادي وهو البعد الاخر للدراسة فأن دراسة النشاط القديم للتحريات المعدنية تعد احدى وسائل الاستكشافات المعدنية وينصح المختصون في هذا المجال بالقيام بمسوحات للمعروضات الأثرية في المتاحف للتعرف على المعادن التي عثر عليها واستخدمها اقوام تلك الحضارات ومقارنة ذلك بالمعلومات المتوفرة عن تواجد مثل تلك المعادن في المناطق التي عاشت فيها تلك الاقوام بغية تتبع مصادرها وكشف مواقعها ولدلالات اكثر عمقا فأن الابعاد الاقتصادية لهذا النوع من الدراسات ترتكز على على اعتبارات جيولوجية وفنية نشير الى بعضها :

١ ـ مواقع الترسبات المعدنية التي اكتشفت واستثمرت في عصور تاريخية قديمة يمكن اعادة استثمارها على أساس أن الانسان المعاصر يمتلك من وسائل وتقنيات أكثر فاعلية في تحديد الترسبات المعدنية المطمورة واستخراجها مما كان الحال عليه في تلك العصور لا سيما ان مقاييس الاعتبارات الجيولوجية الاقتصادية للترسبات المعدنية تختلف بأختلاف العصور فالترسبات المعدنية ذات الجدوى غير الاقتصادية او غير الفنية

في عصر من العصور قد تختلف معايرها في عصور اخرى وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الاشارة اليها نذكر منها مناجم مهد الذهب في السعودية (صابر ١٩٨٣) ومناجم (Ogfau) للذهب في مقاطعة ويلز التي استثمرت في حقب تاريخية قديمة واعيد فتحها واستثمارها في عصور لاحقة لاستخراج خامات معدنية ذات محتوى فلزي أوطأ تركت سابقا لعدم جدواهـا الا أنها ايجابيـة الجدوى اقتصاديـا في الوقت الحاضر •

٢ ــ بعض ترسبات الخامات المعدنية التي اهتم بها واستهدف استخراجها انسان الحضارات القديمة قد تكون مصاحبة لخامات معدنية أخرى حيث تترسب الخامات المعدنية أحيانا ولا سيما ذات الاصل الناري والحرمائي على شكل اطوار معدنية متعاقبة او متداخلة تحتوي على أنواع مختلفة من الخامات المعدنية بعضها بعيد عن اهتمامات انسان ذلك العصر بسبب محدودية المعرفة التقنية او الاستخدام ولكنها ذات قيمة اقتصادية في هذا العصر وعليه فان اكتشاف المواقع القديمة للمناجم يؤدي الى استثمار أوسع واكفأ للترسبات المعدنية انطلاقا من المواقع التي توصل الى اكتشافها واستثمارها انسان الحضارات القديمة ويمكن الاشارة ايضا الى الترسبات المعدنية في مناجم مهد الذهب التي استثمرت قديما لاستخراج الذهب والتي تستمر حاليا لاستثمار الذهب ومجموعة اخرى من العناصر النادرة والفلزية التي لم يتمكن انسان ذلك العصر مـن استثمارها •

واخيرا فان المعلومات التي توفرها مثل هذه الدراسات تُعد رافدا تقييميا للاحتمالات التمعدنية تستند اليه برامج التحريات المعدنية •

مصادر بعض الخامات المعدنية الفلزية التي استخدمها انسان وادي الرافدين :

عرف عن انسان وادي الرافدين النهج العلمي والتنظيمي في العمل فضلا عن المبادرة والابداع وهما من خصائصه المميزة في العصور المتأخرة من حضارات وادي الرافدين (عصر فجر انسلالات) ومن بعض المظاهر التي تبرز تلك الخصائص استخدامه الواسع والمتطور للسبائك وسعيه للتحري عن المعادن الفلزية وتوفير الاحتياطيات المعدنية لتلك الصناعة وما يؤكد المنهج العلمي لانسان وادي الرافدين في هذا المجال هو تبلور بعض المفاهيم الجيولوجية والمعدنية لديه حيث عرف عنه تصنيفه للمعادن والصخور حسب صلابتها والوانها وكذلك خصائصها الحرارية حتى اطلق عليه (Thompson 1936) لقب الجيولوجي الاشوري في كتابه المعجم الاشوري في الكيمياء الجيولوجيا •

ان مهمة جيولوجي وادي الرافدين لم تكن محصورة في توفير المعادن الفلزية لصناعته الرائدة بل أمتدت الى استكشاف خامات وصخور اخرى ونجحت عملياته الاستكشافية في العثور على الاملاح والاطيان والفحم والقير والرخام والحديد (العطيه ١٩٩٥ و ١٩٩٩) والمنطقة العربية للثروة المعدنية ١٩٨٣ والهاشمي وسكوجك ١٩٨٣ و (Barnes, 1972) الا ان الجهد الاستكشافي الاكبر كان في مجال خامات النحاس الحر والقصدير والنيكل وهنا لابد من وقفة عند نتائج عملياته الاستكشافية في هذا الخصوص ونستعرض جهده المبذول في توفير الكميات الكبيرة من الخامات المعدنية الفلزية التي تتطلبها صناعته الجديدة وهو ما سنتناوله بالعرض والتحليل •

لقد بذل انسان وادي الرافدين جهدا مكثفا في التحري عن خامات المعادن الفلزية التي كان ينشرها في مناطق استيطانه في أرض وادي الرافدين اولا ولكن النتائج الايجابية التي توصل اليها في هذا الخصوص كانت محدودة جدا وتتمثل بالمعطيات الآتية :

١ ــ يعد منجم النحاس في ارجني مادين (Ergani Maden) الذي يقع بالقرب من الحدود العراقيــة التركية بمسافــة ٢٠ كم داخــل تركيا حاليا هو الموقع الرئيس الذي استكشفه جيولوجي وادي الرافدين واستخرج منه النحاس بكميات كبيرة ومما يدعم ارتباط انسان وادي الرافدين بالنشاط الاستكشافي وتعدين النحاس في هذا الموقع الذي كان في ذلك الوقت جزءا من أرض الرافدين هو العثور على مجرفة نحاسية ودنبوسين مــن النحاس في موقع (Cayo'nu Tepes,) الى الجنوب من موقع المنجم بمسافة (٢٤) كم بأتجاه نهر دجلة واعتقد ان هذا الموقع في منطقة كاني ماسي شمال العمادية الذي توجد فيه بعض الشواهد المعدنية الضعيفة لخامات فلــزية استكشفها جيولوجي وادي الرافدين ولم يهتم بها لعدم جدواها الفنية لذلك اتجه قليلا الى الشمال ليستثمر ترسبات ارجني مادين ومما يدعم ذلك ايضا العثور على بقايا مصهر للنحاس في قرية جارا شمال العمادية الذي ربما استخدم لاغراض تجارب ريادية تعدينية او لسباكة خامات النحاس من منجم ارجني مادين •

٢ ــ من الشواهد الاخرى عن النشاط الاستكشافي والاستخراجي لانسان وادي الرافدين في ارض الرافدين ما ورد في النص الذي عثرت عليه في مقدمة تقرير عن المعادن في العراق كتبه (William, 1947) وهو مقتبس من كتاب « نينوى وبقاياها » للمؤلف (Auston Layards) (مجهول سنة الاصدار وجهــة النشر) وفيــه وصف لمنجــم النحــاس في جبال « تياري » (Tiyari) واشارات الى مناجم اخرى للحديد والرصاص والنحاس في قمة (Lizan) في وادي برواري شمال العمادية ايضا •

وقد ورد في النص ما يأتي : « عندما اقتربنا من (Tiyari) ودخلنــا الجبال على اليمين وبعد صعود سريع وجدنا انفسنا في غابة من بلوط وقد شغل الادلاء بأيجاد فتحة المنجم الذي لم يكن يعرفه سوى عدد قليل من

سكنة الجبال وعلى مسافة من المدخل قطع من خامات النحاس متناثرة وقد نزلت بصعوبة الى المنجم وقد اكتشفت طرق وممرات بأتجاهات مختلفة ولكن تلك الطرق مغلقة بأكوام من الصخور تتطلب ازالتها للدخول في تلك الممرات • النحاس في عروق وفي شقوق صخرية وقد لاحظت ان هذه المواد نفسها مستخدمة في تزيين القصور الاشورية • ان المنجم قديم جدا ولا يمكن تحديد تاريخ فتحه •

في جبال تيارى ولا سيما في قمة (Lizan) وفي وادي برواري مناجم الحديد والرصاص والنحاس ومعادن اخرى مهجورة • الكلدانيون والاكراد قد استخدموا هذه المناجم لصناعة الاسلحة ومعدات الزراعة •• » •

ان هذه النتائج الايجابية المحدودة التي أفرزتها العمليات الاستكشافية الواسعة التي قام بها انسان وادي الرافدين بحثا عن النحاس والقصدير والنيكل في مناطق استيطانـه في ارض الرافديـن متوافقة مـع معطيـات المسوحات الجيولوجية والتحريات المعدنية التي انجزت في العراق في العصر الحديث والتي اوضحت عـدم وجود ترسبات لخامات النحاس والقصـدير والنيكل ذات محتوى عال تتواجد على السطح والتي يمكن لبريقها المعدني والوانها المميزة أن تلفت نظر المستكشف والمنقب السومري والاشوري الذي لم تتوفر لديه وسائل الاستكشاف الحديثة كالوسائل الجيوفيزيائية والجيوكيميائية لذلك اقتنع بعدم وجود احتمالات معدنية اخرى غير التي عثر عليها في مناطق ارجني مادين وتيارى مما اضطره ان يوسع نشاطاته الاستكشافية والاستخراجيـة في مواقع بعيـدة جدا عن مناطـق استيطانه ونجح في ذلك كما يشير (Barnes, 1972) في المناطق التالية كمصادر لخامات النحاس التي تتطلبها صناعته الجديدة :

١ ـ جزيرة قبرص التي تتواجد فيها ترسبات كبيرة من النحاس الذي استخرجه الاشوريون وان اسم جزيرة قبرص مشتق من كلمة (Kipar) التي تعني باللغة الاشورية النحاس وقد نقلوا خامات النحاس من الجزيرة الى ارض الرافدين عبر نهر الفرات الذي تذهب بعض الآراء الى انهم اطلقوا عليه اسم نهر النحاس .

٢ ـ المصدر الاخر للنحاس هو البحرين التي كانت تسمى (Tuluma) ولم تكن البحرين تنتج النحاس بل كانت مركزا تجاريا مهما في ذلك الوقت ويجلب اليها النحاس من سلطنة عمان ومن منطقة تدعى (Makain) التي لم يتعرف عليها بعد ويعتقد أنها في واحـة البريمي وتشـير المعلومات الحديثة الى وجود ترسبات لخامات النحاس في مواقع عديدة في سلطنة عمان وكذلك بعض الترسبات لخامات النيكل (الدليل الجيولوجي والمعدني للوطـن العربي ١٩٨٤) .

٣ ـ مناطق اخرى تشير الدلائل الاثارية الى استخراج النحاس منها في زمن حضارات وادي الرافدين مثل منطقة (Anarak) وسط ايران وهي المنطقة الوحيدة التي تتواجد فيها الترسبات المعدنية للنحاس الحر من بين مناطق كثيرة في ايران تتواجد فيها ترسبات النحاس ولكن بصيـغ معدنية اخرى .

ومن المناطق الاخرى التي استثمرها انسان وادي الرافدين لهذا الغرض منطقة « كورى » في اقصى شمال تركيا .

نظرية تحليلية لمنهج التحريات المعدنية في حضارات وادي الرافدين :

اذا ما اردنا تحليل النهج الاستكشافي لانسان وادي الرافدين في مجال البحث عن مصادر الثروة المعدنية لتلبية متطلباته من الخامات المعدنية الفلزية مثل النحاس والقصدير والنيكل لاغراض صناعته الرائدة وهي سبائك البرونز والبراس فان المعطيات المتوفرة لدينا التي عرضناها بأيجاز آنفا تقودنا الى استنتاجات محددة تتمثل في المنطقية في التخطيط ودقة النتائج والجهد العالي والمثابرة في العمل وأخيرا صفحات ما زالت غير مقروءة عن أسرار صنعته الاستكشافية .

ان هذه الاستنتاجات تستند الى العديد من الوقائع والمؤشرات منها قيام انسان وادي الرافدين بمسوحات استكشافية واسعة لمناطق استيطانه كأولوية منطقية للتحري عن المعادن الفلزية المطلوبة ومما يدعم ذلك انتشار المواقع المعدنية التي اكتشفها في أرض الرافدين والمتمثلة بخامات الحديد في موقع اسناوه قرب بنجوين في اقصى الشمال الشرقي وخامات الحديد ايضا في موقع الحسينيات في اقصى الغرب والقير في منطقة هيت في اعالي الفرات والكبريت في منطقة الفتحة وكذلك نجاحه في العثور على خامات النحاس واستخراجه في منطقة « ارجني مادين » في اقصى الشمال والقريبة من الحدود الحالية للعراق مع تركيا والتي تعد امتدادا طبيعيا لارض الرافدين وكذلك مناطق جبال « تيارى » في اقصى شمال العراق وقيامه بعمليات منجمية لتقييم الشواهد السطحية لترسبات النحاس والحديد التي عثر عليها في تلك المنطقة وهذه جميعها تعد مؤشرات واضحة للنهج المنطقي في العمل والدقة في النتائج التي تسندها المعطيات الحديثة لعمليات المسح الجيولوجي والتحري المعدنيفيالعراق والتي اوضحت عدموجود شواهد سطحية لترسبات

خامات النحاس والقصدير والنيكل بشكل يمكن ان يلفت نظر المستكشف العراقي في زمن تلك الحضارات الذي كان ينشد ترسبات النحاس الحر وامام هذه المعطيات تبلور الجهد العالي والمثابرة في العمل لتأمين متطلباته الصناعية من الخامات الفلزية فاتجه بعيدا عن مناطق استيطانه وفي مختلف الاتجاهات منها شمال تركيا في منطقة « كورى » قريبة لشواطيء البحر الاسود والى جزيرة قبرص والى ايران في منطقة Anarak وسط ايران وهو الموقع الوحيد في ايران من بين مواقع عديدة يتواجد فيها النحاس الحر الملائم لتقنياته التعدينية واتجه كذلك الى واحات البريمي في عمان واستكشف النحاس واستخرجه منها وتعكس جميع هذه الانشطة الجهود الاستكشافية والمثابرة العالية التي بذلها انسان وادي الرافدين في مجال التحريات المعدنية لتأمين متطلباته منها ولكن تبقى صفحات غير مقروءة من سفر تلك الحضارة ولا سيما ما يتعلق بالقصدير الذي يدخل بنسبة ٣٠٪ في صناعة سبيكة البرونز واستخدام كميات كبيرة منه فمن اية مصادر حصل على هذا الفلز ؟ لا سيما أن معطيات التحريات المعدنية الحديثة لم تثبت تواجده في المواقع التي استخرج منها النحاس أو أية مواقع أخرى ضمن الرقعة الجغرافية الواسعة التي خضعت لانشطته الاستكشافية داخل مناطق استيطانه وخارجها ويبقى ذلك امرا يستدرج اهتمام الباحثين لكشف اسراره.

المصـــــــادر :

العطية ، موسى جعفر (١٩٩٠) مدخل لدراسة انشطة التحري المعدني في حضارات وادي الرافدين ، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين ، تقرير داخلي برقم ١٨٦١ .

العطية ، موسى جعفر (١٩٩٩) تاريخ الاستكشافات المعدنية والمسوحات الجيولوجية في العراق ، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين ، تقرير داخلي برقم ٢٤٨٤ .

الهاشمي ، وسام ، وسكوجك (١٩٨٣) التعدين القديم لخامات الحديد في وادي الحسينيات في غرب العراق (خلاصة) وقائع ندوة الاستغلال المنجمي العربي في القديم واثره على التكنولوجيا المنجمية في العصر الحديث ، المنظمة العربية للثروة المعدنية .

المنظمة العربية للثروة المعدنية ، الرباط (١٩٨٣) خارطة المناجم القديمة للوطن العربي ، سوسة ، احمد (١٩٨٠) حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، دار الرشيد .

صابر ، حسين (١٩٨٣) النشاطات المنجمية القديمة وعلاقتها بالاستكشاف المعدني الحديث في المملكة العربية السعودية ، وقائع ندوة الاستغلال المنجمي في القديم واثره على التكنولوجيا المنجمية في العهد الحديث ، المنظمة العربية للثروة المعدنية .

المصادر الاجنبية :

Barnes, J.W. (1972) Soure of Metals in Antiquity, in Mineral expolitation and economic geology, University of Wales, inter-Collogiate Colloguium, Greoynong.

Thompson, R.C. (1936) A dictionary of Assyian chemistry and geology, Oxford.

Williames, W.R. (1947) Report on the mineral Survey of the Nappe — Zone of Iraq, Geosurv.

حسان بن النعمان الغساني
ودوره في تحرير المغرب العربي

أ.د. ناطق صالح مطلوب
كلية الاداب / جامعة الموصل

الملخـص

يلقي البحث ضوءاً على تحرير العرب للمغرب وما جرى من حروب طاحنة تحقق النصر فيها للعرب المسلمين . وكان أهم قائد في هذه المنطقة حسان بن النعمان الغساني الذي يرجع اليه الفضل في تحرير المغرب العربي بعد قتـال عنيف مع الكاهنة التي كانت ذات بأس شديد . ولكن الجيش العربي استطاع ان يدحر البيزنطيين ويحرر البلاد .

وبعد ان استتب الحكم للمسلمين بدأ حسان بتنظيم العلاقة مع سـكان المنطقة واستحداث الدواوين وضرب النقود وبناء مدينة القيروان وتونـس، وغير ذلك من التنظيمات الادارية والعمرانية . وبذلك اكتسب منزلة مرموقـة بين رجال الدولة العربية الاسلامية في المغرب العربي .

تمهيـد :

يعد حسان بن النعمان الغساني[1] واحدا من مشاهير القادة الذين تولوا ولاية المغرب العربي في مرحلة دقيقة شهدت خلالها حروب التحرير فترة من الانحسار بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي في برقة على يد القوات البحرية البيزنطية سنة ٦٩هـ/٦٨٩م فتمكن بعد جهود مضنية وشاقة وبعد تراجع وظفر من بلوغ الاهداف العسكرية ، وامتلاك ازمّة الامور السياسية ، فصنع الحقائق ، وجاز بالبلاد الى آفاق رحبة في المجالات ، الاجتماعية والاقتصادية والادارية والعمرانية نقلتها الى شأو بعيد من التقدم والرقي واعطت حروب التحرير بعدها الحضاري ومضمونها الانساني .

ولنشاط حسان الواسع في الميدان العسكري ، وتنوع منجزاته في ميادين الحياة المدنية ، فقد اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في سنة ولايته ، تبعه اختلاف في توقيت حملاته العسكرية ومنجزاته الاخرى حتى اشكل الامر على الاوائل منهم والاواخر فقد قال ابن عذاري : (وغزوات حسان لم تنضبط بتاريخ محقق ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس ، ولا قتله للكاهنة)[2] ومما

---

(١) هو : حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقاء بن عامر بن الازد . كذا قال البكري في : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ٣٧ ، ط ، الجزائر ، ١٨٥٧م . وابن عذاري ، في البيان المغرب : ٣٤/١ ، تحقيق كولان وبروفنسال ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ . وقال الذهبي : هو حسان بن النعمان بن المنذر ، ينظر ، تاريخ الاسلام : ١٥١/٣ و٢٤٤ . ط ، القاهرة ١٣٦٨هـ . والغساني : نسبة الى الغساسنة امراء الشام ، ينظر ، ابن قتيبة ، المعارف : ١٠٧ ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٣١ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ . السمعاني ، الانساب ، ١٤٨/٩ ، تحقيق محمد عوانة ، بيروت ، ١٩٨١ .

(٢) البيان المغرب : ٣٩/١ .

بالغ ابن عذاري فيما قال فولاية حسان بن النعمان تردد في كتب المؤرخين بين سنوات ٥٧هـ و٦٨هـ و٦٩هـ و٧١هـ و٧٢هـ و٧٣هـ و٧٤هـ و٧٧هـ و٧٨هـ و ٧٩ هـ ؛ وهو نفسه ـ على طول باعة ـ لم يوافق في حل عقد التواريخ المتعددة فسرد الاحداث من دون تمييز وجر وراءه اخرين •

ونحن لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ، إن التعددية في التواريخ لم تكن اشكالا بقدر ما كانت موحية بتعدد حملات حسان العسكرية قبل ولايته وخلالها ومنبئة بما لا يقبل الشك عن مقدار الجهد وجسامة المهمات التي اضطلع بها في الميادين كافة ، فالثابت لدينا ان لحسان في اثناء ولايته على المغرب حملتين رئيسيتين ، دخل في الاولى مدينة قرطاجنة وحررها من البيزنطيين ، ثم لقي قوات الكاهنة فأنسحب امامها مضطرا وعسكر بأحواز طرابلس في الموضع المسمى بقصور حسان مدة تراوحت بين ثلاث الى خمس سنوات ثم عاد لينتصر على الكاهنة في الاوراس ويتوجه الى مدينة قرطاجنة ليحررها مرة ثانية (فأختلط الامر على المؤرخين لتشابه اعمال الرجل في كلتيهما وترددوا بين كل السنوات التي انقضت بين مسيره الاول ومسيره الثاني)[٣] والمؤرخون بعد ذلك لم يميزوا بين اعمال حسان قبل الولاية وخلالها ، بل لم يجعلوا له شيئا منها قبل ذلك ، وكأنه ظهر فجأة على مستوى القيادة والولاية لمجرد كونه غسانيا من كبار اهل الشام[٤] •

وتتبع نشاط حسان قبل الولاية ، وترتيب حملاته واعماله على نسق مقبول يتطلب دراسة وتحليلا لما وقع تحت ايدينا من الروايات التي جاءت في معظمها متعارضة متناقضة ، وجمع النصوص المبعثرة والمرصوفة في غير اماكنها الصحيحة لالحاقها في المناسب من المكان ، وهذا هو ما يجعل الباحث في احيان كثيرة يخطو بحذر شديد وكأنه « على ارض زلقة حافلة بمواضع

(٣) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٣٥ ، القاهرة ١٩٤٧ .

(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام : ١٥١/٣ وفيه « ابن زعيم عرب الشام » .

الزلل »[٥] وهذا خيار لابد منه في مثل هذه الحال لنعطي حسان حقه ، ونبرز دوره في تحرير المغرب العربي •

ـ نشاط حسان قبل الولاية

عرف المؤرخون حسان بن النعمان واليا على المغرب وقائدا لجيوشه وصاحب انجازات عسكرية وادارية عديدة ، ولم يعرفوه بأقل من ذلك ، ولا ذكروه بمعزل عن الولاية ، وعلى هذا درج الباحثون المهتمون بتاريخ المغرب العربي ايضا ، فلم يشكل لديهم هذا الموضوع اثارة الى اي مستوى كان •

أن التدقيق في الروايات التأريخية التي تناولت حسان بن النعمان واليا على المغرب سنة ٥٧هـ/٦٧٧م ، والروايات التي عدته واليا عليه ، او على مصر سنة ٦٩هـ/٦٨٩م ، وتفسيرها على اساس جدل العلاقة بين الزمان والمكان والتقويم الذي ناله من لدن الخليفة عبدالملك بن مروان عند اختياره للولاية يقودان الى صورة نستطيع من خلالها تقصي اخباره ، وتلمس دوره ونشاطه في ولايتي المغرب ومصر خلال هذه المرحلة •

فابن خياط وغيره يرددون رواية تشير له الى نشاط عسكري • واخر إداري كان في ولاية المغرب سنة ٥٧هـ ، والرواية كما ذكرها ابن خياط تقول : « وجه معاوية بن ابي سفيان حسان بن النعمان الغساني الى افريقية ، فصالحه من يليه من البربر ، ووضع عليهم الخراج فلم يزل عليها حتى مات معاوية »[٦]•

والذي يعنينا من هذه الرواية هي سنة البعث ، وما دونها فثمة خلط ظاهر مرده الى ما لمحنا اليه قبل قليل ، فالمعروف ان ولاية مصر والمغرب كانت

---

(٥) بروفسال ، مقدمة نص جديد عن فتح المغرب ، لعبيدالله بن صالح ، ص: ٢٠٣ صحيفة المعهد المصري ، مدريد ، م٢ ، العدد ١ـ٢ لسنة ١٩٥٤ .

(٦) ابن خياط ، التاريخ : ٢١٣/١ ؛ تحقيق اكرم العمري ، النجف ١٩٦٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١٥١/٣ « برواية ابن خياط » ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : ١٤٩/١ ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ .

لمسلمة بن مخلد الانصاري(٧) ، الذي أناب عنه على المغرب بعد اعفاء عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٥هـ/٦٧٥م أبا المهاجر دينار(٨) ، فقام دينار بحملتين عسكريتين ، احداهما الى مدينة قرطاجنة وجزيرة باشو «شريك» والاخرى نحو قبائل اوربة في منطقة تلمسان وهما حملتان لم تجدا من المؤرخين كبير عناية وما زالت تفاصيلهما ملفوفة غامضة(٩) ، وقد وقّت المالكي حملة تلمسان بسنة ٥٧هـ /٦٧٧ م(١٠) ونقل الدباغ عنه ان أبا المهاجر خرج من القيروان بكامل قواته من دون ان يخلف عليها احدا ينظر في امورها ، ولم يبق بها الا الشيوخ والنساء والاطفال(١١) من هنا يصبح دخول حسان المغرب على رأس قوة واجبا لاشك فيه تنفيذا لخطط القيادة العسكرية العليا في ولاية مصر المعبر عنها في الرواية مجازا بسلطة دار الخلافة ممثلة بالخليفة معاوية بن ابي سفيان ويكون التزامن بين خروج ابي المهاجر بالقوات ، ودخول حسان الولاية

---

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب : ٢٦٥ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦١ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥/٢٤٠ ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ . الكندي ، كتاب الولاه وكتاب القضاء : ٣٨ ، بيروت ، ١٩٠٨ ، وينظر ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ١٤٨ ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي : ١/١٨٨ ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٨) المالكي ، رياض النفوس : ١/٣١ ، تحقيق بشير البكوش ، بيروت ، ١٩٨٣ الدباغ : معالم الايمان : ١/٤٧ ، تحقيق ابراهيم شبوح ، ط٢ ، القاهرة، ١٩٦٨ . ابن عذاري : ١/٢١ ، النويري ، نهاية الارب : ٢٤/٢٤ تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ابن خلدون ، العبر : ٤/١٨٦ ، بيروت، ١٩٧١ . الناصري ، الاستقصا : ١/٨٠ ، تحقيق ولدي المؤلف ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

(٩) ينظر ابن خياط : التاريخ : ١/٢١٥ : المالكي : ١/٣١/٣٣ ، الدباغ : ١/٤٦ ، الذهبي ، دول الاسلام : ١/٤٢ تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة ، ١٩٧٤ . ابن خلدون : ٦/١٠٨ . ابن تغري بردي : ١/١٥٧ ، الناصري : ١/٨٠ ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ١٦٧ وما بعدها .

(١٠) رياض النفوس : ١/٣٣ ؛ وينظر ، ابو العرب ، طبقات علماء افريقية وتونس : ٧١ ، تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي ، تونس ، ١٩٦٨ .

(١١) رياض النفوس : ١/٣٣ ، معالم الايمان : ١/٤٦ .

مطلوبا لتحديد العلاقة الوثيقة بين الحملتين ، والتنسيق العالي بين القائدين ، فليس من الحكمة ان تترك الولاية وقاعدتها الحديثة التأسيس من دون حماية مما يغري القوى المضادة بمهاجمتها والنيل منها في محاولة ازعاج قوات ابي المهاجر ومشاغلتها لتخفيف ضغطها عليها .

وهكذا كانت حملة حسان ضرورة امنية لدرء اي خطر قد تتعرض له مدينة القيروان وغيرها ، ومن ثم تأمين خطوط مواصلات القوات المتوغلة وحمايتها في العمق ، واحباط اي عمل من شأنه ان يعطل فاعليتها ، فضلا عن كونها تعطي القوات المتقدمة دفعا معنويا وماديا متواصل الامداد ، وبهذا تتساند رواية ابن خياط ومن تابعه ، ورواية المالكي لتؤديا الى نتيجة مقبولة تتوضح معها اسباب وجود حسان بن النعمان في الولاية وطبيعة المهام التي كلف بها وعلى وفق رواية ابن خياط فقد مكث حسان في الولاية حتى وفاة الخليفة معاوية ، اي لغاية النصف الثاني من سنة ٦٠هـ/٦٨٠م ، ثم غادرها لاحتمال انتهاء ابي المهاجر من عملياته العسكرية ايضا[١٢] .

وتنقطع اخبار حسان بعد هذا التاريخ حتى سنة ٦٩هـ حيث جعل منه بعضهم واليا على المغرب[١٣] ، وعده آخرون في عداد ولاة مصر[١٤] ، وامروه على ستة الاف مقاتل من اهل الشام ، وبها كما قيل دخل المغرب فحارب البيزنطيين في قرطاجنة ، وواجه الكاهنة في الاوراس[١٥] .

---

(١٢) لم تتفق المصادر على تاريخ محدد ، ولكن ينظر ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ١٧٣ .

(١٣) المالكي : ٣١/١ ، الدباغ : ٦٠/١ ، عبيدالله بن صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب : ٢٢١ ، تحقيق ليفي بروفسال ، صحيفة المعهد المصري ، مدريد المجلد الثاني ، العدد ١-٢ ، لسنة ١٩٥٤ ، النويري : ٣٤/٢٤ « برواية الرقيق القيرواني » .

(١٤) ابن خلدون : ١٠٩/٦ ، الناصري : ٩٢/١ .

(١٥) المالكي : ٣١/١ ، الدباغ : ٦٠/١ . الحميري ، الروض المعطار : ٦٥ تحقيق احسان عباس ، ط٢ بيروت ، ١٩٨٤ : وينظر سالم ، المغرب الكبير: ٢٤٢/٢ و ٢٤٧ .

وليس بمعقول ان يدخل حسان المغرب بهذا العدد الضئيل من القوات ليواصل حروب التحرير الا اذا كانت لديه مهمة اخرى ، فسنة ٦٩هـ كانت سنة محملة باحداث ثقال ، فيها كانت خسارة القوات العربية امام القوات البحرية البيزنطية قرب برقة ، واستشهاد والي المغرب زهير بن قيس البلوي ، وماتجم عن تلك الخسارة من تنائج اصابت سلبياتها ولاية المغرب خاصة ، واقلقت كثيرا والي مصر عبدالعزيز بن مروان ، الذي تحتمل استعانته بقوات شامية تحرزا من احتمالات غير محسوبة وهذا امر يظل مرجعا ، على غيره ، ليعود حسان بن النعمان مرة اخرى قائدا لا واليا ويستقر بقواته في مصر أهبة لما يحدث ، وليقوم بناء على توجيهات والي مصر بحملة عسكرية(١٦) ، اريد من ورائها فرض واقع على البيزنطيين في المغرب يتراجعون بموجبه الى معاقلهم من دون ان ينالوا من الاراضي المحررة او يتوسعوا على حسابها ، من خلال المناورة بالقوى ، وقد وفق حسان في اداء واجباته ، فجال في عموم الولاية ، وتحسست قواته المدن والمواضع المهمة ، وهذه الحملة في هذا الوقت بالذات اكتسبت خصائصها من كونها اول رد فعل سريع على عدوان القوات البيزنطية ومن ثم فقد قوى بها جنان المرابطين في انحاء الولاية ومدنها ، وعندما اطمأن حسان على احوال الولاية عاد الى مصر ، وعودته ايضا لم تكن بمعزل عن الواقع الذي كان يسود الولاية المصرية ، فضعف الولاء ، وعدم اكتراث السكان بسلطة الولاة(١٧) ، وما شهدته سنة ٧١هـ/٦٩١م من عنفوان دعوة ابن الزبير ونجاحه في تأليب العامة والخاصة على بني امية هذه العوامل وغيرها اضطرت الخلافة الاموية الى اصدار امر يقضي بعدم السماح لاداء فريضة الحج(١٨) ، مما ، ولد استياءً عاما ، واثار ردود فعل واسعة حاولت

---

(١٦) ابن تغري بردي : ١/١٨٣ ، والنص : « سنة ٦٩ هـ وفيها عقد عبدالعزيز بن مروان لحسان الغساني على غزو افريقية » .

(١٧) ينظر على سبيل المثال ، الكندي : ٤٠ و٤٥ و٤٩ .

(١٨) ابن تغري بردي : ١/١٨٨ .

الدولة امتصاص اسبابها ، ومداراة الموقف ، فأمرت اولي الامر بالوقوف ايام عرفات بالناس كل في بلده ، للرد على ما كان يثيره ابن الزبير ، فكان عبدالعزيز بن مروان اول من عرّف في مصر سنة ٧١هـ واحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر(١٩) ، ومن هنا كانت قوات حسان ووجودها في مصر امرا حيويا مرتبطا بأمنها ، ومعوضا لها ايضا عن القوات التي اقلعت منها بحرا للاشتراك في محاربة ابن الزبير سنة ٧٢هـ/٦٩٢م(٢٠) .

مما تقدم يتبين ان ميدان نشاط حسان هذه المرة لم يقتصر على ولاية المغرب وانما كان له ما يمثله في ولاية مصر ، وكان نشاطه هذا مبعث المؤرخين على تصوره واليا على المغرب سنة ٦٩هـ ، ولكن تردده بين الولايتين رواحا ومجيئا واستقراره في مصر اوهم بعضهم فعدوه واليا عليها ، في حين لم يكن حسان في هذه المرحلة اكثر من قائد نال ثقة دار الخلافة ، فتآمر على قوة اشبه ما تكون بقوة الطوارىء الخاصة ، كانت مستعدة للعمل حيث يطلب منها ، فأنجز ما اسند اليه بكفاءة عالية ، ومقدرة كبيرة ، نالت اعجاب دار الخلافة واعتزازها ، فنال تقويما خاصا ، اهله لمنصب الولاية ، فقد اثر عن الخليفة عبدالملك بن مروان انه قال : ما اعرف احدا اكفأ من حسان بن النعمان(٢١) .

وفي قول الخليفة هذا اشارة الى فعل مسبق ، وقيادة متميزة ، والا فكيف تختبر كفاءة الرجال ؟ واذا كنا لم نقف لحسان على خبر ولم نعرف له من

---

(١٩) الكندي : ٥٠ ، ابن تغري بردي : ١٧٣/١ .

(٢٠) كانت في ثلاثة الاف رجل عليهم مالك بن شراحيل الخولاني . ينظر : الكندي : ٥٠ ، ابن تغري بردي : ١٧٣/١ .

(٢١) الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب : ٥٣ و٥٤ ، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ١٩٦٧ ، المالكي : ٤٨/١ ، الدباغ : ٦٠/١ ، السراج ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ج١ ق٥٣٢/٢ . تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، ١٩٧٠ ، وفيه « لا احد اعظم لافريقية من حسان بن النعمان » .

نشاط او دور في أقاليم الدولة العربية الاسلامية الاخرى فيما عدا مصر والمغرب فما سبق عرضه قريبا من الحقيقة ان لم يكن الحقيقة بعينها • فالرجل لم يظهر فجأة ، وانما جاء ارتقاؤه للمنصب تدرجا مع ما قلد من مهمات الامور فنهض بها ، وبذلك يكون تعيينه على الولاية التزاما بالقاعدة التي سارت عليها الدولة العربية في تعيين الولاة منذ بداية حروب التحرير في المغرب، وهي تقوم على التدرج في المناصب العسكرية او الادارية واكتساب الخبرة في ولايتي مصر أو المغرب ليصلوا بعدها الى منصب الولاية وقيادة الجيوش •

- ولاية حسان للمغرب

استكمالا لما سبق ، وبالرغم من التواريخ المتعددة التي تردد فيها المؤرخون حول تحديد ولاية حسان[٢٢]،نستطيع ان نقول باطمئنان ان التاريخ الذي حدده ابن عبدالحكم وهو سنة ٧٣هـ/٦٩٣م ، اقرب التواريخ الى الصحة[٢٣] وذلك بعد مقتل عبدالله بن الزبير[٢٤] ، ففي جمادي الاخرة من السنة المذكورة تمكنت الدولة الاموية من حركة ابن الزبير ، فاعقب ذلك هدوء مماثل في الاقاليم التي دعت بدعوته ، مما اتاح للخلافة فرصة التوجه صوب المغرب لاقرار من يسوس امره ، ويواصل حروب التحرير[٢٥] • وقد اقام حسان في مصر بقية

(٢٢) استثناء لما سبق ذكره ينظر على سبيل المثال : ابن خياط التاريخ ٦٢/١ و٢٦٤ . الكندي : ٥٢ ، الرقيق القيرواني : ٦٤ ، ابن عساكر تهذيب تاريخ دمشق : ٤ / ١٤٩ ، بيروت ط٢ ، ١٩٧٩ . ابن كثير ،البداية والنهاية : ٣١٧/٨ ، الطبعة المصرية ابن عذاري ٣٤/١ ، ابن خلدون ٢١٨/٦ ، ابن ابي دينار ، المؤنس : ٣٣ر٩ تحقيق محمد شمام ، تونس ١٩٦٧ ، السراج ، الحلل السندسية ، ج١ق٥٣٢/٢ : مؤنس : فتح العرب للمغرب : ٢٣٥ .

(٢٣) فتوح مصر والمغرب : ٢٦٩ ، وينظر ، سعد زغلول : ٢١٥/١ .

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل : ٣٦٩/٤ ، بيروت ، ١٩٦٥ . النويري ، ٣٤/٢٤ ، ابن خلدون : ١٨٧/٤ ، سالم ، تاريخ المغرب الكبير : ٢٤٢/٢ ، سعد زغلول : ٢١٥/١ .

(٢٥) ينظر ابن خلدون : ٣٦٩/٤ .

سنة ٧٣هـ(٢٦) ، وربما بداية السنة التي تليها منشغلا بجمع القوات واعدادها ، ومكنته الصلاحيات الواسعة الممنوحة له من تجاوز العقبات واختصار الوقت(٢٧) ، حتى اعد جيشا قوامه اربعون الف مقاتل(٢٨) وهو اضخم جيش دخل المغرب ، ولم يسبق لوال قيادة جيش بتعداده وكثافته(٢٩) ، وبقدر ما منح حسان من صلاحيات وما جهز به من قوات كانت مهماته ايضا ، فقد اسندت اليه مهام متعددة الصفحات متداخلة الاهداف جمعتها مهمتان اساسيتان :

- الاولى : عسكرية ، هدفت الى تغيير خارطة المغرب السياسية لصالح الامة .
- والثانية تنظيم البلاد تنظيما يتلاءم وخصوصية الادارة العربية ، وبما يخدم اهداف السلطة المركزية ، مما انطوى بعد ذلك على اعمال وانجازات كانت ثورة حقيقية في الاراضي المحررة .

ا ـ المهام العسكرية :

غادر حسان مصر على رأس قواته سنة ٧٤هـ/٦٩٣م ـ ٦٩٤م فدخل(٣٠) مدينة برقة ، ومدينة طرابلس وفيها انضم الى قواته فوج من المتطوعة

---

(٢٦) النويري : ٣٤/٢٤ ، سعد زغلول : ٢١٥/١ .

(٢٧) ابن عذاري : ٣٤/١ ، النويري : ٣٤/٢٤ ، ابن ابي دينار ، المؤنس ٣٣ ، السراج : ج٢ق٥٣٢/٢ .

(٢٨) نص عبدالله بن صالح /٢٢١ ، ابن عذاري : ١/ ٣٤ ، النويري : ٢٤/٤ ، ابن ابي دينار : ٣٣ ، الناصري : ٩٢/١ ، كتاب الانساب ، لابي حيان ـ كذا ـ ورقة ٤٣ مخطوط مصور ، الجامعة الاردنية ، تحت رقم ٣٦٧.

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل : ٣٦٩/٤ ، ابن عذاري : ٣٤/١ ، النويري : ٣٤/٢٤ السراج : ج٢ق٥٣٢/٢ .

(٣٠) ابو العرب : ٩٩ ، ابن الاثير ، ٣٦٩/٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام : ١٥١/٣ ، النويري : ٢٤ / ٣٤ « رواية ابن الاثير » الزياني ، الترجمان المعرب على دول المشرق والمغرب ورقة ٦٤ ، مخطوط مصدر ، الجامعة الاردنية . تحت رقم (٣٦٠) وينظر : سعد زغلول : ٢١٥/١ .

المسلمين[٣١] ، ومنها خرج على تعبئة وعلى مقدمته محمد بن ابي بكير ، وهلال بن ثروان اللواتي[٣٢] ، فدخل مدينة القيروان وتجهز منها[٣٣] استعدادا لتحقيق مهام الصفحة الاولى التي تحددت بالقضاء على القوتين الكبيرتين في البلاد ، وهما قوة البيزنطيين في مدينة قرطاجنة ، وقوة الكاهنة في الاوراس ٠

١ – تحرير مدينة قرطاجنة

قرطاجنة مدينة عربية اسسها الفينيقيون سنة ٨١٤ ق٠م٠ وكانت حاضرة دولتهم ومركزا من اشهر المراكز الحضارية في المغرب[٣٤] احتلها الرومان واجزاء اخرى من المغرب بعد حروب طويلة سنة ١٤٦ ق٠م[٣٥] ، وظلت تحت حكمهم ثم حكم الوندال فالبيزنطيين ، وبالرغم من تمكن القوات العربية من إجلاء البيزنطيين ، عن مدينة سبيطلة وما يحيط بها سنة ٢٨هـ/٦٤٨م[٣٦] وتحرير سوسة وجلولاء وبنزرت وغيرها من المواقع المهمة ما بين سنتي ٤٥هـ/٦٦٥م و ٤٧هـ/٦٦٧م[٣٧] ، فأن مدينة قرطاجنة ظلت في معزل عن تعرض القوات العربية ، حتى ولاية ابي المهاجر دينار ، عندما ضربت قوة من

---

(٣١) ابن عبدالحكم : ٢٦٩ ٠

(٣٢) ابن عبدالحكم : ٢٦٩ و٢٧٠ ٠ ويضيف زهير بن قيس ، لانه يجعل وفاته بعد ولاية حسان ٠ ينظر ص : ٢٧٢ ٠

(٣٣) النويري : ٣٤/٢٤ ٠

(٣٤) السراج ، ج١ق٢ : ٥٣٩ ، ابن ابي دينار : ٢٢ ٠ وينظر ابن منصور ، قبائل المغرب : ٥٧/١ ، الرباط ، ١٩٦٨ ٠ جوليان ، تاريخ افريقية الشمالية : ٨٦/١ ، ترجمة محمد مزالي ، والبشير بن سلامة ، تونس ، ١٩٨٥ ٠

(٣٥) السراج ، ج١ق٢ : ٥٤٢ ، وينظر الناضوري : تاريخ المغرب الكبير : ٢٧٨/١ ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، جوليان : ١٤٣/١ ٠

(٣٦) ابن عبدالحكم : ٢٤٦ ، البلاذري : فتوح البلدان : ٢٢٨ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، المالكي : ١٤/١ ، وما بعدها ، ابن الاثير : ٨٩/٣ ، الدباغ : ٣٣/١ وما بعدها ، ابن عذاري : ١٠/١ ٠

(٣٧) ابن عبد الحكم : ٢٦١ ، البلاذري : ٢٣٧ ، البكري ، المغرب ، ٣٢ و ٣٤ و ٨٢ ، المالكي : ٢٨/١ ، ابن عذاري : ١٦/١ ، وينظر مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ١٣٨ ، سعد زغلول : ١٧٠/١ ٠

قواته المدينة وضيقت عليها ، ولم تنسحب الا بعد ان تنازل البيزنطيون عن بعض القواعد والمرتكزات المهمة ومنها جزيرة باشو او شريك[٣٨] ، وتمكن عقبة بن نافع في ولايته الثانية سنة ٦٢هـ/٦٨١م من ضرب العديد من القلاع والحصون البيزنطية والتوغل عميقا[٣٩] ، ولكنه لم يفكر باستكمال ما بدأه ابو المهاجر دينار ، ولا كانت قرطاجنة ضمن حساباته ، ولو فعل ذلك لاغناه عن الكثير من الجهد ، ولاختصر الطريق نحو تحرير المغرب ، فالبيزنطيون منذ واقعة سبيطلة لم يتمكنوا من الوقوف طويلا امام القوات العربية ، وما نالوا منها الا الهزائم على مدى السنوات اللاحقة وقد خلف هذا في نفوسهم رعبا شديدا وانحطاطا تفشى في معنوياتهم وهزالا استمر في كيانهم ، ولم نعرف لهم بعدها مواجهة حقيقية للقوات العربية ، فمالوا الى اسلوب التربص واستغلال الفرص ، فكانوا مع كسيلة بن لمزم عندما اخذ عقبة واصحابه على قلة في تهودة اواخر سنة ٦٣هـ/٦٨٣م[٤٠] . واستغلوا خلو مدينة برقة من القوات فهاجموها بقواتهم البحرية سنة ٦٩هـ ، وسلبوا اهلها ، واحرقوا عمائرها وعاثوا فسادا في اطرافها ، وعندما عاد زهير بن قيس البلوي بعد واقعة ممس لانجادها وجد البيزنطيين باعداد كثيفة قد استعدوا للاقلاع ، فدخل بفوج من قواته معركة غير متكافئة معهم استشهد على اثرها[٤١] .

---

(٣٨) ابن خياط ، تاريخ : ٢١٥/١ ، ابن تغري بردي : ١٥٢/١ ، وينظر مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ١٦٤ و١٧٦ ، لقبال موسى ، المغرب الاسلامي : ٤٨ و٤٩ ، ط١ ، قسطنطنية ، ١٩٦٩ .

(٣٩) ينظر ، الرقيق القيرواني ، ٤١ وما بعدها ، المالكي : ٣٣/١ وما بعدها ، ابن الاثير : ١٠٥/٤ ، ابن عذاري : ٢٤/١ وما بعدها .

(٤٠) عدّ جوتية هذا الانتصار انتصارا بيزنطيا اكثر منه انتصارا لكسيلة وانصاره . ينظر :
Le Pass de , L,afrique du nord Les Siecles obscures, P.255, Paris, 1937

(٤١) المالكي : ٤٠/١ ، الدباغ : ٥٩/١ ، ابن الاثير ، الكامل ، نص عبيدالله بن صالح : ٢٢١ وفيه : « فاغاروا على افريقية ... » ابن خلدون : ١٨٧/٤ كتاب الانساب ، لابي حيان ـ كذا ـ ورقة ٤٣ ، وفي الترجمان المعرب ورقة ٦٣ « ... ورجع قاصدا مصر فاعترضته طوائف من البربر على غير تعبئة فهزموه وقتلوه .. » والرواية غريبة ظاهرة الخطأ .

بهاتين العملتين بدأ البيزنطيون يستعيدون بعضا من معنوياتهم ويرمون من كيانهم العسكري والسياسي في بلاد المغرب وهكذا ايقنت القيادة العليا في القوات العربية ، ان الامان لا يمكن ان يسود المغرب ويشمل كامل ترابه الا بطرد القوات البيزنطية،واجتثاث معاقلهم الرئيسة المتمثلة في مدينة قرطاجنة مقر حكامهم ، ورمز وجودهم ، ومبعث كل فتنة(٤٢) ، وانهيار هذا الصرح كفيل بهدم كيانهم العسكري والسياسي في البلاد مرة واحدة .

لذلك كان تحرير قرطاجنة من اول الاهداف التي سعت القوات العربية الى تحقيقها فزحفت من مدينة القيروان باتجاه الشمال(٤٣) ، وطهرت في طريقها البؤر المعادية ، حتى شارفت المدينة التي كانت تزدحم بالمدافعين والملتجئين اليها(٤٤) ، وقد اغضت المصادر عن المقدمات التي سبقت القتال ، واختلفت في الكيفية التي دخلت بها القوات العربية المدينة(٤٥) ، ولا شك في ان القوات العربية لم تكن لتبادر القتال قبل التأكد من نيات الطرف الاخر ، فكما بدأ عبدالله بن ابي سرح مع جرجير في سبيطلة وفاوضه على الاسلام او الجزية او الحرب(٤٦) ، فعل حسان مع حكام قرطاجنة فعرض عليهم الخصال المذكورة ، او في الاقل الاجلاء عن المدينة ومغادرة البلاد ، وطبيعي ان يرفض البيزنطيون عروض حسان جملة وتفصيلا ، ليعبروا بذلك عن مستوى متدن من فهم طبيعة حروب التحرير العربية ، وحسبوا حملة حسان مجرد غارة من الغارات محدودة الاهداف والنتائج سرعان ما تنقضي آثارها ولم يكن امام القوات العربية الا الشروع في القتال والامساك بمخنق المدينة والضغط عليها بهجمات مركزة ، اعجزت بعدئذ المعتصمين فيها عن الصمود ، فانهار جمعهم ،

---

(٤٢) ينظر ، المالكي : ٤٨/١ ، الدباغ ، ٦٠/١ ، ابن عذاري : ٣٤/١ ، النويري: ٣٤/٢٤ ، السراج : ج١ق٢/٥٣٢ .

(٤٣) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٣٩ .

(٤٤) ابن الاثير ، الكامل : ٣٦٩/٤ . ابن عذاري : ٣٤/١ .

(٤٥) ينظر سعد زغلول : ١ / ٤١٦ .

(٤٦) المالكي : ١٧/١ ، الدباغ : ٣٤/١ ، النويري : ١٢/٢٤ .

وتقطعـوا فرقا ، فمنهـم من ركب البحر نحو جزيـرة صقلية والاندلس[٤٧]، ومنهم من فر يبحث عن اقرب مكمن للاحتماء به ، لتدخـل القوات العربيـة المدينة التي ظلت تحت التسلط الاجنبي قرونا عديدة .

ولم يكن دخول قرطاجنـة ليؤمن للقـوات العربية نصـراً حاسمـاً على البيزنطيين ، فألتجاء فلولهم الى مدينتي صطفورة وبنزرت ، واستمالتهـم بعض قبائل المنطقة[٤٨] ، دفعت حسان الى تعبئة القوات والتوجه الى مدينـة صطفورة التي اصبحت مثابة للمنهزمين حتى « غدوا عليه عسكرا عظيمـا » كما يقول المالكي[٤٩] ، فوقع بين الطرفين قتال شديد انتزعت القوات العربيـة خلاله نصرا استشهد دونه الكثير من المقاتلين[٥٠] ، واستبد الخوف بالمنهزمين فدخل البيزنطيون مدينة باجة فاحتموا بها في حين دخلت فلول القبائل مدينـة بونة[٥١] ، ولم ير حسان ضرورة قتالهم فتركهم هملاً لشأنهم ، وعاد الى مدينة القـيروان[٥٢] بعد ان خلـف على مدينـة قرطاجنـة حاميـة من الجنـد تقوم بأمرها[٥٣] .

---

(٤٧) المالكي : ٤٨/١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٣٦٩/٤ ، الدباغ : ٦٠/١ ، ابـن عذاري : ٣٥/١ . النويري : ٣٥/٢٤ ، ابن خلدون : ١٨٧/٤ و١٠٩/٦ ، الناصري : ٩٢/١ .

(٤٨) المالكي : ٤٩/١ ، ابن الاثير : ٣٦٩/٤ ، ابن عذاري : ٣٥/١ ، ابـن خلدون : ١٨٧/٤ . النويري : ٣٥/٢٤ ، الناصري : /٩٢ ، وينظر : سعد زغلول : ٢١٦/١ .

(٤٩) رياض النفوس : ٤٩/١ . وينظر : الدباغ ٦١/١ .

(٥٠) المالكي : ٤٩/١ ، ابن الاثير : الكامل : ٣٦٩/٤ ، ابن عذاري : ٣٥/١ .

(٥١) المالكي : ٤٩/١ ، ابن الاثير : الكامل : ٣٧٠/٤ ، الدباغ : ٦١/١ . ابـن عذاري : ٣٥/١ ، النويري ٣٥/٢٤ ، ابن خلدون : ١٨٧/٤ ، الناصري : ٩٢/١ .

(٥٢) ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، ابن عذاري : ٣٥/١ ، النويري : ٣٥/٢٤ .

(٥٣) البكري : ٣٧ ، التجاني : الرحلة : ٦ ، ابن ابي دينار : ه المؤنس : ٢٥٤.

٢ ــ الصدام مع قوات الكاهنة

انضوت في جبل اوراس قوات كثيفة من زناتة وغيرها ، تحت لواء امرأة عرفت بالكاهنة ، وهي صفة وصفت بها لما كان لها من الكهانة والمعرفة بالسحر واعمال الشعوذة[٥٤] ، واسمها كما ذكره ابن خلدون : دهيا بنت ماتية بن تيفان بن بارو بن مصكسري بن افرد بن وصيلا بن جراو[٥٥] ، ورثت رئاسة قومها من جراوة بعد وفاة زوجها عن ولدين[٥٦] ، اختلف المؤرخون في اسميهما ، فهما قويدر ويامين لدى الرقيق القيرواني[٥٧] ويفرن ويزدان في نص عبيدالله بن صالح[٥٨] ، وجعل ابن عذاري احدهما يونانيا[٥٩] وهو قول يثير الغرابة والعجب ، ولما كانا دون البلوغ ، فقد تولت الوصاية عليهما ، واستبدت بالحكم دونهما مدة خمس وثلاثين سنة[٦٠] وكانت هي وقومها على الوثنية يقدسون صنما من خشب يحمل معها حيث تحل[٦١] ، وما يقال من انها كانت على الديانة النصرانية او اليهودية[٦٢] احتمال ضعيف لم يثبت بدليل[٦٣] .

---

(٥٤) ابن الاثير : الكامل : ٣٧٠/٤ ، ابن خلدون : ٩/٧ ، الحيمري : الروض:٦٥

(٥٥) العبر : ١٠٩/٦ و٩/٧ ، وينظر ، السراج ، الحلل السندسية ، ج١ق٢ : ٥٣٣ .

(٥٦) الرقيق القيرواني : ٥٨ ، المالكي : ٥٢/١ ، ابن الاثير ، ٣٧١/٤ ، الدباغ : ١ / ٦٣ ، ابن عذاري : ١ / ٣٧ ، ابن ابي دينار ، ٣٤ ، ٣٥ ،السراج : ج١ق٥٣٤/٢ ، وينظر : ابن خلدون : ١٨٧/٤ ، ولكن قارن ما ذكره ابن خلدون في ج٩/٧ والقراءة : « وكان لها بنون ثلاث » وبهذه الرواية اخذ الناصري في الاستقصا : ٩٣/١ .

(٥٧) تاريخ افريقية والمغرب : ٥٨ .

(٥٨) نص جديد عن فتح العرب للمغرب : ٢٢٠ ، ومثله في كتاب الانساب لابي حيان ، ورقة : ٤٤ .

(٥٩) البيان المغرب : ٣٧/١ ، وينظر سعد زغلول : ٢١٨/١ .

(٦٠) ابن خلدون : ٩/٧ « برواية هاني بن بكور الضريسي » الناصري : ٩٣/١ .

(٦١) المالكي : ٣٥/١ ، الدباغ : ٦٦/١ .

(٦٢) طه ، الفتح والاستقرار : ١٣٤ والهامش ذا الرقم ١٢٥ . بغداد : ١٩٨٢ .

(٦٣) ينظر ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٤٤ ، سعد زغلول ٢١٧/١ .

وقد دفعت كثرة ما قيل في هذه المرأة ، وما نسب اليها من اخبار ذات مسحة اسطورية ، بعض المؤرخين ومنهم : ليبو الى انكار وجودها اصلا بقوله : « وهذه الكاهنة كما استبان لنفر من اوثق العلماء ليست الا البطريق يوحنا تقسه أظهره المؤرخون في شكل امرأة لانه كان خصيا »[٦٤] والعلماء الثقات الذين نسب اليهم ليبو هذا الرأي كان في مقدمتهم «اوتر » ، وقد أكد فرونل ان ليبو اختلق على اوتر قولا لم يقل الرجل منه شيئا ، فضلا عن ان البطريق يوحنا وحملته مذكوران في المصادر العربية الى جانب اخبار الكاهنة[٦٥] والواقع ان عبث ليبو في الحقائق التاريخية لا يقل خطورة عن عبث جوتيه في الالفاظ عندما حاول ان يثبت ان لفظة الكاهنة اسم علم عبري غير عربي وانها مؤنث كوهين[٦٦] .

مثلت الكاهنة قوة كبرى في الاوراس ، والروايات لا تختلف في كونها زعيمة لقومها من جراوة وسائر زنانة ، وان القبائل كانت عموما تدين لهما بالولاء والطاعة ولا تخالف لها امرا[٦٧] ، وقد اضفت المصادر عليها من الالقاب ما يؤكد هذه المكانة فهي : « ملكة جبل اوراس »[٦٨] و « ملكة المغرب »[٦٩] و « ملكة البربر »[٧٠] و « الكاهنة الملكة »[٧١] وقومها من جراوة ملوك

(٦٤) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٤٢ ، والهامش ذا الرقم (٢٢) .
(٦٥) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٤٢ . وينظر : دائرة المعارف الاسلامية : ٥٣/٦ مادة تونس .
(٦٦) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٤٥ : والهامش رقم (٣) .
(٦٧) المالكي : ٣٤/١ ، الرقيق القيرواني : ٥٥ ، ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، الدباغ : ٦١/١ ، ابن عذاري : ٣٥/١ ، ابن خلدون : ١٨٧/٤ و٩/٧ .
(٦٨) ابن خلدون : ١٠٩/٦ .
(٦٩) القلقشندي : صبح الاعشى : ٥ / ١١٧ و ١١٨ وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة .
(٧٠) ابن عبدالحكم : ٢٧٧ ، البلاذري : فتوح : ٢٣١ .
(٧١) ابن عذاري : ٣٧/١ ، الحميري : ٦٥ .

البتر وزعمائهم(٧٢) ، وعزين اليها اعمال عدائية ضد قوات عقبة بن نافع خلال حملته الكبرى في المغرب ، وكان قتله وصحبه في تهودة سنة ٦٣هـ/٦٨٣م قد تم بتحريضها لكسيلة زعيم قبائل اوربة واغراء قبائل الزاب عليه(٧٣) ، وقابلت سيطرة كسيلة على الاراضي المحررة واحتلاله مدينة القيروان بأرتياح بالغ ، وعدته حاجزا وخطا دفاعيا اوليا يقف بوجه القوات العربية ويعيق تقدمها ، وهكذا جمعت المصلحة المشتركة في مقاومة القوات العربية بين كسيلة والكاهنة واوجدت بينهما نوعا من انواع التعاون(٧٤) ، وبعد مقتل كسيلة في واقعة ممس سنة ٦٩هـ / ٦٨٩م وانفراط عقد قبيلة اوربة ونزوحها الى المغرب الاقصى(٧٥) ، وجدت الكاهنة نفسها امام القوات العربية وجها لوجه ، فأبدت استعدادات عالية ونشاطا واسعا في تعبئة القوات(٧٦) ، وظلت ترقب متغيرات ما يدور على الساحة المغربية بعد مقتل كسيلة وتحرير قرطاجنة بحيطة وحذر شديدين .

ولم تكن استعدادات الكاهنة خافية عن القوات العربية ، فقد كان حسان على علم تام بمدى قوتها ونفوذها ، وعد القضاء عليها هدفا حيويا يفتح امام القوات العربية مسالك رحبة باتجاه تحرير البلاد ، وقد عبر المؤرخون عن هذه الحقيقة بعبارات ذات مغزى واحد ، فقيل لحسان « ان قتلتها دان لك المغرب كله ، ولم يبق لك مضاد ولا معاند »(٧٧) .

وعلى هذا الاساس اعد حسان القوات فعوض تضحياته من الشهداء والجرحى(٧٨) ، واعاد تشكيل الفرق العسكرية بما يتلاءم وتحقيق الهدف ،

---

(٧٢) ابن خلدون : ٦/ ١٠٩ .
(٧٣) ابن خلدون : ٢٩/٧ ، الناصري : ٩٣/١ .
(٧٤) Gauutier, Le Passe , P : 259
(٧٥) ابن خلدون : ١٤٧/٦ ، الناصري : ٩١/١ .
(٧٦) ابن خلدون : ٩/٧ ، الناصري : ٩٣/١ .
(٧٧) ابن عذاري : ٣٥/١ ، وينظر الرقيق القيرواني : ٥٥ ، المالكي : ٥٠/١ ، ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، الدباغ : ٦٠/١ ، النويري : ٣٦/٢٤ ، ابن خلدون: ١٠٩/٦ ، ابن ابي دينار : ٣٤ ، السراج : الحلل : ج١ق٥٣٣/٢ .
(٧٨) ينظر : ابن خياط : التاريخ : ٢٦٧/١ و٢٦٨ حيث الاشارة الى قوات دخلت المغرب بقيادة سفيان بن وهب وغيره .

وعندما اكتملت جميع الترتيبات اللازمة للمعركة اصدر اوامره بمغـــادرة القيروان وغايته مباغتة الكاهنة في الزمان والمكان بما يحقق له تفوقا علـــى قواتها الكثيفة فتجنب مدينة مجانة[٧٩] ولم يعرض لها[٨٠] ، ونـزل على وادي مسكيانة[٨١] الذي يبعد مرحلة[٨٢] واحدة منها ، واتخذ معسكره على رافـد من روافد ذلك الوادي ، سماه ابن الاثير نيني[٨٣] ، وكان سكان المنطقـــة يسمونه «بلي»[٨٤] .

أما الكاهنـــة فخرجـت من الاوراس « في عـدد لا يحصى ولا يبلـغ بالاستقصا »[٨٥] وعلى مقدمة جندها قائد من قواد كسيلة[٨٦] ، ولا نستبعد اشتراكه في واقعة ممس وخبرتـه بقتال العـرب ، فدخلـت مدينـة باغيـة الحصينة[٨٧] التي تعد من جبل اوراس بمثابة الباب من الدار[٨٨] ، فدمـرت جميع تحصيناتها ، ظنا منها ان حسان ، انما يريد التحصن بها[٨٩] ، ثم غادرتها

---

(٧٩) ينظر عنها : البكري : المغرب : ١٤٥ ، مجهول الاستبصار : ١٦١ .
(٨٠) الرقيق القيرواني : ٥٥ ، المالكي ١/٥٠ ، الدباغ : ١/٦٢ ، السـراج : الحلل :ج١ق٢/٣٣ .
(٨١) الرقيق القيرواني : ٥٦ ، المالكي : ١/٥٠ ، الدباغ : ١/٦٢ .
(٨٢) البكري : المغرب ٥٠ ، ابن خلدون : ٦/٢١٨ ، وينظر مؤنس : فتـح العرب للمغرب : ٢٤٧ .
(٨٣) الكامل : ٤/٣٧٠ ، وينظر : سعد زغلول : ١/٢١٨ ، مؤنس : فتـــح العرب للمغرب : ٢٤٧ .
(٨٤) الرقيق القيرواني : ٥٦ .
(٨٥) ابن عذاري : ١/٣٥ ، وينظر الرقيق القيرواني : ٥٥ .
(٨٦) البكري : المغرب : ٧ .
(٨٧) الرقيق القيرواني : ٥٥ ، المالكي : ١/٣٣ ، ابن الاثير : ٤/٣٧٠ ، الدباغ : ١/٦١ ، ابن عذاري : ١/٣٦ ، النويري : ٣٦٢٤ .
(٨٨) مؤنس : فتح العرب للمغرب : ٢٤٦ .
(٨٩) الرقيق القيرواني : ٥٥ ، المالكي : ١/٥٠ ، ابن الاثير : ٤/٣٧٠ ، ابـن عذاري : ١/٣٦ .

وتبعت القوات العربية حتى وادي مسكيانة فعسكرت اسفل النهر الذي عسكر عليه حسان[٩٠] .

ولا تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مقدمات القتال ، سوى تقابل الطرفين اخر النهار ، بلا قتال فاتوا على حذر فلما اصبحوا وقع بينهما قتال شديد صبر له الطرفان صبرا لم ينته احد اليه[٩١] ، وعلى الرغم من الموقع الافضل الذي تميزت به قوات حسان[٩٢] ، فانها واجهت موقفا غاية في الصعوبة بعد استشهاد قائد قوات الفرسان[٩٣] ، مما اخل في تعبئتها وشل من قدراتها القتالية ، وامام اشتداد ضغط قوات الكاهنة الكثيفة ، وكثرة الخسائر في صفوف القوات العربية ، امر حسان بالانسحاب المدبر واخلاء الميدان ،وتراجع برفق في سيره على امل ان يلحق به من تخلف من الجند[٩٤] حتى خرج من منطقة قابس [٩٥] ، وقد اطلق المؤرخون على ميدان الواقعة اسم وادي العذاري[٩٦] ، ونهر البلاء[٩٧] ، تنويها بجسامة الخسائر ، والامتحان الصعب الذي واجهته القوات العربية ، وتمكنت الكاهنة من اسر ثمانين رجلا ، اطلقوا

---

(٩٠) الرقيق القيرواني : ٥٦ ، المالكي : ٣٣/١ ، الدباغ : ٦٢/١ ، ابن عذاري : ٣٦/١ .

(٩١) الرقيق القيرواني : ٢٥٦ ، المالكي ٥١/١ ، ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، الدباغ : ٦٢/١ ، ابن عذاري : ٣٦/١ ، النويري : ٣٣٦/٢٤ .

(٩٢) سعد زغلول : ١/ ٢١٩ .

(٩٣) البكري ، المغرب : ٧ .

(٩٤) المالكي : ٥١/١ ، الدباغ : ٦٢/١ .

(٩٥) الرقيق القيرواني : ٥٧ ، المالكي ٥١/١ ، الدباغ : ٦٢/١ ، ابن عذاري : ٣٦/١ ، ابن خلدون : ١٠٩/٦ ، ابن ابي دينار : ٣٤ .

(٩٦) الرقيق القيرواني : ٥٧ ، ابن عذاري : ٣٦/١ .

(٩٧) ابن عبدالحكم : ٢٧٠ ، الرقيق القيرواني : ٥٧ ، المالكي : ٥١/١ ، الدباغ : ٦٢/١ .

جميعا ما عدا خالد بن يزيد القيسي[98] الذي احتفظت به لشجاعته ورجاحة عقله[99] فتبنته على وفق الطريقة السائدة لدى تلك القبائل[100] وتراجعت القوات العربية بعد الواقعة فدخلت اقليم طرابلس وعسكرت في مكان قريب من مدينة تاورغي على بعد «٢٥٠» كم شرقي مدينة طرابلس[101] ، سمي باسم قصور حسان[102] ، وانحسر نفوذها من الناحية الفعلية بمناطق حددها ابن عبدالحكم «بأنطابلس ولوبية ومراقية الى حد اجدابية»[103] واكتفت الكاهنة ، بما حققته من ابعاد القوات العربية عن مناطق نفوذها ، فغادرت الى مواطنها الاصلية ، من دون ان يكون في حسابها اقامة امبراطورية كالتي ينسبها اليها كودل او انها تمكنت من اخضاع المغرب من اقصاه الى اقصاه كما يقول مرسية[104] ، واصاب مؤنس اذ وصف حركة الكاهنة : « بانها لم تكن اكثر من ثورة محلية في ناحية من نواحي البلاد لا حركة اتنفاض تام[105] استثمرت انتصارها بحسابات دقيقة وموازنة واعية ، فلم تشأ اثارة القوات

---

(٩٨) ابن عبدالحكم : ٢٧٠ ، البكري ، المغرب : ٨ واسمه : « يزيد بن خالد » الرقيق القيرواني : ٥٧ ، ابن عذاري : ٣٦/١ و٣٧ ، المالكي : ٥١/١ و٥٢ ، والنص : « واسرت من اصحابه ثمانية رجال وقيل ثمانين رجلا » الدباغ : ٦٢/١ والنص كما عند المالكي . ابن الاثير : ٣٧٠/٤ « واسرت جماعة كبيرة منهم . . » ومثله قال النويري : ٣٦/٢٤ .

(٩٩) ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، المالكي : ٥١/١ ، نص عبيدالله بن صالح : ٢٢٢ ، ابن عذاري ٣٧/١ ، النويري : ٣٦/٢٤ .

(١٠٠) ينظر الرقيق القيرواني : ٢٥٨ ، المالكي : ٥٢/١ ، الدباغ : ٦٣/١ ، ابن عذاري : ٣٧/١ .

(١٠١) سعد زغلول : ٢١٩/١ .

(١٠٢) ابن عبدالحكم : ٢٧٠ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة : ٣٤٦ ، ط . بغداد ، البلاذري : ٢٣١ ، البكري : ٨ ، الرقيق القيرواني : ٥٧ ، المالكي : ٣٣/١ ، ابن الاثير : ٣٧٠/٤ ، الدباغ : ٦٣/١ ، ابن عذاري : ٣٦/١ .

(١٠٣) فتوح مصر والمغرب : ٢٧٠ .

(١٠٤) مؤنس : فتح العرب : ٢٤٩ و ٢٥٠ .

(١٠٥) مؤنس : فتح العرب للمغرب : ٢٤٩ .

العربية وجمهور المسلمين بدخول الاراضي المحررة ، او احتلال مدينة القيروان ولم يصل الينا خبر اي انتهاك لهذه المناطق من قبل قواتها ، وظلت مدينـــة القيروان مدينة محفوظة الحرمة امنة السرب ، مما شجع حسان على ارســال رجل من جنده لينوب عنه في ولايــة افريقية كما يقــول ابن عبدالكريم(١٠٦) وهذا يعني انالقيروان وما يلحق بهاظلت مرتبطة بشكل او باخر بقيادة القوات العربية ولكنها على اية حال كانت منطقة خالية من اي وجود عسكري مؤثر ، وهذا فقط ما كان يرضي غرور الكاهنة ، ولم يؤرقها بعد ذلك وجود نائـب حسان وسط سكان الولاية ما دامت لم تعد مصدر خطر عليها . وقد عطلت واقعة وادي العذاري فاعلية القوات العربية في المغرب لسنوات ، ومكث حسان في معسكره انتظارا للمدد ، وركب البيزنطيون الفرصة فعاودوا احتلال مدينة قرطاجنة ودخولها ، ولم يبق بيد القوات العربية شبرا واحدا من الاراضـــي مما يلي قابس غربا ، وعاد الوضع الى ما كان عليه فأقامت الكاهنة في الجنــوب في السهل الداخلي في حين شغل البيزنطيون باعادة المسالح الممتدة من سوسة الى شقبنارية(١٠٧) .

٣ ــ سياسة الكاهنة

لا نعرف من اعمال الكاهنة الا ما يكاد المؤرخون يجمعون عليه من انها دعت اتباعها الى تخريب البلاد وهدم الحصون والمدن وتدمير المزارع والحقول مما وصفه سعد زغلول بانه « حرب الارض المحترقة »(١٠٨) فانساقت وراء هذه السياسة ونفذتها على نطاق واسع مدفوعة بدوافع افصح عنها نص مقولة نسبت اليها : « ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ، ونحــن انما نطلب منها المزارع والمراعي ، فما نرى لكم الا خراب افريقية ، حتـــى

(١٠٦) فتوح مصر والمغرب : ٢٧٠ .
(١٠٧) مؤنس ، فتح العرب : ٢٥٥ .
(١٠٨) تاريخ المغرب العربي : ٢٣٠/١ .

ييأسوا منها ويقل طمعهم فيها »[109] فشرع قومها يخربون كل ما صادفوه من العمران والمزارع في طول البلاد وعرضها حتى قيل « ان افريقية كانت ظلا واحدا من اطرابلس الى طنجة وقرى متصلة ، ومدائن منتظمة ، حتى لم يكن في اقاليم الدنيا اكثر خيرات ، ولا اوصل بركات ، ولا اكثر مدائن وحصونا ، من اقليم افريقية ، والمغرب مسيرة الفي ميل في مثله ، فخربت الكاهنة ذلك كله »[110] .

وما ينسب الى الكاهنة من قول وفعل فيه نظر يحتاجان الى وقفة مستأنية لنتبين سند الرواية ومتنها ، فأول من ذكر هذه الرواية من المؤرخين هو : الرقيق القيرواني في كتابه : « تاريخ افريقية والمغرب » مسندة الى ابن انعم ، ولم تذكر في مؤلف قبله فيما نعلم ، وترددت مع اختلافات طفيفة زيادة ونقصانا في كتب المالكي ، وابن الاثير ، والدباغ ، وابن عذاري ، والنويري وغيرهم من المتأخرين ، واذا ما عرفنا ان جميع هذه المؤلفات قد اعتمدت كتاب الرقيق القيرواني مباشرة او بالوساطة[111] ، فمن السهل ان نجعله مصدر الرواية ، وابن انعم سنده وروايته ، وابن انعم ، هو : عبدالرحمن بن زياد بن انعم[112] المتوفى بمدينة القيروان سنة ١٥٦هـ او سنة ١٦١هـ ، روى عن والده وكبار التابعين الداخلين الى المغرب ، وعنه اخذ وروى اهل

(١٠٩) الرقيق القيرواني : ٦١ ، وينظر : ابن الاثير : ٣٧١/٤ ، المالكي : ٣٥/١ ، الدباغ : ٦٤/١ ، ابن عذاري : ٣٦/١ .

(١١٠) ابن عذاري : ٣٦/١ ، وينظر ، الرقيق القيرواني : ٦١ ، المالكي : ٣٥/١ ، ابن الاثير : ٣٧١/٤ ، الدباغ : ٦٤/١ ، النويري : ٣٦/٢٤ و٣٧ ، الحميري : ٦٦ ، ابن خلدون : ١٠٩/٦ .

(١١١) ينظر تاريخ افريقية والمغرب ، مقدمة المحقق : ٩ وما بعدها .

(١١٢) ترجم له ابو العرب ، في طبقات علماء افريقية وتونس : ٩٥–١٠٥ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٢١٤/١٠ ، المالكي ، رياض النفوس ، ١٥٢/١–١٦٢ ، الدباغ ، معالم الايمان : ٢٣٠/١–٢٣٣ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٤٠/١ طبعة القدسي .

القيروان وغيرهم(١١٣) .. وهو واحد من علماء القيروان المحدثين والعلماء المتقدمين مع معرفة بعلوم العربية وآدابها ، وبالرغم من علومه وشهرته فقد تكلم الناس على نقله الاحاديث النبوية ، فمنهم من وثقه ، ومنهم من قال : هو مقارب الحديث ، ومنهم من طعن فيه لروايته ستة احاديث اغرب بها ولم يعرفها احد من اهل العلم غيره ، قال سفيان الثوري : « جاءنا عبدالرحمن بن زياد الافريقي بستة احاديث يرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم اسمع احدا يرفعها » وسمى الاحاديث(١١٤) . وليس المقصود من ذكر هذا تجريح الشيخ ، ذلك ان امر التعديل والضبط عند الراوي ليس جامعا مانعا . وابن انعم مشهور بعلمه ومتانة دينه ، وجلالة قدره ، ولكن نقول كما قال تاج الدين السبكي « .....فان اهل التاريخ ربما وضعوا من اناس ، ورفعوا اناسا اما لتعصب او جهل او لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به او لغير ذلك من الاسباب ... »(١١٥) ورواية ابن انعم عالية السند بلا خلاف ، ولكنها في جميع الاحوال رواية خبر ، والاخبار لا تخلو من شبهات التحريف والزيادة والمبالغة. وذلك امر ميسور في الروايات التاريخية .

واما متن الرواية فهو لا يخلو من مآخذ كثيرة فذكر منها :

- ما تشير اليه الرواية من جهل الكاهنة بأهداف وغايات العرب غير صحيح ، وعندها خالد بن يزيد ، وحوارهما حول ذلك مبسوط في كتاب الرقيق القيرواني نفسه(١١٦) .

---

(١١٣) ابو العرب : ٨٧ وما بعدها و٩٩ ، الدباغ : ١/٢٣٠ .

(١١٤) ابو العرب ، طبقات : ٩٥ و٩٦ ، وينظر المالكي : ١/١٥٢ و١٥٣ ، الدباغ : ١/٣٦ .

(١١٥) قاعدة في الجرح والتعديل ، وقاعدة في المؤرخين : ٦٩ ، تحقيق ابو غدة ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(١١٦) تاريخ افريقية والمغرب : ٦٢ و٦٣ ، وينظر : ابن عذاري ، البيان : ١/٣٧ و٣٨ .

- ان المبالغة فيما ينسب الى الكاهنة واضح في الرواية ، فسلطان الكاهنة لم يتعد مناطق جبال اوراس والمناطق الشرقية منه الى ما بعد قابس بقليل في احسن الاحوال ، ولا يعقل ان تمتد يد اتباعها لتصل الى عموم البلاد بقصد التخريب والتدمير ونحن نعلم ان اقاليم المغرب كانت تتنازعها قبائل ذوات شوكة وبأس شديد ، لا تحتمل الخضوع او الانقياد لغيرها ، فضلا عن قبولها بهدر املاكها بالبساطة التي تشير اليها الرواية .
- ان هدف الكاهنة لم يكن التخريب والتدمير كما يقال ولو كان كذلك لعمدت اول ما عمدت الى تخريب مدينة القيروان رمز الوجود العربي الاسلامي في المغرب ، ولكن مثل هذا لم يحدث ، فقد ظلت القيروان مدينة محفوظة الحرمة ، والاراضي المحررة المرتبطة بها آمنة لم تمس بسوء .

ونحن في جميع الاحوال ، لا نستبعد اعتماد الكاهنة سياسة متعسفة سيئة مع السكان الذين وقعوا تحت سلطانها[١١٧] ، وقيامها باعمال التدمير والتخريب في مناطق محدودة ، على طول الطرق السالكة باتجاه مواطنها ، في محاولة منها لعرقلة تقدم القوات العربية وحرمانها من مصادر التموين والتزود بالاقوات فكما قامت قبل واقعة وادي العذارى ، باخراج الروم من حصن باغية وخربته لتمنع حسانا من التحصن به ، عاودت تلك السياسة فأصابت حصونا وقرى لقوم من النصارى والافارقة دون غيرهم ، فلم يتمكنوا من مناجزة قواتها ، وقيل انهم غادروا الى جزر البحر المتوسط والاندلس[١١٨] ، في وقت انقلب فيه الباقون عليها[١١٩] ، وبرم بسياستها جماعة من اتباعها « البتر » فلحقوا بمعسكر حسان[١٢٠] بعد ان استنزفت

(١١٧) ابن الاثير ، الكامل : ٤/٣٧٠ ، ٣٧١ .
(١١٨) ابن عذاري : ٣٦/١ و٣٧ .
(١١٩) مؤنس ، فتح العرب للمغرب : ٢٥٣ .
(١٢٠) ابن عبدالحكم : ٢٧١ ، المالكي : ٥٤/١ ، الدباغ : ٦٥ .

طاقتهم بعقد عساكرهم في النهار والتفرق في الليل من غير ان يكون لهم رأي في ذلك(١٢١) ، حتى ان خالد بن يزيد الذي كان اسير الكاهنة كتب الى حسان في اخر المطاف رسالة(١٢٢) يخبره ان انصار الكاهنة : « متفرقون ، لا نظام لهم ولا رأي عندهم » وطلب منه ان يطوي المراحل ويجد في السير(١٢٣) .

واذا كانت طالعة المدد قد وصلت معسكر حسان سنة ٧٨هـ/٦٩٧م بقيادة سفيان بن وهب(١٢٤) . فأن حسانا لم يغادر معسكره الا بعد ان استكمل كل العوامل التي ستوصله الى النصر ، وكانت مغادرته سنة ٧٩هـ/٦٩٨م(١٢٥) زاحفا على الطريق الساحلي ، فلقيه من الروم في طريقه ثلاثمائة رجل يستغيثون به من الكاهنة مما انزلته بهم من خراب ودمار(١٢٦) ، وواصل زحفه حتى مدينة قابس التي فتحت له ابوابها على غير العادة ، وعاهدته على الولاء والطاعة ، وكان اهلها قبل ذلك يتحصنون من كل جيش او امير يمر بهم(١٢٧) ، فترك فيهم عاملا : للاشراف على شؤون المدينة(١٢٨) ، وجنح عن الطريق

(١٢١) الدباغ : ١/٦٤ ، الحميري : ٦٦ .

(١٢٢) عن اسلوب المراسلة بين الطرفين ينظر : ابن عبدالحكم : ٢٧٠ ، الرقيق القيرواني : ٥٩ و٦٠ ، المالكي : ١/٥٢ و٥٣ ، الدباغ : ١/٦٣ و٦٤ .

(١٢٣) ابن عذاري : ١/٣٧ وينظر ، المالكي : ١/٥٣ ، الدباغ : ١/١٦٤ ، الحميري : ٦٦ .

(١٢٤) المالكي : ١/٩١ ، الدباغ : ١/١٥١ .

(١٢٥) التجاني ، الرحلة : ١٦١ و١٦٢ ، السراج ، الحلل ، ج١ق٢ : ٥٣٧ ، ابن ابي دينار : ٣٣ ، الزياني ، الترجمان المعرب ، ورقة : ٦٤ ، سعد زغلول : ١/٢٢٣ .

(١٢٦) الرقيق القيرواني : ٦١ ، ابن الاثير : ٤/٣٧١ ، النويري : ٢٤/٣٧ ، السراج : ج١ق٢ : ٥٣٥ و٥٣٦ .

(١٢٧) الرقيق القيرواني ، ٦١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٤/٣٧١ ، النويري : ٢٤/٣٧ ، السراج ق١ق٢ ٥٣٦ .

(١٢٨) الرقيق القيرواني ، ٦١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٤/٣٧١ ، النويري : ٢٤/٣٧ ، السراج ، ج١ ق٢ : ٥٣٦ وينظر :

J. Berques, Les Arabe , P : 61, Paris, 1973 .

الساحلي الى الطريق الصحراوي عبر بلاد الجريد[١٢٩] ، فدخل مدينة قفصة وكورتي قسطيلية ونفزاوة[١٣٠] وكانت مدينة توزر قاعدة كورة قسطيلية من امهات المدن التي دخلت في ولاء القوات العربية[١٣١] .

٤ ـ القضاء على الكاهنة

يشير المالكي دون غيره من المؤرخين ويتابعه الدباغ الى معركة وقعت بين القوات العربية وقوات الكاهنة في نواحي قابس هربت الكاهنة بعدها فدمرت في طريقها قلعة مجانة الحصينة ولحقت بجبال اوراس وفي اثرها القوات العربية[١٣٢] ، وبعبارة اخرى ان القوات العربية دخلت معركتين كبيرتين مع قوات الكاهنة الاولى قرب قابس ، والثانية في الاوراس وهي المعركة الحاسمة[١٣٣] ، والظاهر ان الحقيقة تتفق مع ما تفرد به المالكي ، فالكاهنة التي لاحقت قوات حسان بعد واقعة وادي العذارى حتى اخرجته من حدود قابس ، لم تكتف بتدمير المناطق واتلاف ما يمكن اتلافه على طول الطرق السالكة بل دفعت بقواتها لاعتراض حسان ومنعه من تجاوز الحد الذي يعد خرقه بداية تهديد مباشر لامنها وكيانها ولكن ليس بالضرورة ان تكون القوات التي اصطدمت مع حسان في منطقة قابس هي كامل قوات الكاهنة مما كانت تحت امرتها مباشرة ، وربما كانت تلك القوات من بين الفرق المهيأة لغرض الاعتراض ولاتعاب القوات المتقدمة ، واشغالها في معركة او عدة معارك ان عجزت عن صدها مما هو هدفها الاساس ، والواضح ايضا

---

(١٢٩) السراج ، ج١ق٢ : ٥٣٦ ، سعد زغلول : ٢٢٤/١ .

(١٣٠) الرقيق القيرواني : ٦٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٧١/٤ ، النويري ، ٣٧/٢٤ .

(١٣١) التجاني ، الرحلة ، ١٦٠ و ١٦١ ، السراج ، الحلل ، ج١ق٢ : ٥٣٧ ، وينظر مجهول ، كتاب الاستبصار : ١٥٥ وما بعدها .

(١٣٢) رياض النفوس ، ٥٤/١ ، معالم الايمان : ٦٥/١ .

(١٣٣) سعد زغلول : ٢٢٥/١ و٢٢٦ .

ان حسانا قد اكتشف ابعاد هذه الحركة ، فلم يجد مزية في ملاحقة المنهزمين ، ولم يعجل في الزحف فآثر دخول مدينة قفصة وقسطيلية ونفزاوة ، ومن ثـم انطلق نحو مكمن الكاهنة وهو ما تبدأ به روايات الاخرين .

والمكان الذي عسكرت فيه الكاهنة غير محقق ، ولكنه على اية حال لـم يكن ليبعد كثيرا عن الجبل الذي يعد الملجأ الامين لقواتها في حالة الارتداد(١٣٤) وقبل المعركة ، اطلقت الكاهنة سراح خالد بن يزيـد ، ووجهت معه ولديهـا ليأخذ لهما الامان من حسان ، وتذهب الروايات في تعليل ذلك الى ان الكاهنة كانت تتنبأ بقرب نهايتها على يد حسان ، وانها مقتولة لا محالة ، فآثرت سلامة ولديها(١٣٥) ، والاخذ بمثل هذا السياق يقود الى التسليم بما كان للكاهنة من قدرات خارقة في الاطلاع على غيب الامور وهو ما يردده بالفعل معظم مـن تعرض لوصف شخصيتها(١٣٦) ، ولكن هل من الحكمة ان تطلق الكاهنة خالـد بن يزيد في مثل هذا الظرف الحساس مع معرفتها بما يملكه الرجل مـن قدرات ، فضلا عما يعرفه من خططها العسكرية والامنية ، مما يجعل اطـلاق سراحه مصدر خطير كبير عليها ، فهي ان زهدت عن استخدامه لصالحهـا ، فليس من المعقول ان تجعله عونا عليها ، ولا يستساغ من الكاهنة ـ التـي اسقطت من حساباتها كل وفاق او صلح مع حسان ، واختارت طريق القتـال حتى الموت ، وعدت غيره من البدائل هزيمة وعارا ، توصم به وقومها الـى

---

(١٣٤) ينظر ابن خلدون : ٩/٧ . سعد زغلول : ٢٢٥/١ .

(١٣٥) ابن عبدالحكم : ٣٧١ ، الرقيق القيرواني : ٦٢ ، المالكي : ٥٤/١ ، ابن الاثير : ٣٧١/٤ ، الدباغ : ٦٥/١ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، المصري ، محمد بن علي ، صلة السمط وسمط المرط ، ورقة ٣٦ ، مصور الجامعة الاردنية رقم ٢ـ٦ وينظر Gautier, P 262

(١٣٦) ينظر ، ابن عبدالحكم : ٢٧٠ و٢٧١ ، الرقيق القيروانـي : ٦٠ـ٦٣ ، الدباغ : ٦٣/١ـ٦٥ .

اخر الدهر[١٣٧] طلب الامان لولديها والرضى للاخرين من قومها بمصير يهوي بهم من شاهق ، ويقودهم الى كارثة محققة ؟

ولسعد زغلول في تحليل هذه المسألة احتمالان ، الأول : ورآه الاقرب الى المعقول « ان يكون ابناء الكاهنة قد طلبوا الامان بعد القضاء على والدتهم .. » والثاني : « ان يكونوا قد خرجوا عليها كما خرج غيرهم ممن لم يرضوا عن سياستها[١٣٨] » وعلى الرغم من كون الاحتمال الثاني لا يمثل الا جانبا من الحقيقة بيد انه مقبول يكمله ما اشار اليه ابن العطار من تمكن خالد بن يزيد من كسب ود ولدي الكاهنة وثقتهما واقناعهما بدخول الاسلام حتى اسلما على يديه[١٣٩] ، وطبيعي ان يظل اسلامهما سرا خوفا من غضب والدتهما ، وعندما يئس الثلاثة بعد حوار طويل معها من اقناعها بنبذ دعوة الحرب والتصدي للقوات العربية[١٤٠] ، قرروا اللحاق بمعسكر القوات العربية ، فخرجوا مغاضبين لها قبل المعركة الحاسمة فوصلوا اليه بسلام ، فأكرم حسان وفادة ولدي الكاهنة واوكل من يقوم على حمايتهما[١٤١] .

تولى خالد بن يزيد قيادة فرق الفرسان[١٤٢] ، وتقدمت القوات حيث تعسكر الكاهنة ، فوقع بين الطرفين قتال شديد ، لم تصمد له قوات الكاهنة طويلا بعد اقتحام الاوراس ، وكان قد استلحم فيه زهاء مائة الف من اتباعها

---

(١٣٧) الرقيق القيرواني : ٦٢ ، المالكي : ٥٤/١ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، السراج ج١ق٢ : ٥٣٦ .

(١٣٨) تاريخ المغرب العربي : ٢٢٥/١ .

(١٣٩) تاريخ بلد قسطنطينة . ورقة : ٢٥٨ .

(١٤٠) ينظر ، الرقيق القيرواني : ٦٢ و٦٣ ، ابن عذاري : ٣٧/١ و٣٨ .

(١٤١) الرقيق القيرواني : ٦٣ ، ابن الاثير ، ٣٧٢/٤ ، المالكي : ٥٥/١ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، النويري : ٣٧/٢٤ ، السراج : ج١/ق٢ : ٥٣٦ ، وينظر : Gautier, P : 262

(١٤٢) الرقيق القيرواني : ٦٣ ، المالكي : ٥٥/١ ، الدباغ : ٦٦/١ ، ابن عذاري ٣٧/١ ، النويري : ٣٧/٢٤ .

وانصارها[١٤٣] ، ففلت تعبئتهم وتفرق جمعهم وتمكنت احدى الفرق من ادراك الكاهنة وقتلها عند بئر عرفت بأسمها من بعد[١٤٤] .

وأمّن حسان من استسلم ودخل في الطاعة فاعتنقوا الاسلام ، واختار من بين قبائلهم اثني عشر الف مقاتل للجهاد مع القوات العربية ضد البيزنطيين ومن كفر من قبائل المغرب ، وعقد لوائين لولدي الكاهنة وجعل كل واحد منهما على ستة الاف مقاتل[١٤٥] ، واقر الاكبر منهما عاملا على الاوراس[١٤٦].

كانت واقعة الاوراس اخر الوقائع الكبيرة التي دخلتها القوات العربية وانتهت بالقضاء على اقوى تجمع مسلح شهدته المنطقة ، ووهبت تتائجها حسانا المفاتيح الرئيسة التي نقلت البلاد بعد ذلك من حال الى حال .

٥ ـ استعادة مدينة قرطاجنة

أفاد البيزنطيون من تتائج واقعة وادي العذارى ، فأستغلوا فرصة غياب القوات العربية ، وجهزوا حملة بحرية كبيرة قادها البطريق يوحنا[١٤٧] ،

---

(١٤٣) ابن خلدون : ٩/٧ ، الناصري : ٩٤/١ .

(١٤٤) ابن عبدالحكم : ٢٧١ ، الرقيق القيرواني : ٦٣ و٦٤ ، ابن الاثير : ٣٧٢/٤ المالكي : ٥٤/١ ، الدباغ : ٦٧/١ ، السراج ج١ق٢ : ٥٣٧ ، وفي رواية اخرى للمالكي والدباغ والسراج « ويقال انها قتلت عند طبرقة » .

(١٤٥) الرقيق القيرواني ، ٦٤ ، ابن الاثير : ٣٧٢/٤ ، المالكي : ٥٥/١ ، الدباغ: ٦٧/١ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، النويري : ٣٧/٢٤ ، ابن خلدون : ١٠٩/٦

(١٤٦) ابن عبدالحكم : ٢٧١ ، المالكي : ٥٦/١ ، ابن خلدون : ١٠٩/٦ ، الناصري : ٩٤/١ ، وفي كتاب صلة السمط وسمط المرط ، لابي عبدالله محمد بن علي المقريء ورقة ٣٦ « ولى حسان اكبر اولاد الكاهنة على جماعة من البربر للقتال معه » وينظر الدباغ : ٦٧/١ والنص فيه غير محقق .

(١٤٧) مؤنس : فتح العرب : ٢٦٠ ، سعد زغلول : ٢٢٧/١ .

اغارت على مدينة قرطاجنة وابادت حاميتها(١٤٨) وعادت احتلالها مرة اخرى في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م كما تقول التواريخ البيزنطية(١٤٩) .

وتطلب الامر من حسان بعد الفراغ من مقاومة الكاهنة العمل على استعادة المدينة وطرد القوات البيزنطية منها ، والروايات لا تقدم الكثير عن حملة استعادة المدينة ، لكونها جمعت خطأ بين حملة تحرير المدينة اول مرة في سنة ٧٤هـ وحملة استعادتها من يد البيزنطيين بعد القضاء على الكاهنة فضلا عن الخلط بينهما بلا تمييز(١٥٠) ، ما عدا رواية المالكي – ومعه الدباغ – التي اشارت الى الحملتين ولكنها رواية لا تخلو على اية حال من تكرار واضطراب ، وعدم دقة في ترتيب النصوص ، ناهيك عن توقيت الحملة بسنة ٨٤هـ(١٥١) ، واذا لم يكن هنالك من سبب يدعو حسانا للعودة الى مدينة القيروان بعد القضاء على الكاهنة فانه نزل واراح في الاوراس(١٥٢).

ومنه انطلق لاستعادة المدينة ، فدخل قتالاً شديدا مع القوات البيزنطية التي ولت مدبرة من حيث اتت سنة ٧٩هـ/٦٩٨م(١٥٣) . وصدرت الاوامر الى القبائل الموالية بهدم تحصينات المدينة ، وقطع مصادر المياه عنها ليمنع ذلك البيزنطيين من التفكير بالعودة اليها والاعتصام بها(١٥٤) .

---

(١٤٨) البكري : ٣٧ ، ٣٨ ، التجاني ، الرحلة : ٦ ، ابن ابي دينار : ١٥ ، وينظر مؤنس ، فتح العرب : ٢٥٤ .

(١٤٩) ينظر مؤنس ، فتح العرب : ٢٥٤ .

(١٥٠) ينظر ، ابن عبدالحكم : ٢٧٠ ، ابن الاثير : ٣٦٩/٤ ، ابن عذاري : ٣٤/١ و٣٥ ، النويري : ٣٥/٢٤ ، ابن خلدون : ١٠٩/٦ ، السراج : ج١ق٢ : ٥٥٧ ، الناصري ٩٢/١ .

(١٥١) رياض النفوس : ٥٦/١ و٥٧ . معالم الايمان : ٦٨/١ .

(١٥٢) الرقيق القيرواني : ٦٣ و٦٤ ، المالكي : ٥٥/١ ، الدباغ : ٦٧/١ .

(١٥٣) مؤنس ، فتح العرب : ٢٦٠ « رواية المؤرخين البيزنطيين تيوفانيس ونقفور » لكنه رجع سنة ٨٢ او بداية ٨٣هـ .

(١٥٤) ينظر المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٩/١ ، ابن عذاري : ٣٥/١ ، السراج : ج١ق٢ : ٥٥٧ ، ابن ابي دينار : ١٦ .

شغل حسان بعد استعادة مدينة قرطاجنة باخضاع بؤر المقاومة في المنطقة ، فعسكر في قرية طنبذة ومنها بعث حملة(١٥٥) تمكنت من اخضاع قلعة زغوان واستنزلت اهلها على الطاعة(١٥٦) .

ولم يكن النشاط العسكري ليقف عند هذا الحد ، فلم يك ثمة ما يحول من التوغل غربا بعد ان استقامت لحسان امور البلاد وتعززت بمشاركة المحررين في حروب التحرير ، وباعداد وافرة .

قال الزياني : خرج نائب حسان ادريس بن صالح الحميري على حملة عسكرية طرقت تلمسان ، ثم تابع بعدها مع ساحل البحر الريفي فاعترضته طوائف من قبائل اهل الريف ، وغمارة ، فاسلموا على يده وانزلوه بينهم ، وقاموا بأمره اتم قيام ، وهو الذي اختط مدينة نكور سنة ٨٠هـ/٧٠٠م وبعد وفاة الخليفة عبدالملك ، عقد له الخليفة الوليد على تلك البلاد التي ورثتها ابناءه من بعده ؛ والذي عند البكري وغيره ان الداخل الى اقليم الريف هو : صالح بن منصور الحميري المعروف بالعبد الصالح(١٥٧) ، وكان نزوله بمرسى تمسامان على مسافة عشرين ميلا من موقع مدينة نكور ، وعلى يده اسلم سكان المنطقة من صنهاجة وغمارة وغيرهما ، وقد ظل مجاهدا وداعيا الى الاسلام حتى وفاته ودفنه بقرية يقال لها اقطى .

وورثه اولاده المعتصم ثم ادريس ؛ وبوفاة ادريس تولى الرئاسة بعده ابنه سعيد وهو الذي اختط مدينة نكور سنة ١٢٣هـ(١٥٨) ورواية البكري

(١٥٥) في الرياض : ٥٧/١ ، ومعالم الايمان : ٦٧/١ و٦٨ ، والحلل السندسية: ج١ق٢ : ٥٣٧ . « فوجه ابو صالح مولاه » .

(١٥٦) المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٧/١ و٦٨ : السراج ، ج١ت٢ : ٥٣٧ .

(١٥٧) في الاستبصار : ١٣٦ ، ان المسمى بالعبد الصالح هو : سعيد بن ادريس بن صالح الحميري .

(١٥٨) البكري : ٩١ ، ابن عذاري ، البيان : ١٧٦/١ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، القسم الثالث : ١٧٢ ، تحقيق احمد العبادي ، ومحمد الكتاني ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ . ابن خلدون : ٢١٣/٦ .

اكثر دقة ، ولكن لرواية الزياني ، اهمية كبيرة ، فقد ربطت بين الاخبار ، وسدت فراغا اغفله المؤرخون ، ومن خلالها نستشرف المدى الذي بلغته قوات التحرير على عهد حسان بن النعمان ، وجوازها بقلعة سجوما وغيرها .

ففي معرض الكلام على مهاجمة القلعة في ولاية موسى بن نصير يشير الرقيق القيرواني الى خلاف وقع بين موسى وبين اولاد عقبة بن نافع الفهري ، وسليمان بن ابي المهاجر دينار ، حينما عزموا على مهاجمة القلعة والنيل من سكانها لانها كانت تضم بين ظهرانيها قتلة عقبة وابي المهاجر من اتباع كسيلة ، وكره موسى ذلك قائلا : « هؤلاء قوم في الطاعة »(١٥٩) وان صحت هذه الرواية ، يكن امان اهل سجوما ونزولهم على الولاء والطاعة ، قد تم في ولاية حسان على يد صالح بن منصور .

وقول ابن عساكر والذهبي عن فتح حسان مدينة فاس(١٦٠) دليل آخر والاشارة هنا الى الاقليم الذي قامت فيه المدينة ، لان فاسا لم تكن قد وجدت اصلا فقد جاء تأسيسها في عهد الادارسة(١٦١) في مكان لا يبعد كثيرا عن سجوما(١٦٢) ، وانعكس هذا التوغل ايجابيا على انتشار الاسلام ، ورسوخ تعاليمه في مناطق اخرى ابعد من ذلك ، فقد قال عبيدالله بن صالح « ان منبر أغمات هيلانة استعمل سنة ٨٥هـ من الهجرة ، اظفة كتب عليه »(١٦٣) .

---

(١٥٩) تاريخ افريقية والمغرب : ٧٧ ، وقارن ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٦٧/٢ ط٣ ، مصر : ١٩٦٣ ، ابن عذاري : ٤١/١ « رواية ابن قتيبة » مجهول : الاستبصار : ١٩٤ .

(١٦٠) تهذيب تاريخ دمشق : ١٤٩/٤ ، تاريخ الاسلام : ١٥١/٣ .

(١٦١) عن روايات تأسيس المدينة ، ينظر سالم : ٤٨٧/٢ وما بعدها .

(١٦٢) مجهول ، الاستبصار : ١٩٤ ، الحميري : ٣٢٨ .

(١٦٣) نص جديد عن فتح المغرب : ٢٢٣ ، وينظر ، سعد زغلول : ٢٣١/١ ، وينسب ابن عذاري : ٤٣/١ هذا العمل الى موسى بن نصير .

واما قائد هذه الحملة ، صالح بن منصور الحميري ، فلم يكن بالرجل المغمور ولا المجهول قبل هذا التاريخ ، فهو من عرب اليمن[١٦٤] ، كان قائدا من قواد حسان رافقه منذ بداية ولايته ، وشاركه في جميع المعارك التي دخلها، وناب عنه في القيروان عند انسحاب القوات امام الكاهنة إثر واقعة وادي العذارى[١٦٥] ، وطارد الكاهنة بعد دحرها في الاوراس فقتلها[١٦٦] وتولى قيادة حملة قلعة زغوان بعد تحرير مدينة قرطاجنة[١٦٧] وناب على الولاية عند عودة حسان الى المشرق حتى وصول موسى بن نصير[١٦٨] ، ولكن المؤرخين الذين نسبوا اليه هذه الاعمال لم يعرفوه حق التعريف ، فوهموا في اسمه وجردوه من نسبه فهو « ابو صالح » فقط عند ابن عبدالحكم وقال المالكي ، والدباغ ، والسراج ، انه « ابو صالح » مولى حسان ، وهو « صالح » عند ابن الاثير وابن خلدون ، وحرف اسمه في تهذيب تاريخ ابن عساكر : الى « عبيد بن ابي هتان الحميري » .

واذا كان موسى بن نصير قد استغنى عن خدمات صالح بن منصور[١٦٩] هذا فقد خوله الخليفة الوليد سنة ٩١هـ حكم المناطق التي حررها في حملته الاخيرة وورثه ابناؤه من بعده فكانت لهم امارة نكور[١٧٠] .

---

(١٦٤) ابن خلدون : ٢١٢/٦ .

(١٦٥) ابن عبدالحكم : ٢٧٠ .

(١٦٦) ابن عساكر ، تهذيب : ١٤٩/٤ .

(١٦٧) المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٧/١ و٦٨ ، السراج ، ج١ق٢ : ٥٣٧ .

(١٦٨) ابن الاثير ، الكامل : ٥٣٩/٤ ، ابن خلدون : ١٨٧/٤ .

(١٦٩) ابن عبدالحكم : ٢٧٤ ، ابن الاثير : ٥٣٩/٤ .

(١٧٠) ينظر ، البكري : ٩١ ، ابن عذاري : ١٧٦/١ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ق٣ : ١٧٢ ، مجهول : الاستبصار : ١٣٦ ، ابن خلدون : ٢١٢/٦

ب ـ الاعمال التنظيمية والعمرانية :

امتدت اعمال حسان لتشمل ميادين حياتية اخرى ، مترجما بذلك نتائج حروب التحرير الى واقع ملموس ، ارسى به دعائم المكتسبات المحققة من خلال :

١ ـ تنظيم العلاقة مع السكان (بناء الاداة)

ايقن حسان منذ البداية ان المبادىء الاسلامية ، والنظم العربية لا يمكن ان تسود وتأخذ مداها بمعزل عن مشاركة سكان المغرب في تحمل اعباء المسؤولية ، فاذا كانوا الغاية ، فلابد من ان يكونوا الاداة الفاعلة الواعية لعملية التغيير ، لذلك انصبت جهوده في بناء الاداة المطلوبة على تعميم الحقائق والمرتكزات الاتية وترسيخها :

- العمل على تأكيد حقيقة وحدة الامة في المشرق والمغرب ، والتركيز على وحدة الهدف والمصير مستنهضا في قبائل زناتة وغيرهم بعد القضاء على الكاهنة قوميتهم العربية ، ودخل معهم في حوار يقوم على نبذ الخلاف والعمل باتجاه الاهداف المشتركة للامة(١٧١) ، ولم يقبل امانهم لينكفؤا انعزالا عن مواكبة الاحداث ، وانما اشترط عليهم دخولهم في الاسلام وانخراطهم في صفوف القوات العسكرية يجاهدون الروم ومن كفر من القبائل ، وقد كان المحررون عند حسن ظنه فانتظم اثنا عشر الف مقاتل منهم في صفوف القوات العسكرية فرقتين ، جعل على كل فرقة منهما ولدا من اولاد الكاهنة ،(١٧٢) وبذلك وضعهم في مكانتهم الطبيعية ، وارتفع بهم فوق مستوى الاخرين من روم وافارقة ، وغيرهم ممن

---

(١٧١) افضى الحوار الى تدوين وثيقة تفرد ابن ابي زرع بذكرها . الذخيرة : ١٧ . ط ، الرباط ، ١٩٧٢ .

(١٧٢) ينظر ، الهامش ذا الرقم : (١٤٥) .

الاقليات الطارئة على البلاد ، وبذلك يكون حسان اول من ادخل اهل المغرب بشكل جدي منظم في الجيش[١٧٣] .

ـ اعتد حسان ارض المغرب ارض صلح لاعنوة ،[١٧٤] فجعل لكل قبيلة من القبائل التي دخلت في الاسلام خطة من هذه الارض[١٧٥] تكون تحت رعايتها وتسأل عنها وتؤدي عليها ما فرضه الشرع[١٧٦] ، وبهذا الاجراء حقق حسان هدفين مهمين :

أولهما : استقرار القبائل في مناطق معلومة للسلطة المركزية ومرتبطة بها .

وثانيهما : تنمية الاقتصاد عن طريق استغلال هذه الاراضي الاستغلال الامثل مما يزيد في دخل الفرد ويوفر لخزينة الولاية موارد مالية جديدة مستثنيا من ذلك ما وجد تحت ايدي الروم والافارقة وغيرهما ممن ظل على دياناته فقد عدت اراضيهم اراضي عنوة لا صلح ، للسلطة الحق في التصرف بها على وفق لما يناسبها ولهذا طولب اهلها بدفع الجزية والخراج[١٧٧] .

---

(١٧٣) سعد زغلول : ٢٣٠/١ .

(١٧٤) الداوودي ، الاموال ، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب ، نشر ضمن كتاب :

Eiudes D''orieentalisme dediees AL La memoire De Leviprovoveneal, tomme 11 , Paris mcmlx II (1962) .

الصفحات : ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، الناصري : ٩٠/١ ، مؤنس فتح العرب : ٢٨ ، والتنظيم الاداري والمالي لافريقية والمغرب خلال عصر الولاة : ٩٤ وما بعدها بحث منشور في مجلة كلية الاداب ـ جامعة الكويت العدد الاول ، سنة ١٩٧٢ .

(١٧٥) المالكي : ٥٦/١ ، الدباغ : ٦٧/١ .

(١٧٦) مؤنس ، فتح العرب : ٢٢٨ .

(١٧٧) ابن عبدالحكم : ٢٧١ ، الرقيق القيرواني : ٦٤ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، ابن خلدون : ١١٠/٦ ، السراج : ج١ق٢ : ٥٣٧ ، الناصري : ٩٤/١ وينظر : مؤنس ، فتح : ٢٨٧ و٢٨٨ ، سعد زغلول : ٢٢٩/١ .

ـ رتب حسان للمقاتلين من اهل المغرب عطاء ثابتا يصرف لهم من بيت مال الولاية ، فضلا عما يصرف لهم من حقهم المشروع في الفيء والغنيمة[١٧٨] فكانوا في ذلك على حد سواء مع اقرانهم من الجند .

ـ مما يؤثر عن حسان انه كلف ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين في انحاء مختلفة لتعليم السكان القرآن الكريم وشرائع الدين[١٧٩] .

وقد اسفرت تشريعات حسان هذه عن ولادة اداة استجابت لدواعي التحرير ، وانسجمت مع اهدافه لان هذه التشريعات استطاعت ان تنقل الامة في المغرب بالتدريج من حالة التناقض مع قيمها ، والابتعاد عن جوهرها ، الى حالة الانسجام مع هذه القيم ، والالتحام مع هذا الجوهر والارتباط العضوي به .

٢ ـ استحداث الدواوين :

باشر حسان باستحداث الدواوين بعد عودته الى مدينة القيروان[١٨٠] سنة ٨٢هـ/٧٠٢م[١٨١] بناء على حاجة ماسة اقتضتها التطورات السريعة التي باتت تشهدها الاراضي المحررة .

والدواوين التي اوجدها حسان غير مسماة ، ولكن تظل دواوين الرسائل والجند والخراج وهي من الدواوين التي ظهرت بظهور الدولة العربية وواكبت مسيرتها في مقدمة الدواوين المستحدثة ، لارتباطها بمصالح الولاية المباشرة ولاهميتها الكبيرة في توثيق ما يرد الى الولاية ، وما يصدر عنها في امور شتى ، واذا كنا نجهل اسماء الذين تولوا العمل في هذه الدواوين ، فقد عرفنا

(١٧٨) المالكي : ٥٦/١ ، الدباغ : ٦٧/١ ، وينظر ، مؤنس . فتح : ٢٧٦ .
(١٧٩) عبيدالله بن صالح : ٢٢٢ .
(١٨٠) ابن عبدالحكم : ٢٧١ ، الرقيق القيرواني : ٦٤ ، المالكي : ٥٦/١ ، الدباغ : ٦٧/١ ، ابن عذاري : ٣٨/١ ، ابن خلدون : ١١٠/٦ .
(١٨١) ابن عذاري : ٣٨/١ .

ان حسانا قد ولى حنش الصنعاني على جمع صدقات الناس(١٨٢) وليس بمستبعد ان يكون قد كلفه بمسؤولية الخراج ايضا .

٣ ـ ضرب النقود

وتمشيا مع سياسة الدولة المركزية في ضرب النقود وتعريبها ، فقد احتفظ حسان بدار السكة التي كانت موجودة في مدينة قرطاجنة(١٨٣) وامر بضرب الدنانير والدراهم والفلوس ، وادخل تعديلات على رسم الطراز البيزنطي من النقود ، فنقشت على الوجه صورة الخليفة عبدالملك وولي عهده بدلا من صورة القيصر وولي عهده ، ودونت البسملة وكلمات التوحيد ، وعلى الظهر ، الصولجان بدل الصليب البيزنطي مع عبارات باللاتينية بنصي : الله واحد لا شريك له ولا مثيل له ، فضلا عن تاريخ الضرب ومكانه(١٨٤) ، وقد كشف الدارسون عن دنانير وفلوس عربية لاتينية ضربت في عهد حسان بين سنتي ٨٠هـ ـ ٨٥هـ بعضها يحمل اسمه كما وجدت فلوس عربية لاتينية تحمل اسم موسى بن نصير ارخ ضربها بين سنتي ٨٠هـ ـ ٨٥هـ ايضا(١٨٥) .

٤ ـ الاعمال العمرانية :

١ ـ بناء مدينة تونس

ما ان فرغ حسان من تحرير مدينة قرطاجنة للمرة الثانية ، وتطهير المناطق الساحلية ، حتى شرع في سنة ٨٠هـ/٧٠٠م(١٨٦) بتأسيس مدينة ساحلية حملت

---

(١٨٢) المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٩/١ .

(١٨٣) حسن حسني عبدالوهاب ، ورقات ، ق١ ص٤٠ ، تونس ، ١٩٦٥ . سعد زغلول : ٢٢٩/١ .

(١٨٤) سعد زغلول : ٢٣٠/١ ، البرغوثي ، تاريخ ليبيا الاسلامي : ٨١ ، ٨٢ .

(١٨٥) الحسيني ، تطور النقود العربية الاسلامية : ٥٥ .

(١٨٦) ابن الشماع ، الادلة البينية النورانية : ٣٦ ، تحقيق الطاهر المعموري ، تونس ، ١٩٨٤ . الحميري : ١٤٣ ، السراج ج١ق٣ : ٥٦٠ ، ابن ابي دينار : ١٩ وينظر ، دائرة المعارف الاسلامية ، « مادة تونس » ٥٤٣/٦ . وقال المالكي والدباغ سنة ٨٤هـ .

اسم تونس[١٨٧] ، لتحل محل مدينة قرطاجنة ، استوعبت منذ بدايتها العوامل العسكرية والامنية وقد خطط لها ان تكون :

- دارا لصناعة السفن .
- قوة وعدة للمسلمين من مقاتلة البر والبحر .
- منطلقا للقوات البحرية باتجاه سواحل البيزنطيين ، لاشغالهم عن تهديد سواحل المغرب[١٨٨] .

وقد قامت المدينة الجديدة في مكان لا يبعد كثيرا عن مدينة قرطاجنة ، في موضع قرية قديمة كانت تسمى ترشيش ، ويطلق على مرساها ، مرسى رادس او ادس[١٨٩] ، ويطل هذا الموضع على سبخة فسيحة منفصلة عن البحر بخليج صغير ، متفردا بمزيتين اساسيتين :

اولاهما : وقوعه على شاطىء السبخة الى الداخل قليلا مما يطمئن فيه السكان الذين لم يعتادوا سكنى المدن الساحلية .

والاخرى : ان هذا الموقع يجعلها في مأمن من اية غارة مفاجئة ، لان حراسة مدخل السبخة تكفي للتنبيه عن الخطر قبل وقوعه .[١٩٠]

وقد حتمت طبيعة العمل في المدينة باستعانة حسان بمن يجيدون بناء السفن ، وقام بمخاطبة الخليفة عبدالملك بن مروان[١٩١] لاسعاف طلبه ، فامر الخليفة اخاه عبدالعزيز والي مصر بتوجيه الف قبطي بعوائلهم من مصر وصلوا ترشيش وهي تونس وحسان مقيم فيها[١٩٢] ، فبدأوا عملهم ببناء السفن ، بعد

---

(١٨٧) عن اصل التسمية ينظر : الاستبصار : ٢١ ، المراكشي ، المعجب : ٥١ تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٤٩ . ابن ابي دينار : ١٠ مؤنس ، فتح : ٢٦٢ ، سعد زغلول : ١/٢٣٣ .

(١٨٨) البكري ، المغرب : ٣٨ .

(١٨٩) البكري : ٣٧ ، مجهول : الاستبصار : ١٢٠ ، السراج ، ج١ق٣ : ٥٥٩ و٥٦٠ .

(١٩٠) مؤنس : فتح العرب : ٢٦١ .

(١٩١) ولدى الرقيق القيرواني : ٦٥ و٦٦ « خاطب الخليفة الوليد » .

(١٩٢) البكري : ٣٨ ، الرقيق القيرواني : ٦٦ ، التجاني : ٦ ، ابن ابي دينار : ١٥ ، السراج ، ج١ق٣ : ٥٦٤ .

ان حشد معهم عددا كبيرا من السكان المحليين كلفهم بقطع الاخشاب وتوفيرها لدار الصناعة .(١٩٣)

ولكون مدينة تونس غير مفتوحة على البحر مثل مدينة قرطاجنة التي « تقع على لسان يكون شبه جزيرة محصورة بين السبخة (سبخة الريانة) شمالا والبحيرة (بحيرة تونس) جنوبا في حين تقع تونس الى الداخل غرب البحيرة التي تتصل بالبحر من جهة الشرق حيث يقع مرسى رادس »(١٩٤) ولضحالة البحيرة عمد حسان الى حفر قناة في وسطها لتمكين السفن من السير فيها لتأمين الاتصال بين دارالصناعة ومرسى رادس(١٩٥) فاصبحت دار الصناعة متصلة بالميناء ، وصار الميناء متصلا بالبحيرة ، والبحيرة متصلة بالبحر ،(١٩٦) وقد أمنت البحيرة للمدينة حماية من امواج البحر ، واصبحت ملجأ للسفن عند الضرورة .(١٩٧)

وكان حسان قد انشأ على ربوة مرتفعة في المدينة مسجدا جامعا ، كان بناؤه في البداية بسيطا(١٩٨) ، وينسب الى حسان ايضا بناؤه دار للامارة(١٩٩)، وان كنا نعتقد ان مقر عمال المدينة كان اول الامر في دار الصناعة وليس في اي مكان آخر .

وبهذا استطاع حسان حتى سنة ٨٢هـ/٧٠٢م بناء اهم المرافق الاساسية في المدينة ، ومن ثم غادر الى مدينة القيروان(٢٠٠) .

---

(١٩٣) البكري ، ٣٨ ، الرقيق القيرواني : ٦٦ .
(١٩٤) سعد زغلول : ٢٣٣/١ .
(١٩٥) البكري : ٣٩ ، المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٨/١ ، التجاني : ٦و٧ .
(١٩٦) البكري :٣٩ .
(١٩٧) السراج ، ج١ق٣ : ٥٦٦ ، وينظر ، مؤنس : ٢٦١ و٢٦٢ .
(١٩٨) البكري : ٤٠ ، المالكي : ٥٧/١ ، الدباغ : ٦٩/١ .
(١٩٩) سالم : المغرب الكبير : ٢٤٩/٢ .
(٢٠٠) ابن عذاري : ٣٨/١ .

وقد نالت تلك المرافق ـ دار الصناعة والمسجد خاصة ـ عناية كبيرة من قبل موسى بن نصير لتنتهي الى غايتها من الكمال في عهد عبيد الله بن الحبحاب ، بيد ان جهود موسى وعبيدالله المبذولة في تطوير عمائر المدينة ومرافقها كانت مبعث اختلاف بين المؤرخين ومنهم من نسب اليهما ما كان قد بدأه حسان او انتهى منه فعلا .(٢٠١)

وعلى اية حال فقد اصبحت مدينة تونس ثاني مدينة بعد القيروان تقوم على الاسلام ، عدت ميناءً ، ومحرسا للساحل ، مثلما كانت القيروان قاعدة للقوات البرية ، ومحرسا لبلاد الداخل(٢٠٢) واصبحت في مدة قصيرة مكمنا لقوات الردع العربية ، تنطلق منها باتجاه جزيرة صقلية وسردينية وكورسيكا والجزائر الشرقية ، حتى سادت بذراعها القوي غرب البحر المتوسط وهيمنت عليه ، وعطلت تماما فاعلية القوات البيزنطية في المنطقة ووضعتها في موضع المدافع العاجز عن اي فعل .

وفضلا عن ذلك فقد تكفلت المدينة بوصفها احد اهم المراكز الحضارية في البلاد بقسط وافر من عملية النهوض الذي شهدته البلاد في المجالات كافة .

٢ ـ اعمار مدينة القيروان

ظلت مدينة القيروان معسكرا وقاعدة للجيوش العربية بعمائرها كما بناها عقبة بن نافع ، ولم تكن الظروف مسعفة لخلفه لتجديدها وتوسيعها حتى سنحت الفرصة لحسان باعمارها والنظر في مرافقها المهمة ، لانها قاعدة « عاصمة » للولاية ومركز للاشعاع الديني والفكري في البلاد واولى مسجدها الجامع عناية خاصة فأمر سنة ٨٤هـ/٧٠٣م(٢٠٣) بهدمه فيما عدا المحراب ؛

---

(٢٠١) ينظر : الرقيق القيرواني : ١٠٧ ، ابن عذاري : ٥١/١ ، ابن الشماع ٣٦ ، النويري : ٢٤ /٥٧ ، ابن ابي دينار : ٤١ ، السراج : ج١ ق٣:٥٦٥

(٢٠٢) مؤنس ، فتح العرب : ٢٦٢ و٢٦٣ .

(٢٠٣) المالكي : ٥٦/١ ، الدباغ : ٦٧/١ .

معيدا بناءه من جديد ، وزينه بساريتين حمراوين موشاتين بصفرة جلبتا من موضع قريب من القيروان(٢٠٤) •

ولا يفوتنا التنويه بان لحسان انجازات اخرى في تطوير دار الامارة بالابنية التي تستوعب الواجبات الادارية التي تناط به ، فضلا عما كان لحسان من جهود سبقت الاشارة اليها كاستحداث الدواوين وضرب النقود •

بهذا يكون حسان بن النعمان قد اكمل الصفحتين العسكرية والادارية بجهود متواصلة لم تكل ولم تفتر • فقد تمكن بأقتدار عال من القضاء على نفوذ البيزنطيين وقوة الكاهنة وكسب انصارها الى جانبه فدخلوا في الاسلام ، واسهموا في حروب التحرير ، ونقل المغرب نقلة نوعية في مجالي الادارة والتنظيم • ولم تكن اهمية هذه النقلة في الترتيبات التي سبقت الاشارة اليها ، وانما في تمكين الدولة من احاطة ما تم تحريره • بحدود امتداد العروبة والاسلام ، بحيث لم نر بعد هذا التاريخ ردة تمكنت من الانقلاب على هذا الواقع ، وهكذا كانت اعمال حسان العديدة مبعث اعتباره المحرر الحقيقي لبلاد المغرب •(٢٠٥)

ج ـ عودة حسان الى الشام

اختلف المؤرخون في السنة التي عاد فيها حسان من ولاية المغرب الى الشام كأختلافهم في الاسباب التي دعته الى هذه العودة ، حتى كأن المؤرخين لم يحتملوا عودته الى مركز دار الخلافة بصورة طبيعية ، مما سيصبح ظاهرة واضحة بعد ولايته ، اذ لابد من اسباب وان كانت تتعارض مع الحقائق التاريخية الثابتة ، فالمشارقة منهم ، يقولون بعودة حسان الى الشام سنة ٧٨هـ ، حيث لقي الخليفة عبدالملك بن مروان فكافأه على جهوده وردّه الى ولاية المغرب ، وزاده برقة في رواية ، او طرابلس في رواية اخرى ، وهذه المكافأة سببت نزاعا ومنافسة بين عبدالعزيز بن مروان والي مصر وحسان ، فقد تمسك الاول بسيادته على الاقليم الذي اضافه الخليفة الى مناطق نفوذ

(٢٠٤) البكري : ٢٢ و٢٣ ، المالكي : ٥٦/١ ، الحميري : ٤٨٧ .
(٢٠٥) سعد زغلول : ٢٢٨/١ .

حسان ، ورفض امر الخليفة ، واصر حسان على انفاذ الامر فخلف ثقله في مصر وعاد الى الشام لعرض الامر على الخليفة عبدالملك فوجده مريضا ولم يأمر له بشيء ، وقيل ان الخليفة طلب منه ان يلزم بيته ، فسنحت لوالي مصر عبدالعزيز فرصة تولية موسى بن نصير بدلا عنه[٢٠٦] ، وزاد ابن عبدالحكم من دون الاخرين قصة استلاب والي مصر عبدالعزيز بن مروان للاموال والغنائم التي كان يحملها حسان معه الى الخليفة ، وسرد حوارا بين الرجلين جاء مملوءا بالاخطاء التاريخية[٢٠٧] .

واما الرواية المغربية ، فهي لا تذكر تاريخا محددا لعودة حسان الى الشام ، ولا تشير الى الخلاف الذي وقع بين الرجلين على برقة او سيرها وانما تجعل عزل والي مصر له دونما سبب يذكر قبل ان يستدعيه ويسلبه الاموال التي كان يحملها معه وفي ذلك يقول الرقيق القيرواني « ثم عزل عبدالعزيز بن مروان حسان بن النعمان ، وامره بالقدوم عليه ، وبعث اليه اربعين رجلا من اشراف اصحابه ، وامرهم ان يحفظوا جميع ما معه ، فعلم حسان ما يراد به فعمد الى الجواهر والذهب والفضة فجعله في قرب الماء وطرحه في العسكر واظهر ما وراء ذلك ، فلما قدم حسان بن النعمان على عبدالعزيز بن مروان اهدى اليه مائة جارية من خيار ما معه .. واخذ منه خيلا كثيرة ورحل حسان ... حتى قدم على الوليد بن عبدالملك فشكا اليه ما صنع به عبدالعزيز »[٢٠٨] وبهذه الرواية أخذ ابن عذاري والنويري .[٢٠٩] في حين لم نقف للمالكي والدباغ في ذلك ، فقد اكتفيا بذكر عودة حسان الى الشام في خلافة عبدالملك بن مروان محملا بالاموال والغنائم ولم يعقبا .[٢١٠]

---

(٢٠٦) ابن خياط ، التاريخ : ٢٧٦/١ ، ابن عبدالحكم : ٢٧٢ ، الكندي : ٥٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام : ١٥١/٣ ، ١٥٢ .

(٢٠٧) فتوح مصر والمغرب : ٢٧٢ و٢٧٤ .

(٢٠٨) تاريخ افريقية والمغرب : ٦٦ و٦٧ .

(٢٠٩) البيان المغرب : ٣٨/١ و٣٩ ، نهاية الارب : ٣٨/٢٤ .

(٢١٠) رياض النفوس : ٥٧/١ ، معالم الايمان : ٦٩/١ .

وقد اخذ مؤنس بالروايات التي جسمت النزاع الشخصي بين والي مصر عبدالعزيز بن مروان وحسان معتمدا رواية ابن عبدالحكم وغيره ، وربط بين اساءة والي مصر عبدالعزيز الى حسان باساءته الى زهير بن قيس من قبل فقال : « ثم اذى حسان ولم يزل به حتى اخرج افريقية من يده وجعلها من ولايته ، وقد اتضح بجلاء ان الرجل لم يكن يريدها ليصلح امرها او يتم اسلام اهلها ، وانما كان يريدها للغنائم والاسلاب . ولهذا لم يرض عن الفاتحين الامناء المخلصين من امثال زهير وحسان وسارع فاسند امرها الى رجل من اتباعه ومن هم على شاكلته وهو موسى بن نصير» . ويبدو انه اوصاه بالاهتمام بالاموال والغنائم ، فصرف موسى همه الى ذلك ، وكان عبدالعزيز يقوم في مصر بين الخليفة وافريقية ، فكان قميناً ان يقتدر على الكيد اذ هو اراده ، وكان اخا للخليفة يستطيع ان يأتي من الامر ما يبغي ، وكان حسان اذ ذاك رجلا مسنا وقورا لا قبل له بالكيد او التدبير . فآثر النجاة بنفسه وابى ان يعود .(٢١١) والحقيقة ان الاخذ بمثل هذه الروايات يصغّر من قدر رجال كانت لهم سابقة وفضل في بناء الدولة العربية الاسلامية ، ويلغي الشروط والمقاييس الدقيقة التي على اساسها يقر الولاة في اقاليم الدولة . فاذا كنا لا نسقط ما كان لعبدالعزيز بن مروان والي مصر من مكانة ونفوذ لكونه اخا للخليفة وولي عهده ، فلا يجوز ايضا التعلق بروايات حملت عوامل وهنها واضطرابها مما لا يخفى على احد من المتخصصين ، وجعلت عبدالعزيز بن مروان ساعيا ومتربصا بوالي المغرب حسان بن النعمان لعزله عن الولاية واحلال موسى بن نصير مكانه ، ولو اراد عبدالعزيز استغلال مثل ذلك لما فاته انسحاب حسان امام الكاهنة ونزوله قرب طرابلس مدة قاربت خمس سنوات انتظارا لامدادات دار الخلافة ، ولكن هذا بحد ذاته سببا قويا يجعل عبدالعزيز يقدم موسى بن نصير على ولاية المغرب ويعزل حسانا ، ولكنه لم يفعل .

---

(٢١١) فتح العرب للمغرب : ٢٦٥ .

والراجح لدينا ان مغادرة حسان ولاية المغرب كانت بعد وفاة الخليفة عبدالملك وتولي الوليد الخلافة في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وقد اكد ذلك عبيدالله بن صالح وابن الاثير وابن عذاري ،(٢١٣) وبهذا يكون لعودة حسان هذه الى الشام ما يسوغها ، وذلك لانه اكمل او كاد بناء مدينة تونس ودار صناعتها ، واتم جميع الاعمال التنظيمية في الولاية ، فغادر ليقدم تقريره الى الخليفة الجديد وليفسح له المجال لاختيار من يراه مناسبا لولاية المغرب بعد ان طلب اعفاءه من منصبه لكبر سنه ، حتى لقب بالشيخ الامين(١١٣) ، وعلى هذا تكون قصة عزل والي مصر عبدالعزيز بن مروان له موضوعة لكون عبدالعزيز قد توفي في سنة ٨٥هـ/٧٠٤م فتولى من بعده ولاية مصر عبدالله بن عبدالملك(٢١٤) وكان الخليفة عبدالملك قد توفي في شوال سنة ٨٦هـ ، وتولي من بعده الوليد الذي استقبل حسان بن النعمان ، وهذا هو ما تشير اليه معظم المصادر التاريخية من ان الخليفة الذي اعفى حسانا من منصبه بناءً على طلبه هو الوليد وليس غيره .(٢١٥)

هذا ما كان من سيرة حسان وفعله التاريخي والقيادي مما يمنحه مكانة مرموقة بين رجال الدولة العربية الاسلامية في اصقاع المغرب العربي .

---

(٢١٢) نص جديد عن فتح العرب للمغرب : ٢٢٣ الكامل : ٣٧٢/٤ ، البيان المغرب : ٤١/١ .

(٢١٣) الرقيق القيرواني : ٦٧ ، ابن عذاري : ٣٩/١ ، النويري : ٣٨/٢٤ ابن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان : ٨٢/١ .

(٢١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : ٤١٣/٦ ، ابن الاثير ، الكامل : ٣٧٢/٤ و٥١٣ . الذهبي ، دول الاسلام : ٦٠/١ ، ابن عذاري : ٤١/١ . ووفاته في تاريخ ابن خياط : ٢٩٠/١ « سنة ٨٤هـ » وعند الكندي : ٥٥ « سنة ٨٦هـ » .

(٢١٥) الرقيق القيرواني : ٦٧ ، ابن عذاري : ٣٩/١ ، النويري : ٣٨/٢٤ ، سعد زغلول : ٢٣٥/١-٢٣٧ ويجعل ابن الاثير : ٣٧٢/٤ ، عزله على يد عبدالله بن مروان والي مصر زمن الخليفة الوليد .

«اثر المقاطعة العربية في اضعاف الاقتصاد اليهودي في فلسطين ١٩٤١ ـ ١٩٤٧ من خلال وثائق البلاط الملكي العراقي»

الدكتور ياسين طه ظاهر العسكري
جامعة بغداد
كلية التربية ابن رشد ـ قسم التاريخ

الملخص

اعتمد البحث على وثائق القنصلية العراقية في القدس ، التي ركزت في جانب من اهتماماتها على المقاطعة العربية للاقتصاد الصهيوني ، والتي دخلت المقاطعة حيز التنفيذ في كانون الاول ١٩٤٦ .

وقد اعتبرت بريطانيا ذلك ليس أمرا اقتصاديا فحسب ، انما يمثل تحديا خطيرا لمخططاتها في اقامة الكيان الصهيوني ، لذلك عملت ومعها كل المنظمات اليهودية في العالم ، على اضعاف هذه المقاطعة التي أخذت طابعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا منظما .

وعندما شعرت أطراف المخطط المعادي للامة العربية ، بخطورة هذه المقاطعة ، وباتساع تأثيراتها ، سارعت الهيئات اليهودية وفي مختلف المدن الفلسطينية الى تشكيل مجالس لحماية الصناعات اليهودية ، كما قامت الدول الاوربية بفتح أسواقها أمامها رغم عدم الحاجة لهذه الصناعات .

وأخيرا دللت هذه المقاطعة على أنها اسلوب مهم في مواجهة هذاالكيان ، بعد قيامه كما هو الحال قبل ذلك .

تمهيـــد

عندما يطلع الباحث على خزائن الوثائق الخاصة بالقضية الفلسطينية في الاقطار العربية ، يتعرف على الكثير من الاسرار الخفية التي كانت غير معروفة ، للكشف عن المؤشرات التي تدل على قوة الامة في المواجهة ، سواء داخل فلسطين أو خارجها ولهذا وجدنا من الضروري تسليط الضوء على هذا الموضوع ، من خلال الوثائق والتقارير المرفوعة من القنصلية العراقية في القدس ، التي عاشت أحداث هذه المقاطعة وفي الكشف عن تأثيرها على الاقتصاد الصهيوني لذلك انه عند توفر الارادة العربية الحرة ، تستطيع الامة تأكيد حضورها ومواجهة اعدائها . لقد شهدت بداية الاربعينات حتى قيام هذا الكيان مقاطعة عربية شاملة داخل فلسطين وفي الاقطـار العربية مما كان لها دورها في اضعاف هذا الاقتصاد ، بل جعل العديد من الصهاينة يغادرون فلسطين على الرغم من اجراءات الوكالات اليهودية لمنع ذلك .

ان الاقتصاد الصهيوني أدى دورا اساسيا في قيام « اسرائيل » عام ١٩٤٨ بل يكاد يكون الاول الذي مهد لقيامه ، ونرى انه في الوقت الذي كانت فيه الوكالات اليهودية تعمل على حشد الامكانات المالية والعلمية والبشرية لتحقيق اهدافها ، نرى التباطؤ في مواقف الاقطار العربية في تقديم المساعدات المالية للفلسطينيين ، وأن التأجيل والتسويف تمثل مظاهر واضحة لهذا الموقف ، وهذا ما اشارت اليه المذكرة المرفوعة ، من بعض الشخصيات العربيـة الفلسطينية في ١٣ ايلـول ١٩٤٤م الى ملـوك الاقطار العربية وامرائها[١] .

---

(١) وزارة الثقافة والاعلام / دار الكتب والوثائق / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ مذكرة مرفوعة من الشخصيات الفلسطينية (رشيد الحاج ابراهيم ، صبحي الخضر ، عوني عبدالهادي) الى اصحاب الجلالةوالفخامة ـ والسمو الملوك ورؤساء جمهوريات وامراء الاقطار العربية ، ١٠٨ ص ١٨٩ .

الهدف من الدراسة

على الرغم من الكم الكبير الذي كتب عن القضية الفلسطينية ، تاريخها وأحداثها ، وفصول التآمر عليها ، الا ان الجانب الاقتصادي ، ظل صعيفا في دراساتهم على الرغم من ان العرب اعطوا لهذا الجانب ومنه (المقاطعة) اهمية كبيرة في مواجهة اليهود عند تأسيس كيانهم ، حيث اخذت هذه المقاطعة أشكالا عديدة منها تحريض العرب على التوقف عن العمل لدى مستخدميهم اليهود ومقاطعة البضائع اليهودية واستخدام خطوط المواصلات اليهودية وأرتياد المطاعم والمقاهي اليهودية ووجدنا من خلال هذه البحث ضرورة الاسهام في الكشف عن أثر هذه المقاطعة وما الحقته بالاقتصاد اليهودي ، من خلال ما توفر لدينا من وثائق غير منشورة في الكتب التي تناولت دراسة هذه القضية . لنؤكد من خلالها اليوم ان الاقتصاد وقدرة العرب في توظيفه واستخدامه يمثل امضى الاسلحة في تأكيد حقوق الامة والفلسطينيين .

الواقع الاقتصادي لفلسطين

تعكس تقارير القنصلية العراقية في القدس ، طبيعة الواقع الاقتصادي لفلسطين ، وانعكاسات الازمة الاقتصادية العالمية التي عاشها العالم بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، مما سبب ذلك تدهورا كبيرا انعكس على الاقتصاد اليهودي في فلسطين ، فقد جاء في نشرة (مكتب الاحصاء اليهودي في فلسطين) ان قيمة الواردات الى فلسطين ، بلغت في الاشهر العشرة الاولى من عامي ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ م ما قيمته (١٦١ر٦١١ر٩) جنيها ، في حين بلغت قيمة الصادرات خلال الفترة نفسها مبلغ (٣٣٢ر٩٩١ر١) جنيها[٢] .

---

(٢) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ تقرير القنصلية العام لشهري ك١ ــ ١٩٤٠ ، و ك٢ ١٩٤١ و ١٦ص٥٨ .

وكان من نتائج الحرب العالمية الثانية ان دفعت السكان الى الاعتماد على الانتاج المحلي وتحسينه ولم تكن هناك حماية للانتاج الزراعي المحلي ، وان هذا الانتاج مهما ارتفعت اسعاره (لا يمكنه ان يضاهي الحاجات المستوردة) مما دفعت السلطات البريطانية (دائرة المندوب السامي) الى اصدار قرار بتأليف (مجلس التجارة والصناعة) ويكون رئيسه المستشار الاقتصادي للمندوب السامي ، للاشراف على وضع هذا الاقتصاد وتوجيهه[٣] وواجهت فلسطين مشكلة كبيرة سميت (بقضية الحمضيات) حيث سدت منافذ تصدير هذا المنتوج (وبات اصحاب البيارات من عرب ويهود يبذلون كل ما في وسعهم من جهود لتصدير هذا المنتوج) مما دفع المندوب السامي الى تشكيل مجلس يعرف بأسم (مجلس تصريف الاثمار الحمضية) ولكن باءت جهود هذا المجلس بالخيبة ، لعدم حاجة الاسواق العالمية لهذا المنتوج ، والازمة التي يعيشها المجتمع الدولي بسبب الحرب[٤] .

وقد تنبه العرب الفلسطينيون الى اهداف هذا المجلس ، ومنها محاولته جباية ضرائب جديدة عن طريق (رسوم الرخص) من نقل الانتاج من مكان الى آخر ، وهو اجراء استهدف العرب من اصحاب البيارات الخاصة بالحمضيات ، اما اليهود فأنهم كانوا يبيعون منتوجهم وبأسعار عالية والميهود الاوربيين ، وان اليهودي في فلسطين لا يستهلك ولا يتعامل الا مع الناتج من البيارات اليهودية[٥] .

وسببت هذه الازمة مغادرة عدد من اليهود لفلسطين لا سيما الذين لا يمتلكون امكانات مادية وكذلك العرب ، فقد اشار تقرير القنصلية نقلا عن نشرة الاحصاء الرسمية التي تصدرها دائرة المندوب السامي ، ان عدد اليهود الذين غادروا البلاد خلال الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٤٠ بلغ (٨٦٨١)

---

(٣) المصدر نفسه ، ١٦ص١٠ .
(٤) تقرير القنصلية العام لسنتي ١٩٤٠-١٩٤١ ١٦ ص٢٦ .
(٥) المصدر نفسه .

شخصا مقابل (٣٢٨٢) شخصا جاءوا اليها ، اما هجرة العرب فقد بلغ عـدد الذين غادروها خلال هذه الفترة (٥٥٥) شخصا وعدد الذين عادوا اليها (٢٩٤) شخصا ، وتدلل هذه الاحصائيات على طبيعة انعكاسات الازمة الاقتصادية العالمية على الاقتصاد الفلسطيني وفي مقدمته الاقتصاد العربي في فلسطين(٦) .

ويقول تقرير آخر للقنصلية ان الوضع الاقتصادي لفلسطين بدأ يتحسن بسبب قيام السلطة البريطانية عام ١٩٤٢ بأستيراد بضائع ما اقيمتها (مليونان ونصف) وهو يساوي خمسة اضعاف ما استوردته في عام ١٩٤٠(٧) .

كما اصبحت تجارة الترانزيت في فلسطين تحتل مكانـة مهمة في الاقتصاد الفلسطيني بعد عام ١٩٤١ بسبب مرور النفط العراقي ، والذي بلغ نسبيا وبكل سنة بمعدل مليون طن(٨) .

ورغم هذا التحسن في الاقتصاد اصدر (مراقب المؤن العام) التابع الى دائرة المندوب السامي قرارا بمنع التعاطي والمتاجرة في جميع المواد الغذائية لوجود نقص شديد فيها ، وتوزيعها بشكل مقنن كما حذر مـن محاولات اخفائها(٩) .

لقد تحمل العرب الفلسطينيون هذا الواقع الاقتصادي ، بل سـاهمت دائرة المندوب السامي بزيادة هذه الصعوبات ، من خلال فرض الضرائب على العرب واستثناء اليهود منها ، مثال في ذلك صدور قانون ضريبة الدخل الذي عد نافذا من اول ايلول ١٩٤١ ، اذ شمل القانون العـرب وأعفى

---

(٦) المصدر نفسه و ١٦ ص٦٨ .
(٧) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١٦/٧٦٦ التقرير العام للقنصلية العراقية في القدس لشهر شباط ١٩٤١ و ١٥ ص٤٥ .
(٨) تقرير القنصلية العام لسنة ١٩٤١ و ١٥ ص٤٥ .
(٩) المصدر نفسه و ١٥ ص٤٦ .

الشركات اليهودية التي تقدر رؤوس اموالها (بأثني عشر مليون لـيرة فلسطينية)[10] .

فضلا عن ذلك استخدمت العصابات اليهودية بالتنسيق مـع دائرة المندوب السامي البريطاني ، اسلوبا عدوانيا اخر في محاربة العرب بهدف تهجيرهم وذلك بألغاء معظم القوانين والنظم الادارية التي وضعتها الدولة العثمانية واستبدالها بأخرى من شأنها ان تمكن اليهود في السيطرة عليها[11]، كما يلاحظ أن بريطانيا ساهمت بوضع كل الاجراءات التي من شأنها نقل ملكية الاراضي العربية الى اليهود والاستيلاء عليها بمختلف الوسائل ولقاء تعويضات قليلة او من خلال اصدار (اوامر اجرائية من المحاكم) ، وحدث هذا في كل من فلسطين ، مثال ذلك ما حدث مع (عرض ارض العبيد الذين يسكنون حيفا تم اخراجهم من اراضيهم ومساكنهم بموجب الامر الاجرائي المرقم ١٩٤٧/٦٢٩) ولكنهم فوجئوا حتى بعد استئنافهم في محكمة الاستئناف العليا في القدس بقيام قوة كبيرة من البوليس البريطاني واليهودي لاخراجهم من اراضيهم في ١٩٤٧/٤/٢٥ ،[12] كما ان صناعة الزيتون تعد من الصناعات الاساسية في فلسطين الى جانب صناعة الحمضيات ، حيث بلغت مساحة الاراضي المغروسة زيتونا (٥٠٠) الف دونم ، تحتوي على (خمسـة ملايـين و ٥٠٠ الف شجرة) وكانت صادرات (زيت الزيتون) الصالح للاكل في عام ١٩٣٩ (١٨٥٧) طنا ما لبثت ان تدهورت هذه النسبة في الاعوام اللاحقة

---

(١٠) د.ك.و / البلاط الملكي ٧٦٦ التقرير الشهري لسنة ١٩٤١ (سري) الى وزارة الخارجية العراقية و٢ص٦ .

(١١) سعدي بسيسو / اسرائيل جناية وخيانة / حلب ١٩٧٥ ص٧٤ .

(١٢) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٧١ ، صورة عريضة مرفوعة من عرب فلسطين الى القنصلية العراقيـة في القدس في ١٩٤٧/٦/١٣ و ٨٧ ص١٤٧ .

وانظر للمزيد من المعلومات ابراهيم رضوان / سياسـة الانتـداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين ١٩٢٢-١٩٣٩ سلسلة كتاب صامد ١٩٨٦ ص٢٢٥ .

بسبب منافسة الزيوت الفرنسية والايطالية للزيوت الفلسطينية[١٣] . كما أشارت المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ الى هيئة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين عن واقع هذا الاقتصاد بأن اعوام ١٩٣٠ ــ ١٩٣٥ شهدت البدايات الاولى للتوسع الاقتصادي ، على الرغم من الازمة العالمية ١٩٢٩ ــ ١٩٣٢ .

فقد افتتح ميناء حيفا للمواصلات ليكون ميناءً عميقا عام ١٩٣٣ ، وازدادت اهميته عام ١٩٣٥ ميناءً بخط انابيب شركة نفط العــراق في كركوك[١٤] كما ان حكومة الانتداب البريطاني هي التي هيأت كل المستلزمات المطلوبة من اجل تمكين اليهود السيطرة على كل الاراضي الزراعية . وذلك من خلال اصدار قانون الجنسية الفلسطينية ، وكان يهدف منح اليهود الحق في شراء الاراضي الفلسطينية ، في حين كــان مجحفا في حق العــرب الفلسطينيين ، حيث حرم على ٤٠٠٠٠ منهم هذا الحق مبررا انهم يعيشون في الاقطار العربية[١٥] وأشارت المعلومات الواردة من القنصلية في بيروت الى وجود مكتب يهودي في بيروت لتسهيل معاملات شراء الاراضي من العرب المقيمين في لبنان ، وطلبت حكومة العراق في هذا الصدد اتخــاذ الاجراءات لايقاف مثل هذه الاعمال ، وتابعت السلطات السورية التحقيق في هذا الموضوع[١٦] ويذكر بأن هناك العديد من الاسر السورية اللبنانية

(١٣) د.ك.و / البلاط الملكي ٧٦٦ / ٣١١ ، التقرار العام للقنصليــة العراقية في القدس لشهر شباط ١٩٤١ و ١٥ ص٤٤ .

(١٤) تاريخ فلسطين السياسي تحت الانتداب البريطاني ، المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٧٤ الى هيئــة الامم المتحدة الخاصــة بفلسطين / ترجمة د. فاضل حسين / بغداد ١٩٥٦ ص٢٥ .

(١٥) ابراهيم رضوان ، مصدر سابق ص٣٢ــ٣٣ .

(١٦) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ ، كتاب وزارة الخارجية العراقية الدائرة العربية الى البلاط الملكي (بيع الاراضي لليهــود) المرقم ١٣/٧٩/٧٨٥/٤ في ١٩٤٩/٣/١١ و ٣٥ من ٤١ .

التي كانت تمتلك مساحات واسعة من الاراضح الفلسطينية أبان الحكم العثماني حين كانت فلسطين تابعة لولاية بيروت ومعظمها من الاسر التي تعمل بالتجارة ولديها رؤوس الاموال ومن هذه العوائل (ال سرسق ، ال خوري، آل سلام، آل العمري، آل مارديني)وبلغ مجموع المساحات التيباعتها هذه العوائل مابين ١٨٧٨ ــ ١٩٣٦ (٩٧٤ ، ٣٨٨)(١٧) دونم كما ان تأثيرات الواقع الاقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية وظروف فلسطين عموما في المرحلة الممتدة من ١٩٤١ ــ ١٩٤٧ ، ادى الى ارتفاع معدلات المعيشة بشكل كبير جدا ، حيث اشارت نشرة الاحصاء التابعة للوكالة اليهودية ، أن اسعار المعيشة في (حيفا ، والقدس ، وتل ابيب) قد ارتفعت وبعد مرور (١١) شهرا على نشوب الحرب بمعدل (ثلاثين ونصف بالمائة) وأرتفعت اسعار المواد الغذائية في تل ابيب بمعدل ٤١٪ وحيفا ٤٢٪ والقدس ٣١٪ ، وكانت نتائج ذلك قيام يهود امريكا بجمع التبرعات لانعاش الاقتصاد الصهيوني ، فقد جمع يهود نيويورك (١٧٥٠٠٠) الف دولار وتحويلها الى الوكالة اليهودية في حين لم يتلق العرب والفلسطينيون أية مساعدات حقيقية(١٨) . وأخيرا يظهر من خلال مقارنة التجارة الخارجية بين فلسطين والاقطار العربية ان كل شخص في فلسطين يستورد ويصدر من الخارج الى الخارج بمبلغ (١١٤٠) قرشا وكل شخص بمصر (٤١٠) قرشا والعراق (٣٥٠)قرشا وفي سورية (٣٢٠) قرشا مما تدلل هذه النسب ايضا على ارتفاع

---

(١٧) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ الواقع الاقتصادي لفلسطين خلال الحرب العالمية الثانية و ١٦ ص٦٧ .

(١٨) نبيل عيدان ، التعليم الحديث في المجتمع العربي الفلسطيني / منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بير ت ١٩٦٩ واحمد طربين ، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ١٨٩٧-١٩٢٢ ... معهد الدراسات العربية ... القاهرة ١٩٧٢ .
حول هذه العوامل انظر
سياسة الانتدب البريطاني الاقتصادية ، مصدر سابق ص١٠٤-١٠٨ .

حجم التبادل التجاري في فلسطين قياسا بالاقطار العربية بسبب تنوع المنتوجات الفلسطينية[١٩] وبالطبع فأن هذه الارقام لا تمثل القاعدة العامة للشعب الفلسطيني ، انما لشريحة محدودة جدا ، ومن المشاريع التي تم وضعها هو (المشروع الانشائي) الذي انصبت جهوده لدعم الفلاح الفلسطيني وفي مواجهة الاساليب الصهيونية[٢٠] .

اتبعت المنظمات اليهودية قبل تأسيس كيانها الاستيطاني سياسة (التصنيع) لاستيعاب المهاجرين من اليهود ، وتركزت على نوعين اساسيين هما صناعة (النسيج والماس) ، وقد شجعت السلطات البريطانية الصناعات النسيجية وسهلت لها كل المستلزمات الضرورية ومنها المواد الاولية ، لغرض تلبية طلبات الجيش البريطاني والجيوش الاخرى المتحالفة في اثناء الحرب العالمية الثانية ونتيجة لذلك ازداد عدد العمال اليهود العاملين في قطاع النسيج من (٤٠٠) عامل قبل الحرب ، ليكونوا (٥٠٠٠) عامل في عام ١٩٤٦ ، اما عن صناعة الماس فقد حقق انتاجه وتصديره اكبر رقم في الصادرات اليهودية لعام ١٩٤٦ ، ولكن سرعان ما انهارت هذه الصناعة في عام ١٩٤٧ ، وأغلقت مصانع يهودية عديدة .

لقد عدت فلسطين في بداية الاربعينات حتى هذا العام ١٩٤٧ من اكبر مراكز صناعة الماس والجواهر في العالم . بعد ان كان هذا المركز تمثله هولندة ، وكان قد افتتح في تل ابيب بداية عام ١٩٤١ (نادي صناعة الالماس والجواهر) وهو اول نادي من نوعه وينتمي اليه (٣٠٠٠)

(١٩) د. ك. و / البلاط الملكي ٧٦٦ / ٣١١ والتقرير العام للقنصلية العراقية في القدس لشهر شباط ١٩٤٧ و ١٥ ص٤٥ .

(٢٠) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٦٤٤ كتاب القنصلية العراقية في القدس الى وزارة الخارجية المرقم ٩٥٣٥/٤ في ١٤ ايلول ١٩٤٧ و ٤٥ ص٤٨ .

صانع ويعود الفضل لهم في تأسيس هذه الصناعة في مستعمرة (ناتانيا) وفي (تل ابيب) الى يهود (اثوري) الذين حملوا معهم سر هذه الصناعة ، لانها اول مدينة مشهورة بأنتاج الماس المنحوت ، وكانت الاحجار الكريمة التي يصنع منها الماس ، تصدر من مناجـم جنوب افريقيا الى انكلتـرا ومن ثم الى فلسطين ولا يستوفي على هذه الصناعة والمواد الاولية الداخلة في صناعتها الرسوم الكمركية ، ويقوم هذا النادي بتصدير انتاجه الى امريكا حيث صدرت عامي ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ ما قيمته (٥٠) الف دولار ، وان نسبة ٩٠٪ يصدر اليها والباقي الى الاقطار العربية كمصر والعراق وسورية[٣١] .

وهذه الصناعة اليهودية تعيش على رؤوس الاموال الخاصة ، وهي لم تكن داخلة ضمن الصناعات التابعة لما يسمى (بالاقتصاديات القومية) القائمة تحت اشراف الهيئات اليهودية مباشرة ، التي تصرف عليها من خلال (الجبايات والتبرعات) التي تأتي من الخارج . وتنفق على اقامة مثل هذه الصناعات ، وقد كانت جريدة (دافار) لسان حال هذه الصناعة ، التي اوردت بعض هذه الصناعات القـومية اليهودية في عددها الصـادر في ١٤/٥/١٩٤٧ والتي تم انشاؤها قبل هذا الكيان الصهيوني (مصنع حفظ الاسماك) في مستعمرة (عسلوج) بالنقب ومصنع للمقاييس والاجهزة الدقيقة في مستعمرة (ايلون) في الجليل الاعلى ، ومصنـع للمصابيح الكهربائية اللازمة للصناعة في مستعمرة (حانيتا)[٣٢] ، أما في مجـال الاقتصاد الزراعي اليهودي ، فقد تحققت تطورات كبيرة أدت الى زيادة الانتاج الزراعي ، بل أصبح قادرا على تزويد (البيشوف) (التجمعـات

---

(٣١) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ التقرير العام للقنصلية العراقية القدس لشهري كانون الاول ١٩٤٠ وكانون الثاني ١٩٤١ ــ و١٦ص٦١ .
(٣٢) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ .
تقرير الهيئة العربية العليا لفلسطين عن اثر المقاطعة العربية ، و١٠٢ ص ١٥٢ .

السكانية اليهودية) بجزء كبير من احتياجاته من دون حاجة الى منتوجات القطاع الزراعي العربي[٣٣] .

وحاولت الادارة البريطانية في فلسطين تبرير تآمرها على العرب ، من خلال تأكيدها على أن تقدم فلسطين اقتصادياً لا يكون الا بالهجرة اليهودية وتدفق الرأسمال اليهودي من مختلف انحاء العالم ، وهذا ما سعت الى تنفيذه هذه الادارة والقيادة الصهيونية ، حيث بلغ مجموع الرأسمال اليهودي الذي دخل فلسطين حتى نهاية عام ١٩٣٦ ما يقارب (٨ر٠٠٠ر٠٠٠) مليون جنيه ، أما عن موضوع الهجرة فقد ارتبط بالوضع الاقتصادي داخل فلسطين ، وتمت الهجرة عن طريقين الاول قيام دائرة المندوب البريطاني السامي باعطاء شهادات للهجرة ويسمونهم (بالمهاجرين الشرعيين)[٣٤] .

اما الطريق الثاني فهم الذين يدخلون بصفة غير شرعية ، ويمثلون اعدادا كبيرة ، وتقوم هذه الدائرة نفسها بتسهيل هجرتهم ، وحشدهم في مناطق فلسطين ، ولم تضع هذه الادارة البريطانية أية قيود على هجرتهم ، سوى قيد هو قدرة فلسطين الاقتصادية على استيعابهم .

ويوضح الجدول الاتي عدد الشهادات الممنوحة من الادارة البريطانية في فلسطين لليهود[٣٥] .

---

(٢٣) مؤسسة الدراسات الفلسطينية / حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، الرواية الاسرائيلية الرسمية ترجمة عن العبرية احمد خليفة ، بيروت ١٩٨٢ ص٢٩ .

(٢٤) تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية ، ص٢٧ .

(٢٥) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ .

تقرير القنصلية العراقية في القدس عن الواقع الاقتصادي لفلسطين المرقم ١٥٣/١٠/٢ في ١٦ آب ١٩٤٧ .

ونزار امين الزيديين ، صحيفة فلسطين وموقفها من السياسة البريطانية في فلسطين ١٩٤١-١٩٤٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٩٨ ص

العــام	عدد المهاجرين
١٩٤٠	٧٥٤٧
١٩٤١	١٣٦٤٧
١٩٤٢	٢١٩٤
١٩٤٣	٨٥٠٧
١٩٤٤	١٤٤٦٥
١٩٤٥	١٢٠٣٢
١٩٤٦	١٩٥٠٠
١٩٦٧	١٦٠٠
	٩٤٤٩٢

ويشكل هذان العاملان الهجرة وتدفق الرأسمال اليهودي الى فلسطين، عامل قوة في حين واجه العرب الفلسطينيين أزمات حقيقية لا سيما بعد الازمة الاقتصادية العالمية ، حيث تدهورت تجارة الحمضيات ، التي كانت تشكل دخلا عاليا لاصحاب المزارع تربو على المليون جنيه[٣٦] وتتيجة لهذين العاملين أصبح للتجار اليهود (٩٠٪) من رخص الاستيراد والتصدير ، ولعبو دورا بارزا في اضعاف التجارة العربية ، عن طريق تلاعبهم بالاسعار ، والى احتكار اصناف معينة من السلع الضرورية والنادرة الوجود ، التي لا غنى للمستهلك عنها .

وفي مؤتمر لندن الذي عقدته الحكومة البريطانية في ١٠ ايلول حتى ٢ تشرين الاول ١٩٤٦ طرحت مشروعها الذي سمي مشروع موريسون

(٢٦) د. ك. و /البلاط الملكي ٧٦٦ / ٣١١ .
الواقع الاقتصادي الفلسطيني خلال الحرب العالمية الثانية و ١٦ و٦٣ ص ٥٩ ، وعادل غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧١ ص٧٥ .

(H. Morrison) وهو نائب رئيس الوزارة ، وأكدت فيه أن يتم السماح بهجرة مئة ألف يهودي ، وان يراعى مسألة الاستيعاب الاقتصادي للمستعمرات[٢٧] وكانت هذه الهجرة تجري تحت اشراف زعماء الهاغاناه ، التي كانت تخضع جميع دوائر سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين لهم ومع ازدياد الهجرة ازدادت معها وبشكل واسع عمليات الارهاب الصهيوني[٣٦] .

ولهذا كان المخطط الاستيطاني الصهيوني ، ومنذ تأسيس الحركة الصهيونية ، يسعى الى افراغ فلسطين من سكانها ، واستخدمت العصابات الصهيونية شتى أساليب الضغط النفسي والقتل والابادة الجماعية ، ليصل عدد النازحين العرب من أراضيهم حتى نهاية عام ١٩٤٩ بحدود (٩٤٠٠٠٠) ألف لاجيء[٢٩] .

كما اتبع التجار اليهود اسلوب الاقراض لمنتجي الجمعيات العربية . حتى يجبروهم على بيع محصولهم لهم[٣٠] وعموما فقد تأثر نشاط الاقتصاد اليهودي وأصيب بالتدهور والضعف بسبب ثلاثة عوامل اساسية أشارت اليها دراسة صادرة عن الهيئة العربية لفلسطين ومقرها في القاهرة وهي (المقاطعة العربية ، ومنافسة الاستيراد من الخارج وأرتفاع اجور العمال)[٣١] .

---

(٢٧) للمزيد من المعلومات حول المشروع :
مهدي عبدالهادي ، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤–١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ ص‌ص٧٤–٧٥ .

(٢٨) John, Robert, Sami Hadawi, The Palestine Diary, Volume one (1914—1945) New York 1971. Pp. 101—106

(٢٩) عادل حسن غنيم ، قضية اللاجئين ، القاهرة ، بلا ص١٩ .

(٣٠) ابراهيم رضوان ، مصدر سابق ١٧٨–١٧٩ .

(٣١) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ تقرير عن اثر مقاطعة الدول العربية للبضائع الصهيونية بين فلسطين و ١٠٢ ص١٤٧ .

دور المقاطعة في اضعاف الاقتصاد اليهودي

عندما قرر مجلس الجامعة العربية أول مرة تنفيذ المقاطعة العربية للبضائع الصهيونية، وذلك في كانون الاول ١٩٤٥ ، تحدث بريطانيا ذلك واعتبرته ليس امرا اقتصاديا بحتا ، ولكن كانت تأثيراته كبيرة ، ومنذ بداية تنفيذه ، حيث هبطت صادرات فلسطين الى الدول العربية ١٩٤٦ بسبب المقاطعة بنسبة ٣٣٪(٣٢).

وأخذت المقاطعة طابعا اجتماعيا واقتصاديا منظما ، حيث ترتب على العرب جميعا داخل فلسطين وخارجها . قطع صلاتهم بالصهاينة لهذا كان هدف المقاطعة مزدوجا وهو الاقرار بقوة الصهاينة الاقتصادية ونبذ التعامل معهم ، وتشجيع اقامة الصناعة والتجارة العربيتين من خلال التعاون والتنسيق مع الاقطار العربية(٣٣) ورافقت المقاطعة الرسمية مقاطعة شعبية لكل ما يتعلق بالمؤسسات الصهيونية ، واشارت الى هذه الحقيقة الصحف اليهودية نفسها(٣٤) فقد قالت صحيفة (دافار) لسان حال الصناعات اليهودية في عددها الصادر ١٩٤٧/٥/١٤ (ان المقاطعة العربية داخل فلسطين ومن الاقطار العربية هي من الاسباب الاساسية لتدهور الصناعة اليهودية) ، وكتبت صحيفة (هابوكر) في ١٩٤٧/٥/١٧ لتقول « بدأنا نواجه الصعوبات منذ اربعة اشهر فقد تكدست البضائع في مخازن النسيج وأخذ اصحاب هذه المصانع يعرضون بضائعهم للاسواق بأسعار بخسة » وقالت صحيفة هارتس في ١٩٤٧/٧/٢١ وبقلم صاحب الشركة (زلمان بروسلي لمصانع النسيج الكبرى) (ان صناعة النسيج عندنا تواجه ازمة بسبب المقاطعة العربية)(٣٥) وقد كانت صناعة النسيج تنوء تحت ضغط المقاطعة العربية

(٣٢) تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية ، مصدر سابق ص٥٥ .
(٣٣) حرب فلسطين ١٩٤٧ــ١٩٤٨ .
(٣٤) تقرير الهيئة العليا بفلسطين ، مصدر سابق و١٠٢ ص١٤٨ .
(٣٥) المصدر نفسه و١٠٢ ص١٥٢ .

وعبء مطالب العمال بزيادة الاجور وسلسلة الاضرابات العمالية التي شهدتها فلسطين وما كاد عام ١٩٤٧ يطل ، حتى انهارت هذه الصناعة ، وقد تم تسريح (١٧٠٠) عامل في الربع الاول من هذه السنة ثم (١٥٠٠) عامل في الربع الثاني ووصل الرقم الى (٧٠٠٠) عامل تم تسريحهم في نهاية هـذه السنة وقد كتبت الصحف اليهودية اكثر من (٩٠) مقالة في موضوع تدهور صناعة النسيج ، وأغلق العديد من المصانع بسبب هذه المقاطعة والازمة الاقتصادية التي سببتها الحرب العالمية الثانية ولا يقتصر الامر على صناعة النسيج فهناك صناعات اخرى تأثرت ، ومن هذه المصانع (بروغ) للبراغي وأدوات الربط في البناء والاثاث وكان عدد العمال العاملين فيه (١٥٠) عاملا ومصنع (تريزا) لادوات البناء والاثاث ، ووصل عدد العمال العاملين فيه خلال الحرب (٢٠٠) عامل ومصانع (فري فري) للعصير المركز وعدد العمال فيه زهاء (٢٠٠) عامل وغيرها من المصانع التي سرحت عمالها لهذا قدر عدد العمال العاطلين عن العمل في المحيط اليهودي في فلسطين بحدود (١٢) الف عاطل نصفهم من قطاع الصناعة وهناك زهاء (٢٠) الف عامل يعملون ايام معدودة في الشهر[٣٦] وقد نظم بعض المدنيين والمفلسين مظاهرات بقصد رحمتهم وتأجيل تنفيذ الاحكام وأزدادت حوادث الافلاس بسبب اقفال المعامل اليهودية وتسريح عمالها ويلاحظ ايضا من خلال الاحصائيات هبوط في حركة التوريد والتصدير في جميع مدن فلسطين وتدل كشوف دائـرة السكك الحديد ايضا على هبوط ملحوظ في اعمالها ونقص الدخل العام في اجور الركاب والشحن[٣٧] . وقد وجد مجلس الجامعة العربية في جلسته

---

(٣٦) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ تقرير الهيئة العربية العليا لفلسطين عن اثر المقاطعة العربية ، مصدر سابق و ١٠٢ ص١٤٩ .

(٣٧) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ ارقام واحصائيات عن هذا الواقع في التقرير الشهري للقنصلية العراقية في القدس ١٣ حزيران ١٩٣٨ و١٠٢ ص١٧٣ .

(٣١ كانون الاول ١٩٤٥) انه لابد من اتخاذ اجراءات عربية موحدة ضد الصناعة الصهيونية وحدد ثلاثة نقاط اساسية هي[٣٨] :

١ ـ ان المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين غير مرغوب فيها ، وان اباحة دخولها الى البلدان العربية يؤدي الى تحقيق الاغراض السياسية الصهيونية ، وان تتخذ كل دولة عربية الاجراءات التي تناسبها وتتفق مع احوال الادارة والتشريع فيها .

٢ ـ دعا مجلس الجامعة الاقطار غير المنتمية في مجلس الجامعة الى ان تتضامن وتتعاون مع دول الجامعة فتمنع المؤسسات والهيئات والتجار والوسطاء من التعامل والتوزيع والاستهلاك للمنتوجات الصهيونية .

٣ ـ تؤلف لجنة من الدول المتمثلة في الجامعة للتنسيق والاشراف على هذا القـرار .

وتقرر في هذا الاجتماع تشكيل لجنة مراقبة تنفيذ هذه المقترحات سميت بلجنة المقاطعة العربية ، التي بدأت رسميا عملها في حزيران ١٩٤٦ .

اولا : المقاطعة داخل فلسطين :

كان عرب فلسطين حريصين على زيادة عوامل الاتصال والمواصلات بين بلدانهم والاقطار العربية جاء ذلك في المذكرة التي رفعها (توفيق صالح الحسيني) وكيل رئيس الحزب العربي الفلسطيني الى القنصلية العراقية في القدس ، ولكنه طالب بأن (لا تعطى مثل تلك الامتيازات لاشخاص وشركات غير عربية) واضاف (انه لو اعطي امتياز سيارات لنقل المسافرين بين فلسطين والاقطار لاشخاص غير عرب او لشركة غير عربية ، لاصبح ذلك الخط وسيلة للدعاية السياسية وسبيلا لتهريب المهاجرين اليهود والبضائع) وطلب

---

(٣٨) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٧ كتاب وزارة الخارجية العراقية / الدائرة الاقتصادية المرقم ١٨٤٧ (٣ كانون الا ل ١٩٤٥) و٤ ص٨ .

في مذكرته من الحكومة العراقية التحقيق في هوية الاشخاص والشركات الذين يتقدمون بطلب امتيازات ورخص وأذونات[٣٩] .

وتم تشكيل (صندوق للامة) في مدينة القدس ، وانتخاب رئيس له واعضاء مجلس ادارة لمساعدة العرب الفلسطينيين ، وقد وضع (عوني عبدالهادي ورشيد الحاج ابراهيم وصبحي الخضرا) مذكرة الى الملوك العرب قالوا فيها « لقد رأى عرب فلسطين ان من واجباتهم الاولية المحافظة على اراضيهم ولانقاذ ما يتعرض منها لخطر الانتقال الى الايدي الاجنبية ، فأقاموا الى جانب تشكيلاتهم السياسية مؤسسة اطلقوا عليها اسم (شركة صندوق الامة العربي المحدود) ويرأسها أحمد حلمي باشا ولها فروع في جميع مدن فلسطين ، وقالت المذكرة « أن الارض التي تشتريها الشركة تصبح ملكا للامة حكمها حكم الوقف ، وهي مسجلة لمدة (٩٩) سنة ، ولها مجلس ادارة مؤلف من (٤١) عضوا يمثلون جميع أحزاب فلسطين » وأشارت المذكرة « بأن كل دولة عربية تتبرع حسب طاقتها بحيث لا يقل المبلغ الذي تتبرع به جميع الدول العربية عن مليون جنيه فلسطيني »[٤٠] .

وكذلك كان يقوم مكتب فلسطين الدائم الذي مقره بيروت بجمع المعلومات عن تحركات العصابات الصهيونية ، وأساليبها في سرقة الاراضي العربية ومصادرتها ، فقد أشار الامين العام للمكتب الدكتور (سليم الويس) في كتاب الى وزارة الخارجية العراقية بقوله « ان فريقا من السمسارة والتجار العرب واليهود يقومون في فلسطين وخارجها ، بالعمل على بيع

---

(٣٩) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٧ مذكرة السيد صالح توفيق الحسيني وكيل رئيس الحزب العربي الفلسطيني الى رئيس الوزراء العراقي من خلال القنصلية العراقية في القدس في ٥ ايلول ١٩٤٥ و ٥٢ ص١٤ .

(٤٠) مذكرة صندوق الامة العربي ، مصدر سابق و١٣٨ ص١٧٩ .

الاملاك العربية ورهنها في فلسطين لليهود لقاء ثمن بخس ويستخدم اولئك السماسرة بعض اللاجئين أنفسهم للاتصال بالملاكين النازحين لهذه الغاية »[٤١] .

نستدل من هذه الوثائق وغيرها الكثير ، منها ان هناك شعورا حقيقيا بوجود خطر يواجه العرب في فلسطين ، ولهذا قامت مؤسسات مالية لتساهم في دعم الفرد الفلسطيني لمواجهة الاساليب الصهيونية .

كما تمثلت المقاطعة داخل فلسطين بتحريض العمال العرب على التوقف عن العمل لدى مستخدميهم اليهود ، وامتناع المشترين العرب عن التسوق من الحوانيت اليهودية ، وعدم استخدام خطوط المواصلات اليهودية وغيرها[٤٢] .

لقد تحولت المقاطعة العربية داخل فلسطين الى مقاطعة شاملة بل في محاربة الوجود اليهودي بكل مؤسساته ، مما كان لها تأثيراتها في تدهور المنتوج اليهودي في كل مناطق فلسطين ، وبدأت تلك المقاطعة في القدس ، حيث تشكلت لجنة عربية لمقاطعة التجار والبضائع اليهودية ، وامتدت حركة المقاطعة من القدس الى باقي مدن فلسطين ، وتأثر اليهود كثيرا من هذه المقاطعة ، حتى أنهم طالبوا مرارا بفكها بالقوة ، واشتدت المقاطعة بعد كل حدث وطني يظهر في فلسطين ، بحيث وصلت ذروتها بعد ثورة (١٩٣٦) ، مما تألفت في كل مدن فلسطين لجان لمقاطعة التجارة والصناعة اليهودية[٤٣] .

وتصاعدت هذه المقاطعة في اثناء الحرب العربية الصهيونية الاولى ١٩٤٧ ، حيث اعترفت المصادر الصهيونية نفسها ، بظهور دلائل انتعاش في

---

(٤١) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٧ .
كتاب الامين العام لمكتب فلسطين الدائم للخارجية العراقية في ١٩٤٨/١١/٣٠ و ٣١ ص١٢ .
(٤٢) حرب فلسطين ١٩٤٧–١٩٤٨ ، مصدر سابق ص١١ .
(٤٣) سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية ، ص١٥١ .

المناطق العربية داخل فلسطين ، مما سببت فرض (حصار شامل) على الاحياء اليهودية ولا سيما في القدس ، وجعلت (لجنة القدس اليهودية) تطالب المؤسسات الصهيونية بالخارج تزويدها بالمواد التموينية ، واضطر اليهود الى استخدام (الخبيز) في تحضير الحساء[٤٤] .

وأشار تقرير القنصلية العراقية في القدس ١٦ آب ١٩٤٧ ، الى أن المقاطعة من جانب العرب ، أخذت اتجاها آخر هو اشراف الشباب الفلسطيني على مراقبة الالتزام بالمقاطعة ، وفرضها بالقوة على الرافضين ومعاقبة كل عربي يتعامل مع المنشآت اليهودية ، فقد قامت مجموعة من الفلسطينيين بقتل أربعة من اليهود في مقهى (هاواي) « اليهودي بالقرب من تل أبيب » وسببت هذه الكارثة وغيرها تعطيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاحياء اليهودية بفلسطين ، وقد وصفت بعض المصادر اليهودية هذه المقاطعة الاجتماعية ، بأنها لا تقل أهمية عن قيمتها الاقتصادية ، بل ربما قد فاقتها ، وخلقت هذه المقاطعة العربية احراجا كبيرا للوجود الصهيوني داخل فلسطين[٤٥] .

وأمام هذه الحالة قامت الوكالة اليهودية باستخدام شتى الاساليب،لاضعاف هذه المقاطعة ، فقامت بالضغط على المستوردين العرب فيما يتصل باستيراد الاقمشة ، والسبب في ذلك يعود الى حجم الاستيرادات ، حيث بلغ ما استودته المناطق العربية في فلسطين خلال عام ١٩٤٦ ــ ١٧٩٤ ما قيمته (٥ر٦ ٢٠٠٠ر) مليون جنيه ، وسببت انهيار الصناعة النسيجية اليهودية[٤٦] .

---

(٤٤) حرب فلسطين ١٩٤٧ــ١٩٤٨ ــ الرواية الاسرائيلية الرسمية ، المصدر نفسه ص١١ .

(٤٥) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٤٦
تقرير القنصلية العراقية في القدس المرقم ١٥٢/١٠/٢ في ١٦ آب ١٩٤٧ و ٤ص٦٠ .

(٤٦) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ .
كتاب القنصلية العراقية في القدس المرقم ١٢٨/٨/٢ في ٥ تموز ١٩٤٧ الموجه الى الخارجية العراقية و ١١٥ ص١٧٢ .

وكانت سلطات الانتداب البريطاني تطارد كل من يدعو الى المقاطعة داخل فلسطين ، بل عملت على خلق الصناعات العربية ، وتحديد أسعارها ، واستيلائها على انتاج بعض المصانع ، كما حدث مع انتاج مصنع البطانيات العربي ، حيث فرضت سعر (١ر٥) جنيه فلسطيني للبطانية الواحدة ، مقابل ثلاثة جنيهات لمعامل الانتاج اليهودي[٤٧] .

كما قامت هذه السلطات باضعاف المقاطعة من أجل التخفيف عن أثر المقاطعة العربية ، بطرد العمال العرب من الاعمال الحكومية ، وتحل محلهم العمال اليهود ، وتسند للمقاولين اليهود الاعمال بلا مناقصة من أجل اضعاف القدرات العربية[٤٨] .

ثانيا : اثر المقاطعة العربية :

منذ قيام الكيان الصهيوني وهو يسعى للسيطرة على الاقتصاد الفلسطيني والانطلاق منه للسيطرة على الاقتصاد العربي ، وكان الرأسمال اليهودي يخطط منذ ذلك الوقت لايجاد أسواق خارجية لتصريف البضاعة اليهودية ، ولا سيما في الاسواق العربية ، بهدف اضعاف المقاطعة فلسطينيا وعربيا ، ومنها بالدرجة الاولى الاسواق العراقية ، وكان الميزان التجاري بين العراق وفلسطين لمصلحة العراق ، وكانت فلسطين تشتري من العراق أكثر مما تبيع له ، مما أثار هذا الجانب اهتمام اليهود بالاسواق العراقية وجعلهم يتوجهون شطر العراق لايجاد اسواق لبضاعتهم ، وحاولت المؤسسات الصناعية اليهودية تنظيم العلاقات التجارية بين فلسطين والعراق ، وكانت بريطانيا تشجع هذا الاتجاه وترعاه ولهذا عقدت اول معاهدة بينهما في ١٤ كانون الاول ١٩٣٩ ولكن بدأ العمل فيها في شباط ١٩٤٠ وقد اشارت هذه

---

(٤٧) محمد علي خلومي / التنمية الاقتصادية في قطاع غزة / القاهرة

(٤٨) عبدالوهاب الكيالي / تاريخ فلسطين الحديث / الموسسة العربية للدول والنشر – بيروت ص

الاتفاقية الى جملة اسباب في تأكيد حاجة فلسطين الى الاسواق العراقية ، منها ان فلسطين بحاجة الى المواد الغذائية العراقية ، التي تصلها بأسعار اقل من غيرها ولان العراق اقرب الاسواق البائعة لفلسطين ، وان وسائط النقل البرية متوفرة بين العراق وفلسطين ، وبأسعار معتدلة .

ولقد اشار تقرير لمؤسسة التجارة الخارجية لاتحاد الصناعيين اليهود في فلسطين لسنة ١٩٤٦ لخصته جريدة (هامشكيف) في عددها الصادر بتاريخ ١٨/٦/١٩٤٧ ومما جاء فيه « ان البلاد العربية نفذت رسميا مقاطعة البضائع اليهودية في حزيران ١٩٤٦ . وكنتيجة لهذا ضاقت ممكنات التصدير ودعت الحاجة الى البحث عن اسواق جديدة . وقد عملت مؤسسة التجارة الخارجية لاتحاد الصناعيين اليهود في فلسطين على ايجاد اسواق جديـدة . ومع ذلك فقد هبطت القيمة الاسمية للبضائع المصدرة عن طريق المؤسسة الى ٤٥٩٣٩٣ جنيها في سنة ١٩٤٦ مقابل ٨٦٨ر٤٥٦ جنيها في سنة ١٩٤٥ وكـان الهبـوط بنسبة ٤٧٪ » وفي السنـين السابقة كان لمنتجات صناعات الموضة ـ ملابس السيدات ـ النصيب الاوفر في الصادرات ولا سيما في شهر (اذار ـ ايار) موضة الصيف وأشهر اب ـ تشرين الاول موضة شتاء ولكن اهمية صناعات الموضة في صادرات سنة ١٩٤٦ قد هبطـت ايضا(٤٩) .

واضافت الصحيفة « قد نجم عن المقاطعة العربية تغيير في الاسواق التي تستهلك البضائع اليهودية في السنين السابقة كانت مصر في طليعة هـذه الاسواق ففي سنة ١٩٤٣ استهلكت من بضائعنا ما ثمنه ١٩٧٣١ جنيها او ٤٥٪ من جميع صادراتنا وفي سنة ١٩٤٤ استهلكت ما ثمنه ٦١٦ر٣٥٠ جنيها او ٤٢٪ من مجموع صادراتنا وفي سنة ١٩٤٥ استهلكت ما ثمنه ٧٩٧ر٣٧١ جنيها او ٤٣٪ من مجموع صادراتنا . اما في سنة ١٩٤٦ فقد هبطت صادراتنا الى مصر فبلغت ٧٩٦٠ جنيها فقط او ٧ر١٪ من مجموع

---

(٤٩) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٩ تقرير مؤسسة التجارة الخارجية لاتحاد الصناعيين اليهود في فلسطين ١٩٤٦ و١٠٢ ص١ـ٤ .

صادراتنا »[50] • كما اشارت الى توقف صادراتها بقولها « اما العراق فقد توقف تصديرنا اليها فقد بلغ ثمن صادراتنا اليها سنة ١٩٤٦ ، ٢٦٠٦ جنيها اي ٠٦ر٠٪ من مجموعها مقابل صادرات ثمنها ٤٠٦ر١٣١ جنيها سنة ١٩٤٣ او ٣٠٪ من مجموع صادرات تلك السنة و ٦٦٣ر٩٥ جنيها سنة ١٩٤٥ او ١١٪ من صادرات تلك السنة وهبطت نسبة صادراتنا الى سورية ولبنان فقد كانت في سنة ١٩٤٥ ما ثمنه ١٤٦٦٠٨ جنيها فلسطينيا او ٩ر١٦٪ فهبطت الى ٤٣٥ ر ٧٧ جنيها في سنة ١٩٤٦ طلبيات رسمية ، واستوردت تركيا من بضائعنا سنة ١٩٤٥ ما ثمنه ٨١٩ر٨١ جنيها فلسطينيا اما في سنة ١٩٤٦ فكان ثمن ما استودته ٥٦٦ر٤٣ جنيها • وفي سنة ١٩٤٤ اشترت قبرص من بضائعنا ما ثمنه ٠٩٨ر٣٩ جنيها اما في سنة ١٩٤٦ فكان ثمن ما اشترته ٢٤٨٤١ جنيها او ٤ر٥٪ من المجموع » ويمضي التقرير في تحليله عن أثر المقاطعة العربية للبضائع اليهودية « وقد اكتشفنا اسواقا جديدة لم تشتر منها في السابق ومنها بلجيكا فقد اشترت سنة ١٩٤٦ ما ثمنه ٤٧٢ر٢٨ جنيها او ٢ر٦٪ من مجموع الصادرات • والدانمرك قد اشترت ٨ر٦٪ من المجموع واليونان قد اشترت ٦ر٧٪ من المجموع وسويسرا ٥٪ من المجموع والهند ٣ر٠٤٪ من المجموع وافريقيا الجنوبية ٦ر٤ من المجموع وبلغ عدد البلدان التي ارسلنا اليها نماذج منتجاتنا ٥٥ بلدا بيعت بها كميات لا تذكر •

وجزء من الانواع الـ ٣٥٠ نوعا التي نصدرها من البضائع هو لوازم الملابس (اقمشة او ما شاكل) وكان ثمن ما صدرناه منها سنة ١٩٤٦ ، ٢٣٨ر١٧٤ جنيها (من اصل ٣٩٣ر٤٥٩ جنيها وهو مجموع ثمن صادرات سنة ١٩٤٦ ويليها الادوات المعدنية ومجموع ثمنها ١٠٧٢٤٦ جنيها والملابس النسائية (كيمونيات) ٣٩٦٤٧ جنيها ويلي ذلك شالات وسجاير الخ •

اما المصدرون فمعظمهم من منتجي الاقمشة والملابس وصانعيها وعددهم ١٢٧ ويليهم صانعو الادوات المعدنية ولوازم البناء وعددهم ٥٠ ومنتجو

---

(٥٠) المصدر نفسه ص ٣ •

المؤن والاشربة وعددهم ١٥ ومنتجو الادوية والمعاجين وعددهم ٢٠ ومنتجو المواد الكيمياوية وعددهم ٤٢ ومنتجو الدمى والالعاب وعددهم ١٢ ومنتجون غيرهم »[٥١] •

ووضعت لجنة المقاطعة العربية خطة ، كانت ناجحة للاعوام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ، وذلك من خلال تشجيع العرب سواء من اهل فلسطين أم الاقطار العربية على انشاء صناعات ذات أساس اقتصادي داخل فلسطين لتنافس الصناعات اليهودية ، وتوفر الاحتياجات المطلوبة للمواطن الفلسطيني في الداخل ، لهذا بحثت في الحالة الصناعية لفلسطين من اجل تعيين الصناعات العربية المطلوب انشاؤها عربيا في مختلف الجوانب التي من شأنها مساعدة العرب الفلسطينيين من خلال تزويدهم بالصناعات العربية ، ووضع الاجراءات بمنع دخول الصناعات اليهودية الى الاسواق العربية[٥٢] •

وكانت الهيئة العربية العليا الممثلة لفلسطين تحضر اجتماعات لجنة المقاطعة العربية في القاهرة ، وتراقب في الوقت نفسه مواقف الاقطار العربية في تنفيذ قراراتها ، ورصد حالات التعاون مع المؤسسات الصهيونية داخل فلسطين ، حيث عرض مندوبها في الجلسة السابعة (٢٤ حزيران ١٩٤٧) احتياجات عرب فلسطين وامكانيات الاقطار العربية لتزويد عرب فلسطين بالبضائع للاستعانة بها على البضائع اليهودية ، وعرض قرار لجنة التموين العليا في اللجنة لتصدير (مائة الف) متر من القماش العراقي الشتوي والصيفي لعرب فلسطين وقدمت نماذج منه وأسعاره[٥٣] •

(٥١) تقرير مؤسسة التجارة الخارجية (اتحاد الصناعيين اليهود) مصدر سابق ص١٥٥ .

(٥٢) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٧١ برنامج عمل اللجنة المقترحة انشاؤها لعمل جولة في الاقطار العربية و ١١٥ ص١٥٢ .

(٥٣) د.ك.و / محضر اجتماع لجنة المقاطعة في ٢٤ حزيران ١٩٤٧ بالقاهرة و ١١٧ ص١٧٤ .

وكانت لجنة المقاطعة تقوم بجولات في الاقطار العربية لدراسة تأثيرات المقاطعة ولمعرفة مدى ما يستطيع كل قطر من تصدير الفائض من حاجته الى الاسواق الفلسطينية ، وأكدت اللجنة في تقريرها أن العراق هو الوحيد الذي قام بتصدير الفائض من حاجته من المواد الغذائية والمنتوجات ، طبقا لقراري لجنة التموين العليا المرقمين ١٥ و١٩ لسنة ١٩٤ (٥٤) .

بل قدم العراق حصته في اعانة الفلسطينيين من المبالغ التي قررها مجلس الجامعة لمساعدة فلسطين ١٩٤٧ المالية ، التي حددت (مليوني ونصف) جنيه مصري ، وبلغت حصة العراق منها خمسمائة الف جنيه ، واتخذت الحكومة العراقية اجراءاتها لدفع هذا المبلغ وعلى الوجه الآتي (٥٥) :

١ ـ مائتا الف دينار تم صرفها وتحويلها بموجب المرسوم المرقم ٨ لسنة ١٩٤٧ ويساوي بالجنيه المصري (١٩٤ر٥٥٠) جنيها .

٢ ـ مائة الف دينار عراقي بموجب كتاب الخارجية العراقية المرقم ٤٤٨٥ في ٢٨ آذار ١٩٤٨ ويساوي (٩٧ر٠٨٧ر٣٧٩) جنيها اما المبلغ المتبقي لاكمال حصة العراق فكان (٨ر٣٦٢ر٦٢١) جنيها مصريا فتقرر تخصيصها لاعانة فلسطين لسنة ١٩٤٧ .

ويلاحظ ان بعض الاقطار العربية قد انقطعت عن حضور اجتماعات لجنة المقاطعة العربية ولمدة اكثر من عام واحد ، كممثلي المملكة العربية السعودية واليمن (٥٦) لقد نجحت المقاطعة العربية سواء داخل فلسطين وفي الاقطار العربية ، على الرغم من كل الظروف منها السلطات البريطانية كانت

---

(٥٤) د. ك. و/ البلاط الملكي ٤٨٧١ و ٣١١ كتاب المفوضية العراقية في القاهرة المرقم ع/٦٣٩/١٤/١٩٣٣٥ في ٥ تموز ١٩٤٧ و١١٨ ص١٧١ .

(٥٥) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٤ كتاب الخارجية العراقية المرقم ٤/٢٤/٢٣٧/١٠١٤٢ في ١٩٤٨/٥٣ (مستعجل جدا) و ٤٤ ص٦١ .

(٥٦) د.ك.و / البلاط الملكي ٤٨٩٧ كتاب وزارة الخارجية / الدائرة الاقتصادية المرقم ١٨٤٧ ٣١ كانون الاول ١٩٤٥ و ٤ ص٨ .

تقوم بغرض انتاج اليهود فرضا على العرب الفلسطينيين ، وتعمل على وقف الاستيراد من الخارج[٥٧] .

لهذا عاشت الصناعات اليهودية ازمة حقيقية في مطلع عام ١٩٤٧ عند قيام كيانهم ، نتيجة للمقاطعة العربية داخل فلسطين ومن الاقطار العربية . مما دفعت الهيئات اليهودية وفي مختلف المدن الفلسطينية الى تشكيل (مجالس) لحماية هذه الصناعات والى قيام الدول الاوربية الى فتح اسواقها لها على الرغم من عدم الحاجة اليها ويوضح الجدول رقم (١)[٥٨] الرأسمال المستثمر في المحيط اليهودي وواقع تدهور صناعة الماس اليهودية في فلسطين .

وقد لخص القنصل العراقي في نيويورك في حديث له لجريدة (نيويورك بوست) بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٦ موقف الدول العربية بقوله :

« سياستنا أن كل مؤسسة ، مسيحية كانت أم يهودية ، أو مسلمة ، لن يسمح لها بالتعامل مع البلاد العربية ، اذا كان لها أي فرع في (اسرائيل) ، لقد اتخذت هذا القرار الجامعة العربية لا العراق وحده ، وذلك لان (اسرائيل) في حالة حرب مع البلاد العربية »[٥٩] .

---

(٥٧) د.ك.و البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦ تقرير الهيئة العربية العليا بفلسطين ، القاهرة ، تقرير عن اثر مقاطعة الدول العربية للبضائع الصهيونية في فلسطين ١٩٤٧/١/٢٤ و ١٠٢ ص١٤٧ .

(٥٨) المصدر نفسه و ١٠٢ ص١٤٧ .

(٥٩) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٠٣ .
تصريح القنصل العراقي لجريدة نيويورك بوست و٣ ص١٤ .

جـدول رقم (١)
راسمال المستثمر في المحيط اليهودي

	١٩٤٤ بالف جنيه	١٩٤٥ بالف جنيه	١٩٤٦ بالف جنيه
البنـــاء	٢ر٥٠٠	٥ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠
الاستثمار	١ر٠٠٠	٢ر٥٠٠	٣ر٠٠٠
الصـــناعة	٢ر٢٠٠	٢ر٢٠٠	٤ر٥٠٠
وسائل النقل	٠ر٩٠٠	١ر٢٥٠	١ر٨٠٠
مشتريات اراضي وذهب	٠ر٢٠٠	١ر٤٠٠	١ر٤٠٠
	٨ر٦٠٠	١٢ر٣٠٠	٢٠ر٧٠٠

جـدول رقم (٢)
تدهور صناعة الماس اليهودية في فلسطين

البـــلد	عدد المصانع ١٩٤٦	الان ١٩٤٧	عدد العمال ١٩٤٦	الان ١٩٤٧
تل ابيب	٢٠	١٥	٢٧٠٠	٥٠٠
نتانيـا	١٣	٨	١٦٠٠	٢٥٠
القدس	٢	٢	٣٠٠	٣٠٠
المجمـوع	٣٥	٢٥	٤٦٠٠	١٠٥٠

في الجدول رقم (٢) يلاحظ ان منتجات مصانع الماس كانت عماد الصادرات اليهودية في سنة ١٩٤٦ لن تكون كذلك في سنة ١٩٤٧

من خلال هذه الوثائق التاريخية التي لم ينشر معظمها ، ندرك ان الاقطار العربية لو التزمت فعلا بقرارات المقاطعة ، ودعم الشعب الفلسطيني في الداخل ، من خلال انماء الصناعات العربية او تزويده بالبضائع العربية ، لكانت الصعوبة كبيرة امام المنظمات الصهيونية في الاستمرار داخل فلسطين، وربما قد اضعف كثيرا في امكانية تأسيس هذا الكيان ، وما يؤكد ذلك الكثير من الوثائق التي تتهم الاقطار العربية (بالتقاعس) في دعم هذه المقاطعة ، فتقول هذه المذكرة المرفوعة لملوك البلاد العربية وامرائها حول قضية الاراضي العربية في فلسطين في (٣ ايلول ١٩٤٤) وبعد ان اشارت الى الاساليب الصهيونية في انشاء (الدولة اليهودية) قالت عن الموقف العربي بما يأتي « وفي الجانب الاخر نجد البلاد العربية وقد احاطت بفلسطين من كل جانب ، تكتفي بصوغ البيانات وارسال الاحتجاجات من دون ان يتعدى ذلك الى عون فعلي او جهد جوهري[٦٠] » كما أخفقت جهود ممثلي الاحزاب الفلسطينية في توفير الدعم المادي العربي لمشروعهم في اقامة (مؤسسة مالية) لانقاذ اراضي ومشروع دراسة تحسين المستوى الاجتماعي فيها[٦١] .

كما اشار بيان لمكتب فلسطين الدائم ومقره بيروت في ١٩٤٨/١١/٣٠ ويتوقع (د. سليم الوريس) الامين العام للمكتب (عن قيام فريق من العرب الفلسطينيين اللاجئين الى الاقطار العربية مع سماسرة من اليهود ببيع ورهون أملاك العرب الفلسطينيين الذين انزاحوا عن وطنهم وممتلكاتهم تخلصا من وشية اليهود وذكر البيان بأن (دوائر الامن العام في سورية ولبنان تبادلت مثل هذه المعلومات)[٦٢] ، واشارت برقية موجهة من توفيق

---

(٦٠) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ مذكرة حول قضية الاراضي في فلسطين ، مصدر سابق و ١٣٨ ص١٧١ .

(٦١) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ نص تقرير اللجنة الفردية لاقامة مؤسسة مالية لانقاذ اراضي فلسطين ومشروع دراسة تحسين المستوى الاجتماعي فيها لسنة ١٩٤٧ و ٥٨ ص٧١ .

(٦٢) د.ك.و. / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ بيان مكتب فلسطين الدائم بيروت (١٩٤٨/١١/٣٠) مصدر سابق و ٣٧ ص٤٣ .

صالح الحسيني وكيل رئيس الحزب العربي الفلسطيني الى رئيس الوزراء العراقي في ٥ ايلول ١٩٤٥ ما نصه « انه من نكد الدهر ان الخصم بماله من مختلف الوسائل والاساليب قد يجد بعض الاشخاص من العرب يهبون أسماءهم لغير العرب فيستتر هؤلاء وراء الاسماء العربية ويعطون طلباتهم مسحة عربية ظاهرية وأطالب من رئيس الوزراء ان يتحقق من ذلك » .

وقام العراق بالانسحاب من (شركة انقاذ اراضي فلسطين) وطالب الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، اعادة مبلغ (الخمسين الف دينار) عن حصة العراق الاحتياطي الثابت للشركة المذكورة ، تحت مبررات الضائقة المالية الشديدة التي يمر بها[٦٣] وكان من نتائج ذلك اضعاف هذه الشركة ، لان العراق كان من المؤسسين لها .

وبعد قيام هذا الكيان في عام ١٩٤٨ بدأت المساعدات للشعب الفلسطيني تدخل ضمن لافتة (اللاجئين الفلسطينيين) وهنا ايضا كان دور الدول العربية في دعمهم منظورا ، فحول مشروع اعانة (مجلس حماية الاطفال الدوري) الذي طرح للاكتتاب في ١٦ تموز ١٩٤٧ .

كانت اكثر الدول المكتتبة لاسهمه هي الولايات المتحدة ، وقد وضعت مبلغ ٢٤٢٫٠٠٠ مليون دولار واستراليا دفعت اكثر من سبعة ملايين ، وغيرها، في حين ان الدول العربية لم تشترك فيه بأي مبلغ على الرغم من المحاولات العديدة من المجلس ويعود السبب في ذلك كما يقول كتاب وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية في ١٩٤٩/٣/١٢ هو موقف هذه المؤسسة في ما سمتهم (باللاجئين في اوربا) ، وقد وافقت الحكومة العراقية ، بعد دراسة ابعاد هذا المشروع على ان تتبرع بمبلغ مائة الف دولار على ان يكون بشكل اعتماد بالدينار يستعمل لشراء منتوجات عراقية زائدة كالتمور لاستعمالها لاغراض المعونة .

---

(٦٣) د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧ كتاب الخارجية العراقية ، الدائرة العربية الى رئاسة الديوان الملكي في كتابها السري ١٠٥١/١١٨٣/٤ في ١٩٤٩/٣/٩ و ١١ ص١٩ .

المصادر والمراجع

اولا : الوثائق غير المنشورة :

١ ـ دار الكتب والوثائق ، البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦
التقرير الشهري للقنصلية العراقية في القدس ١٣ حزيـران ١٩٣٨ و ١٠٢ ص١٧٣ .

٢ ـ د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦
تقرير القنصلية العراقية في القدس لشهر كانون الاول ١٩٤٠ و١٦ ص٥٨

٣ ـ البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦
التقرير الشهري للقنصلية العراقية لشهر كانون الثاني ١٩٤١ (سري) الى وزارة الخارجية العراقية ٢ ص٦ .

٤ ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧
مذكرة مرفوعة من الشخصيات الفلسطينية (رشيد الحاج ابراهيم ، صبحي الخضر ، عوني عبدالهادي) الى اصحاب الجلالة والفخامة والسمو في ١٣ ايلول ١٩٤٤ و ١٠٨ ص١٨٩

٥ ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٧
كتاب وزارة الخارجية العراقية / الدائرة الاقتصادية المرقم ١٩٤٧ في ٣ كانون الاول ١٩٤٥ و ٤ ص٨

٦ ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٧
مذكرة السيد صالح توفيق الحسيني وكيل رئيس الحزب العـربي الفلسطيني الى رئيس الوزراء العراقي من خلال القنصلية العراقية في القدس ٥ ايلول ١٩٤٥ و ٥٢ ص١٤

٧ ـ البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦

تقرير مؤسسة التجارة الخارجية لاتحاد الصناعيين اليهود في فلسطين ١٩٤٦ و ١٠٢ ص١ـ٤

٨ ـ د.ك.و / البلاط الملكي ٣١١/٧٦٦

تقرير الهيئة العربية العليا بفلسطين ، القاهرة ، تقرير عن اثر مقاطعة الدول العربية للبضائع اليهودية في فلسطين ١٩٤٧/١/٢٤ و ١٠٢ص١٤٧

٩ ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧

تقرير لاقامة مؤسسة مالية لانقاذ اراضي فلسطين ومشروع دراسة تحسين المستوى الاجتماعي فيها لسنة ١٩٤٧ و٥٨ ص٧١

١٠ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٨٧١

كتاب المفوضية العراقية في القاهرة المرقم ع ١٤ق٦٣٩١/١٩٣٣٥ في ٥ تموز ١٩٤٧ و ١١٨ ص١٧١

١١ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٨٩٤

كتاب الخارجية العراقيــة المرقــم ١٠١٤٢/٢٤/٤ في ١٩٤٨/٥/٣ (مستعجل جدا) و ٤٤ ص٦١

١٢ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧

بيان مكتب فلسطين الدائم في بيروت ١٩٤٨/١١/٣٠ ٣٧ ص٤٣

١٣ـ البلاط الملكي ٣١١/٤٩٨٧

كتاب الخارجية العراقية ، الدائرة العربية الى رئاسة الديوان الملكي في كتابها السري ١٠٠٥١/١١٨٣/٤ في ١٩٤٩/٣/٩ و ١١ ص١٩

ثانيا : المصـــادر :

١ ـ الزبدين ، نزار امين / صحيفة فلسـطين وموقفها مـن السياسة البريطانية في فلسطين ١٩٤١ـ١٩٤٧ ، رسالة ماجستير ، غير منشورة معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٤٨
٢ ـ الكيالي ، عبدالوهاب / تاريخ فلسطين الحديث / المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٠
٣ ـ بسيسو ، سعدي / اسرائيل جناية وخيانة / حلب ١٩٧٤
٤ ـ خلوصي ، محمد علي ، التنمية الاقتصادية في قطاع غزة ، القاهـرة ١٩٦٧
٥ ـ رضوان ، ابراهيم / سياسة الانتداب البريطانية الاقتصادية في فلسطين ١٩٢٢ـ١٩٣٩ ، سلسلة كتاب صامد ، ١٩٨٦
٦ ـ عبدالهادي ، مهدي / المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ بيروت ١٩٧٥
٧ ـ غنيم ، عادل حسن / الحركة الوطنية الفلسطينية ، الهيئة العامـة للكتاب ، القاهرة ١٩٧١
٨ ـ قضية اللاجئين ، القاهرة ، بلا
٩ ـ عيدان ، نبيل / الحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩

ثالثا : المراجـــع :

١ ـ تاريخ فلسطين السياسي تحت الانتداب البريطاني ، المذكـرة قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ الى هيئة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة د. فاضل حسين ، سلسلة كتاب صامد ١٩٨٦
٢ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية / حرب فلسـطين ١٩٤٧ـ١٩٤٨ ، الرواية الاسرائيلية الرسمية ، مترجمة عن العبرية ، احمد خليفـة وقدم لها وليد الخالدي وراجع الترجمة سمير جبور ، بيروت ١٩٨٤

التقرير الختامي لسنة ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـــم

استمر المجمع العلمي خلال عام ١٩٩٩م في نشاطه العلمي والثقافي وعقـد عدة ندوات ومحاضرات وحلقات نقاشية شارك فيها أعضـاء المجمع وبعض الاساتذة والباحثين من الجامعات والمؤسسات العلمية ٠ وكان الاهتمـام كبيرا في هـذا العام بالعلوم الصرفة والتطبيقية ودراسـات في التراث والتاريـخ العربي والاسلامي ٠

واستمرت الدوائر العلمية وفروعها ولجان المجمع في أعمالها ، وقدمت جهودا علمية مثمرة في الدراسات والمصطلحات العلمية ٠ وكان لمجلة المجمع العلمي دور في نشر نتاجات الباحثين من المجمع وخارجه وصدرت باجزائها المقررة وهي أربعة أجزاء في السنة ، فضـلا عن اصـدار « اوراق مجمعية » كل شهر ٠

وسعى المجمع الى توطيد التعاون مع المجامع العلمية واللغوية العربيـة والمؤسسات الثقافية داخل القطر وخارجه ، وشكل لجنة «العلاقات الخارجية» تكريسا لهذا المسعى وتحقيقا لاهداف المجمع التي نص عليها قانونه الجديد ٠

واستطاع المجمع خلال هذه السنة أن ينفذ موازنتـه بحرص وعقلانيـة وان يرتبط بشبكة المعلومات التي كان الفضـل الكبير فيها لاسـناد السـيد الرئيس القائد المنصور بالله صدام حسين ــ حفظه الله ورعـاه ــ إذ أمـر بتخصيص مبلغ كبير لتأسيس شبكة المعلومات ٠

والمجمع العلمي إذ يوثق نشاطه خلال عام ١٩٩٩ بالارقام والفعاليات يأمل أن يكون التوثيق سجلا للباحثين والدارسين وعونا للمجمع في رسم خطواته القادمة .

ولا يسع المجمع وهو يستعرض نشاطه إلا ان يتقدم بالشكر والتقدير لكل من اسهم في نجاح فعالياته العلمية والفكرية والثقافية ، ويأمل ان يستمر في تعميق الثقة والتعاون مع المفكرين والمثقفين والمؤسسات الثقافية في قطرنا المناضل لخدمة مجتمعنا ووطننا وتحقيق أهداف أمتنا العربية المتطلعة الى وحدتها وتحقيق نهضتها الحضارية .

ومن الله التوفيق .

شوال ١٤٢٠ هـ
كانون الثاني ٢٠٠٠ م

الدكتور ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي

جدول مقارنة لنشاطات المجمع

الفعالية	١٩٩٧		١٩٩٨		١٩٩٩	
	المخططة	المنفذة	المخططة	المنفذة	المخططة	المنفذة
المؤتمرات		١	١	١	—	—
الندوات		١٣	٢١	١٥	٨	٣
الحلقات النقاشية		٣	١٤	١٣	١٣	٩
المحاضرات العامة		٢٢	٢٣	١٨	٢٢	٢٥
ندوة فكرية		١	—	—	—	—
الدراسات		٢	—	—	—	١
المجلة (اجزاء)		٤	٥	٥	٥	٥
الكتب المطبوعة		٦		٩	١٥	٢٣
اوراق مجمعية				٨	١٢	١٢
المصطلحات		١١٠٠		٦٣٤٦		

١ ـ الندوات : (الاربعاء ـ الخميس)

ت	عنوان المحاضرة	الدائرة المكلفة	التاريخ المقترح
١	تجربة البحوث الدوائية في القطر	العلوم الصرفة والتطبيقية	١٩٩٩/٣/٣
٢	تعزيز الوشائج بين السريانية والعربية	هيئة اللغة السريانية + العربية	١٩٩٩/٦/١٦
٣	الطاقة	العلوم الصرفة والتطبيقية	١٩٩٩/١٠/٦

٣ ـ المحاضرات : (الاثنين) مسـاءً

ت	عنوان المحاضرة	المحاضـر	الدائـرة	التاريخ
١	العقل والفعاليات العقلية في الاسلام	د. نزار الحديثي	التراث العربي والاسلامي	١/١٨
٢	العلم والدراسات الانسانية	د. علي المياح	التراث العربي والاسلامي	٢/١
٣	السليمانية المدينة المزدهرة	جمال بابان	هيئة اللغة الكردية	٣/٨
٤	الموقف من الجديد اللغوي	د. محمد ضاري حمادي ود. نعمة رحيم العزاوي	علوم اللغة العربية	٣/١٥
٥	الانترنيت	اكرم عثمان	العلوم الصرفة والتطبيقية	٤/٥
٦	عالم الاسلام (تشكيله وخصائصه)	د. نزار الحديثي	التراث العربي والاسلامي	٤/١٢
٧	الاسلام والديانات الاخرى	د. يوسف يحيى	التراث العربي والاسلامي	٣/٢٢
٨	الاسلام والتربية	د. مسارع الراوي	التراث العربي والاسلامي	٤/١٩
٩	النهوض بالتقنيات الاحيائيـة في العراق	د. هـدى عماش	العلوم الصرفة والتطبيقية	٥/٣
١٠	التكامـل والتنسـيق بـين الصناعة والتعليم	د. مازن عبدالحميد د. محمد الاوسي	العلوم الصرفة والتطبيقية	٥/١٠
١١	تكنولوجيا المواد في القرن القادم	د. عبدالرزاق اسماعيل خضر	العلوم الصرفة والتطبيقية	٥/١٧

ت	عنوان المحاضرة	المحاضر	الدائرة	التاريخ
١٢	الاسلام والعروبة	ا . مسعود الشابي		٥/١١
١٣	الاتجاهات الزراعية بين الماضي والحاضر والمستقبل	د. باسل دلالي	العلوم الصرفة والتطبيقية	٥/٢٤
١٤	يوغوسلافية وازمة كوسوفو	الدكتور وهبي القرهغولي		٥/٢٥
١٥	الشخصية العربية في الخليج	علي غنام	العلوم الانسانية	٦/٧
١٦	النحت العراقي المعاصر وعلاقته بالنحت في وادي الرافدين	محمد غني حكمت	العلوم الانسانية	٩/١٣
١٧	المصطلح النقدي	د. عناد غزوان	علوم اللغة العربية	٩/٢٧
١٨	الانسان والتربية	د. ماهر الجعفري	العلوم الانسانية	١٠/١٨
١٩	يوم الضاد	د. رشيد العبيدي	علوم اللغة العربية	١٠/٢٥
	الذويب وبواكير التجديد	د. احمد مطلوب	علوم اللغة العربية	١٠/٢٥
٢٠	بايولوجية الانسان	د. محمود حياوي	العلوم الانسانية	١١/١
٢١	الانسان والطبيعة	د. جعفر ضياء جعفر	العلوم الصرفة والتطبيقية	١١/٨
٢٢	الانسان والدين	د.محسن عبدالحميد	العلوم الانسانبة	١١/١٥
٢٣	عدالة الانسان	نور الدين الواعظ	العلوم الانسانية	١١/٢٢
٢٤	سايكولوجية الانسان	د. طه النعمة د. ماهد حسني	العلوم الانسانية	١١/٢٩
٢٥	الانسان والفلسفة	د. يوسف حبي د. جسلم الالوسي	العلوم الانسانية	١٢/٦

	الدائرة	التاريخ المقترح	مسؤول المتابعة	الملاحظات
١ ـ أوجه الشبه بين الاكدية والارامية	الهيئة السريانية + التراث العربي والاسلامي	الاحد ٣/٧		
٢ ـ واقع التربية الموسيقية في العراق	العلوم الانسانية	الاحد ٣/١٤		
٣ ـ موسوعة النخيل والتمور	العلوم الصرفة والتطبيقية	الاحد ٥/٩	د. عبدالله العاني	
٤ ـ واقع الرياضيات في القطر ـ المشاكل والحلول ـ	العلوم الصرفة والتطبيقية	الاحد ٩/٥		
٥ ـ شبكات المعلومات	العلوم الصرفة والتطبيقية	الثلاثاء ٩/١٤	د. هلال البياتي	هيئة عامة ٩/١٤
٦ ـ الاغتراب	العلوم الانسانية	الثلاثاء ٩/٢٨		هيئة عامة ٩/٢٨
٧ ـ تقويم التعريب للعلوم الصرفة في العراق	العلوم الصرفة والتطبيقية	الاحد ٩/٢٦	د. مازن السامرائي	
٨ ـ الجامعة المفتوحة ـ دورها ومستقبلها ـ	العلوم الصرفة والتطبيقية	الثلاثاء ١٠/١٢	د. رياض الدباغ	هيئة عامة ١٠/١٢
٩ ـ مشاكل الاملاء الكردي الموحد	الهيئة الكردية	الاحد ١٠/٢٤		

٤ ـ المطبوعات :

اهتم المجمع بتوثيق نشاطه الثقافي وطبعه ، وقد أصدر خلال السنة المجمعية ١٩٩٩ الكتب والمجلات :

ا ـ الكتب

١ ـ بناء الانسان بعد الحصار (بحوث مؤتمر المجمع العلمي المنعقدة في ٢٣ ـ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٨م) .
٢ ـ قوة آشور ـ ترجمة الدكتور عامر سليمان .
٣ ـ لغة الضاد (ج٢) دائرة علوم اللغة العربية .
٤ ـ فصول في الشعر ـ الدكتور احمد مطلوب .
٥ ـ نظام الري في العصر العباسي ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية .
٦ ـ الوحدة العربية ـ ضرورة حضارية ـ دائرة العلوم الانسانية .
٧ ـ عالم الاسلام ـ دائرة التراث العربي والاسلامي .
٨ ـ وقائع ندوة النخيل ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية .
٩ ـ المعجم الاكدي ـ الدكتور عامر سليمان وآخرون .
١٠ـ الاصل المشترك للغات العراقية القديمة ـ دائرة التراث العربي والاسلامي
١١ـ الثقافة السريانية وعلاقتها باللغة العربية ـ هيئة اللغة السريانية .
١٢ـ التراث والنهضة ـ دائرة التراث العربي والاسلامي .
١٣ـ الاتجاهات الحديثة في الثقافة المعاصرة ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية
١٤ـ العمارة العربية الاسلامية ـ دائرة التراث العربي والاسلامي .

ب ـ المجلات

١ ـ مجلة المجمع العلمي ـ المجلد (٤٦) ـ أربعة أجزاء .
٢ ـ مجلة هيئة السريانية ـ العدد ١٧ .
٣ ـ أوراق مجمعية ـ السنة الثانية (١٢) عددا .

ج ـ المصطلحات العلمية :

١ ـ في الكيمياء العضوية .
٢ ـ في الانواء الجوية .
٣ ـ في الانتاج الحيواني .
٤ ـ في الدواجن .
٥ ـ منتوجات الالبان .
٦ ـ في الفيزياء والفلك .

د ـ الكتب (تحت الطبع) :

١ ـ المنطلقات الاساسية لدراسة تأريخ العلوم عند العرب ـ دائرة التراث العربي والاسلامي .
٢ ـ سر الحياة بين الفلسفة والعلم ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية .
٣ ـ كتب الانساب ـ دائرة التراث العربي والاسلامي .
٤ ـ تجربة البحوث الدوائية في القطر ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية .
٥ ـ بعض الاتجاهات الحديثة في العلوم الصرفة ـ دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية .
٦ ـ شيء من قواعد اللغة الكردية ـ هيئة اللغة الكردية .

٥ ـ النشاط العام :

١ ـ شارك رئيس المجمع واعضاؤه في نشاط المجمع العلمي لسنة ١٩٩٩ ، وفي بعض الندوات والمؤتمرات داخل القطر وخارجه ، وشارك وفد برئاسة الدكتور ناجح الراوي وعضوية الدكتور منذر نعمان التكريتي والدكتور محمد ضاري حمادي في ندوة إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح

العلمي وسبل توحيده واشاعته التي عقدها اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في ٢٥ـ٢٨ تشرين الاول ١٩٩٩م •

٢ ـ أحتفل المجمع في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٩م بتقديم جوائزه العلمية لسنة ١٩٩٩ ، وقد كرم كل من الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي ،والدكتور عبداللطيف البدري بجائزة المجمع العلمي للعام المذكور •

٣ ـ اتصل المجمع العلمي بشبكة المعلومات (الانترنيت) وهيأ بعض ما سيبثه ، وحدد ماسيستقبله للاطلاع على الثقافة والحركة العلميةفي العالم•

٤ ـ طور أجهزته الفنية (الحواسيب) وبدأ ببرمجة ما يخص اعماله الادارية والعلمية •

٥ ـ شمول منتسبي المجمع بالحوافز استنادا الى قرار مجلس قيادة الثورة ذي الرقم (٦٦) في ٩ محرم ١٤٢٠هـ ـ ٢٥/٤/١٩٩٩م وتعليمات المجمع المرقمة (٢) لسنة ١٩٩٩م •

٦ ـ **الاقسام الادارية :**

أ ـ قام قسم الادارة والافراد بانجاز أعمال المجمع ومتابعة الشؤون المتعلقة بالخدمات وصيانة المتضرر من الاجهزة والبناية • وبدأ بادخال المكننة الحديثة في عمله إذ طبقت ثلاثة انظمة بالحاسوب هي :ـ ١ ـ نظام الاسواق المركزية ٢ ـ نظام احصاء المباني الحكومية ٣ ـ نظام الافراد الذي عند استكماله يستغني القسم عن نظام الاضابير المعمول به حاليا•

ب ـ دخل المكتبة (٢٤٤٦) كتابا بطريق الشراء والتبادل واهداء مكتبتي المرحومين الدكتور سليم النعيمي والاستاذ مصطفى توفيق المختار • ودخلت المكتبة (٥٢) دورية ، وانجز تجليد (٥٠٠) كتاب •

ج ـ قام قسم الاعلام والعلاقات العامة بما يأتي :

١ ـ التهيئة للنشاط الثقافي الـذي تضمن الدراسـات والمحاضـرات والحلقات النقاشية وارسال بطاقات الدعوة الى المهتمين ووسـائل الاعلام المختلفة .

٢ ـ التهيئة للاحتفالات الرسمية والوطنية وتهيئة مستلزمات الضيافة .

٣ ـ توزيع مطبوعات المجمع على الاعضاء والجهات المخصصة للاهداء ، وارسالها الى المجامع العربية والمؤسسات الثقافية والعلمية .

٤ ـ تهيئة ما يتصل بنشاط المجمع من تقارير ثقافية واخبارية للنشـر ولاوراق مجمعية .

٥ ـ متابعة ما ينشر في الصحف والمجلات عن المجمع واعضائه وحفظها .

٦ ـ توطيد العلاقة بين المجمع ووسائل الاعلام .

٧ ـ التهيئة للاحتفال بمناسبة ذكرى تأسيس المجمع وتقديم جوائـزه التقديرية .

د ـ انجزت مطبعة المجمع طبع عشرة كتب من منشورات المجمع و (٦) أجزاء من المصطلحات العلمية واربعة اجزاء من مجلة المجمع العلمي وجزءاً مـن مجلة هيئة اللغة السريانية ، فضلا عن طبع (١٢) عـددا مـن « اوراق مجمعية » . وانجزت تنضيد (٦) كتب ستصدر قريبا . كما انجزت طبع مجلة جامعة صدام للعلوم الاسلامية .

هـ ـ استكمل قسم الخدمـات العلمية والفنيـة المعـدات واقـام دورات لموظفي المجمع .

و ـ كانت موازنة المجمع العلمي لسـنة ١٩٩٩ (١٥٩٠٦٠٠٠٠) مائة وتسـعة وخمسين مليوناً وستين ألف دينار وأضيف اليها (٣١٢٠٠٠٠٠) واحـد وثلاثون مليوناً ومائتا الف دينار .

ويمثل الجدول حركة الموازنة وما نفذ منها خلال العام الحالي .

العنوان	المرصد	الاضافة	المنقح بعد خصم ١٥٪	المصروف	نسبة المصروف من المنقح	الملاحظات
الفصل الاول	٩٣٨٨٤٠٠٠		٧٣٣٢٠٠٠٠	٧١١٤٥٩٣١	٩٧٪	
الفصل الثاني المستلزمات الخدمية	٣٩٩٢٦٠٠٠	٢٩٥٠٠٠٠	٦٠٠٥١٠٠٠	٥٠٨٩٠١٥٩	٨٥٪	تم تدوير المبلغ لعدم التمكن من عملية الشراء لاجزاء الانترنيت خلال شهر كانون الاول
المستلزمات السلعية	١٥٠٠٠٠٠	١٧٠٠٠٠٠	٣٠٥٠٠٠٠	٢١٤٧٩١٦	٧٠٪	
صيانة الموجودات	١١٢٥٠٠٠٠		١١٦٩٧٠٠٠	١١١٨١٠٥٧	٩٦٪	
النفقات الراسمالية	١٢٥٠٠٠٠		٦٣٠٠٠٠	٥٥٠٠٩٠٠	٨٧٪	
المجموع	١٥٩٠٦٠٠٠٠	٣١٢٠٠٠٠	١٥٤٤١٨٠٠٠	١٤٠٨٦٥٩٦٣	٩١٪	

تم شراء اجزاء الانترنيت بعد تدوير المبلغ الى كانون الثاني ٢٠٠٠ لعدم امكانية اتمام عملية الشراء في شهر كانون الاول ١٩٩٩ بمبلغ (٣٧٠٥٠٠٠) دينار وبذلك يصبح مبلغ المستلزمات الخدمية المصروف (٥٤٥٩٥١٥٩) دينار وتصبح النسبة ٩١٪ ويصبح مجموع المصروف للموازنة (١٤٤٥٧٠٩٦٣) دينار ونسبة التنفيذ للموازنة (٩٤٪) .

الخاتمة

وبعد :

فهذا تقرير عن نشاط المجمع العلمي لسنة ١٩٩٩م وقد اتضح فيه ان المجمع استطاع باسناد من السيد الرئيس القائد المنصور بالله ــ صدام حسين ــ حفظه الله ورعاه ــ ومؤزارة الاساتذة والباحثين ان يحقق كثيرا مما خطط له ، ولكن الظروف التي احاطت ببعض الباحثين وسفر بعضهم الى خارج العراق حال دون تنفيذ الخطة المرسومة بكاملها ومن ذلك ان الندوات والحلقات النقاشية لم تنفذ تنفيذا كاملا في حين ان المحاضرات زادت عن عددها المقرر ومثلها الكتب • أما المجلات و «أوراق مجمعية» فقد صدرت كما خطط لها •

واستطاع المجمع فضلا عن ذلك أن يطور أعماله العلمية والفنية وان يهيء المستلزمات الضرورية ومن ذلك ربط المجمع بشبكة المعلومات والبدء باستخدامها للاغراض العلمية •

ونظرا لقرار مجلس قيادة الثورة بايجاد حوافز للموظفين العاملين في المجمع فان ذلك من شأنه أن يكون عامل جذب لعناصر جديدة وكفوءة للمجمع •

ونأمل ان يولي أعضاء المجمع والاساتذة والباحثون والمثقفون مجمعهم وقتا أوسع وجهدا اكثر لتطوير عمله بما يخدم المسيرة الثقافية والعلمية في عراقنا العزيز •

والله ولي التوفيق •

الدكتور ناجح الراوي

رئيس المجمع العلمي

HASSAN BIN AN-NU'MAN AL-GHASSANI AND HIS ROLE IN THE LIBERATION OF AL-MAGHRIB

Prof. Dr. Natiq Salih Matloub
College of Arts, Mosul University

ABSTRACT

The research throws light on the Arab liberation of Al-Maghrib and on the fierce battles that took place from which the Muslim Arabs emerged victorious.

The most prominent leader in those battles was Hassan bin Nu'man Al-Ghassani. To him belongs the honour of liberating the area after fierce battles in which the Arabs defeated the Byzantium armies and liberated the occupied towns.

After affairs settled for the Muslims, Hassan started to organize the relations with the inhabitants, to coin money, to build the town of Tunis and restore the town of Al-Qairawan and other constructive work. Thus he won his prominent place among the Muslim Arab leaders in Al-Maghrib.

"ARAB BOYCOTT TO JEWISH ECONOMIC WEAKNEST 1941-1947 ACCORDING TO THE DOCUMENTS OF IRAQI ROYAL PALACE" "A DOCUMENTARY STUDY"

Dr. Yasin Taha Zahir Ali Alaskari

ABSTRACT

This study deals with the documents at the Iraqi consulate at kudus that shed the lights on the economic boycott to the Zionists economic, situation. That boycott which came to existence in Jau. 1946. Britain did not realize that matter was an economical only but a real challenge to their entity and schems in founding the Zionist state.

This state of affairs encouraged the Zionists institutions in several parts of Palestine to constitus committies to protect Jewish industries.

THE MONETARY GAP : A STATUS QUO AND FUTURE CALCULATIONS

Dr. Mudher M. Saleh

ABSTRACT

This paper presents an alternative model to calculate the nature and size of the Iraq's monetary gap under peculiar economic circumstances.

The results are instrumental in explaining Simultaneously the dramatic development on the potential size of such monetary gap during the period of the inflationary pressure in the term of current embargo and what will be occured after embargo lifted. The methodology could usefully enable the policy makers to build-up an imaginable vision of approaching the desired internal equilibruim of macro economic.

EXPLORATION ACTIVITIES OR METALIC ORES IN MESOPOTAMIA CIVILISATION

Mousa J. Al-Atia

ABSTRACT

Borenze age was originated by Mesopotamia civilisation. The creative achievement in the field of alloys industry required large quantities of copper, tin and nickle ores.

An extensive exploration activities were conducted by Mesopotamia geologist or explorer to ensure the required ores for his new industry. Exploration activities within the Mesopotamia area of limited success and two locations may be mentioned in this concern : Ergani Maden which in now closed to the Iraqi-Turkish boarder and the other location was in Beware area, northern Amadia.

The Mesopotamia geologists extended their exploration activities out side their home land searching for metallic ore resources and many success were achievied in Cyprus, Turky, Iran and Omon. Analysis review for these aspects are dealt with by this paper.

THE CRITICAL VISION OF POETRY AND THE CRITICS' ATTITUDES

Dr. Maher Mahdy

ABSTRACT

This research indicats the criticism is a kind of vision, depending upon human knowledge categoreis, in order to reach to a sound conclusion, helping us to distinguish between what is regarded as a basic principle concerning the poetical text, and what is of secondary importance.

The critical vision is considered to be objective in its investigation and description as far as the formation of general canones which influence and govern the literary phenomenon. Therefore, such vision is nearer in its understanding, to the theory of literature.

As for the critical attitude, it is subjective, exploiting one side of knowledge for persusasion. Therefore, it is regarded as nearer to the standard criticism, while, poetry, under the light of the critical visions perspective seems as one unit that was unable to be divided, except in the realm of objective visions canones which allow to describe and analyse the text.

This research was illustrated, in its practical side, by the transmission of Al-Asma'eis attitude towards Hassanis poetry, and its valuation.

THE ARAB-MUSLIM ART WAR IN THE TACTICA OF LEO VI

Dr. Taha Khuder

ABSTRACT

When the Emperor Leo VI the wise (886-912 A.D.) wrote chapter 18 of his book "Tactica" or the whole book, he had the Arab-Muslims in mind, and mentioned all these details in the Art of war under the influence of the Arabs.

This study aims at revealing what Leo said in this field.

The main conclusion of the paper is that the Arabs had astrong military establishment, trained, best organized, best equipped and with high morals and high art war at that time and place.

THE PICTURE AND THE POETIC STRUCTURE : A STUDY IN A POEM FOR AL-MUTANABY

Majid Ja'afreh

Yarmouk University

ABSTRACT

The study gives the poetic picture a great importance in the structure of the poem, and considers the picture as a static thing in poetry as a whole. The eternal poem is a grand picture.

The study concludes that the continuing picture in the poem, that is scattered in it, expresses an overwhelming vision on it, which represents the vision of the poet and his consciousness and emotions. Those emotions consciousness and the ideas which the poet wants to reach to the audience and cannot do it without the picture only.

The study takes its way to implementation through a poem for Al-Mutanaby.

PORTRAIT OF THE KNIGHT IN AL MUTANABI'S DIWAN

Dr. Hassan Muhammed Al Rababa'a
Assistant professor
Jerash Private University

ABSTRACT

The research paper contains an introduction and six chapters

1. Portraits of the Knights, character and the position of leader. ship.
2. Portraits of the tools of battles and their usages in his poetry.
3. Portraits of usages in his poetry.
4. portraits of horses of bettres and their usages in his poetry.
5. portraits of planes of war and their usages in his poetry.
6. portraits of battlefields and time of war and its usages in his poetry.

In the introduction, the writer of the paper studied in the past and the present. As for the six chapters deelt with what we mentioned above from point one to point six which did not study before in the poets poetry.

DISABILITY PROBLEMATIC AND PROPORTIONAL DEFICIENCY IN DES IN ARAB COUNTRIES

Dr. Salim T. Al-Najafi

ABSTRACT

Most of the Arab countries suffer from low food self-sufficiency; The value of the "food gap" was estimated at more than (11) billion dollars in the 1990s; the Arab Countries are classified into four groups according to the food disability level; The law income Arab Countries more than other groups suffer from proportional difficiency in personal nutrition; so this requires Arabic arrangements for availing a power sale to increase the food for populations with low income levels.

STUDIES ON POLITICAL
AND ADMINISTRATIVE ORGANIZATIONS
IN EARLY AGES

Dr. Ahmad Salih Al-Fatian

ABSTRACT

The main issue that occupied the minds of the Mesopotamian people was to organize the society for the ruling relationship is the major drive of the political life.

There is no doubt that the ruling system underwent many stages until it reached this developed stage.

Anyhow, our knowledge of the ruling system starts from the city state era when the authority of the society was represented by a public council which consisted of the citizens who would call for meeting at times of distress, wars, and crises. Among its members, this council had the right to elect a man who they called "en" whose authority was limitted and restricted to the councils authority. This office (post) was developed to a more powerful one called "Ensi", literally meaning "prince". Again this "Ensi" post was developed to a more powerful post by the narve of "logal" meaning "king" who of course had more authority.

THE HOUSE OF AL-ARQAM IBN ABI AL-ARQAM AS A CENTER OF ISLAMIC MISSION AT MACCA

Dr. H. al-Mallah

ABSTRACT

The research tries to explain the reasons and the circumstances which encouraged the prophet Muhammad to make the house of Al-Arqam to be the center of Islamic mission in the period of secret preaching of Islam.

Moreover the research tries to fix the number of Muslims who counterted to Islam in this house.

THE ARAB GULF: CONSIDERATIONS OF STRATEGIC GEOGRAPHY

Dr. Ali M. Al-Maiyah

ABSTRACT

Strategic geography is a branch of military geography that deals with war plans, military campaigns and military movement plans. The Arab Gulf is a region of conflict and of constant change, an international earthquake zone. Given the importance of its natural resources, its strategic significance and the influence of its cultural traits, it is a region world can not afford to ignore. Pipelines carrying Gulf oil to sea shores have created a new set of strategic 'hot spots' in places like Djibouti, Ethiopia and Suez.

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 Fax : (964 - 1) 4254523

E-mail : aos@nisciraq . net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنــة ٢٠٠٠



Journal
of the
ACADEMY OF SCIENCES

No. 1

Vol. 47

1421 H—2000